الجمعية الكويتية لتقدم الطفولة العربية

الطفولة العربيّة ومعضلات المجتمع البطريكي

الكتاب السنوي الثاني

١٩٨٤ – ١٩٨٥

حقوق الطبع محفوظة للجمعية الكويتية لتقدم الطفولة العربية ولا يجوز اقتباس
أو إعادة نشر أية فقرة أو فصل من هذا الكتاب إلا باذن خطي من الجمعية.

تولى مهمة تحرير هذا الكتـــــــــاب

الدكتور

محمّد جـواد رضـــا

عضو اللجنة الاستشارية للجمعيـة

محتويات الكتاب

١ــ الطفل العربي ومعضلات المجتمع البطركي	د. هشام شرابي	١٣
٢ــ الطفل العربي حاضره ومستقبله	د. عثمان لبيب فراج	٤٣
٣ــ الاساليب المعرفية عند الطفل	د. قاسم الصراف	٧٧
٤ــ الاطفال المتفوقون وتربيتهم	د. رجاء ابو علام	٩٩
٥ــ لعب الاطفال.. بين التعليم ومضيعة الوقت	الاستاذ/ كمال خير الله	١٤٥
٦ــ سوء معاملة الاطفال	د. عبد الله الرشيد	١٧١

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

ـ ١ ـ

هذا هو الكتاب السنوى الثاني للجمعية الكويتية لتقدم الطفولة العربية وهو يعالج اشكالات الطفولة العربية المعاصرة من خلال الهيمنة البطركية التي يخضع لها المجتمع العربي نفسه. والمراد بالبطركية سيطرة (الكبار) على (الصغار) أيا كانت مضمونات هذه السيطرة ومعاني الكبر والصغر فيها. وعنوان الكتاب مستعار من موضوع البحث المثير الذي قدمه في موسمنا العلمي الثاني الاستاذ الدكتور هشام شرابي (الطفل العربي ومعضلات المجتمع البطركي).

يشخّص الدكتور شرابي نظام الهيمنة البطركية العربية المعاصرة بانه (خليط متضارب من علاقات وقيم و بنى اجتماعية تقليدية من ناحية ــ أي تعود في تركيبها ومصدرها الى أقدم مراحل المجتمع البطركي بعلاقاته وقيمه القبلية والعشائرية والعائلية والطائفية والدينية المستمدة من روابط الدم والمعتقد ــ والمستحدثة من ناحية اخرى) و بهذا فان (المجتمع البطركي مجتمع تابع اي ينقصه الاستقلال الذاتي والتوجه الذاتي و يعيش ازمة التحول في ظل الهيمنة الخارجية سياسيا واقتصاديا واجتماعيا وحضاريا).

واذا كان الكتاب السنوي الاول للجمعية والذي صدر بعنوان **(الطفولة في مجتمع عربي متغير)** قد أكد على حقيقة (أن مصدر المعاناة في الواقع الانساني للطفولة العربية المعاصرة هو كون هذه الطفولة قد كتب عليها ان توجد في مجتمع عربي متغير قلق لم يكتشف هو نفسه موقعه من حركة التاريخ الحديث) وأن هذا القلق (يكتب على العلاقة بين الكبار والصغار حالة من التوتر يقف الطفل منها في نقطة الشد Stress Point محتملة الانكسار، نقول اذا كان الكتاب السنوي الاول قد أكد هذه

الحقيقة المأساوية عن واقع الطفولة العربية المعاصرة فان الكتاب السنوي الثاني الذي نضعه بين ايدي الجمهور الآن يذهب خطوة أبعد في استجلاء (نقطة الشد) وجلائها فيتعمق في طبيعة السيطرة البطركية التي يعامل الاطفال من خلالها، وهو يبرز الآثار التخريبية لهذه العلاقة على نشأة الاطفال العرب وتغبيش الرؤية امامهم او كما يقول الدكتور شرابي (ان قيم الخضوع والطاعة والعلاقات الهرمية) بين الراشدين والاطفال (تستمر في هيمنتها بشكل أو بآخر وتبقى قيم الحرية والتعاون والمساواة فيها لفظية فاقدة المفعول على الصعيدين الاجتماعي والنفسي وتكون النتيجة ان المجتمع حسب قول العالم فلهلم رايخ يفرز انسانا يخاف من الحياة ويخاف من السلطة مما يمكن حفنة من الافراد المسيطرين من اخضاع شعب باكمله).

ان ما يطرحه الدكتور شرابي هنا يذكرني بما كانت جدتي ــ التي هي والدة جدي في الواقع ــ تقوله لي معتمدة على حكمتها العملية التي الهمتها اياها السنون بعد ان خبرت الحياة والناس مائة عام قضت اكثرها تحت الحكم العثماني.. كانت رحمها الله تقول بلغتها البدوية النقية الصافية:

ــ يا ابني.. الحكومة مثل حائط الطين.. ابتعد عنه ما استطعت لان امكانات سقوطه عليك واردة مع كل زخة مطر.

هذه هي النظرة البطركية للحكومة والسلطة. وكأي طفل آخر عشت ضحية النظرة البطركية.

هل تغير الوضع الآن عما كان عليه ايام جدتي؟

كلا. على العكس فالواقع يشير الى تردى علاقة المواطن بالحكومة في اغلب ارجاء هذا العالم العربي الشاسع.

هل نستطيع ان نعزوا هذا الواقع برمته الى الظاهرة البطركية وحدها؟

ان طرح الدكتور شرابي لتفسيره مقنع من دون ريب غير ان التفسير الشمولي لهذا الاعضال في العالم العربي يحتاج لاكثر من نظرية ولاكثر من البحث الميداني للتأكد من صحة الفرضيات التي تطرحها تلك النظريات.

يضم الكتاب الجديد الندوات العلمية للجمعية في موسمها الثاني (١٩٨٤ ـ ١٩٨٥) وهي تعالج القضايا التالية :

١ ـ الطفل العربي ومعضلات المجتمع البطركي.

٢ ـ الطفل العربي ... حاضره ومستقبله.

٣ ـ الاساليب المعرفية عند الاطفال.

٤ ـ الاطفال المتفوقون وتربيتهم.

٥ ـ لعب الاطفال..... بين التعلم ومضيعة الوقت.

٦ ـ سوء معاملة الاطفال.

وسيجد القارىء الكريم ان هذه الموضوعات ينتظمها ـ كما في الكتاب السنوي الاول ـ خيط داخلي متين يمثل الوحدة العضوية فيما بينها. فما يطرحه الدكتور شرابي من ضغط القيود البطركية على النشأة السوية للاطفال يعززه ما يذهب اليه الدكتور عثمان لبيب فراج من ان انتماء الفرد العربي المعاصر (الى المجتمع الذي يعيش او يعمل في دائرته والشعور بهذا الانتماء قد ضعف خلال سنوات طويلة وتعددت مظاهر هذا الضعف ابتداءً من سلوك الفرد ازاء مشكلة النظافة مثلا والتعامل مع المرافق العامة حتى نصل الى سلبية المجموع وأهماله المشاركة في البناء السياسي والاجتماعي. واذا ضعف شعور الفرد بالانتماء الى اقرب المجتمعات اليه فقَدَ انتماءه الى المجتمع الكبير والى اهدافه وغاياته). وما يطرحه الدكتور قاسم الصراف من (أن الاطفال الأندفاعيين يشكلون أكبر نسبة من الاطفال الراسبين في المدارس الابتدائية) وان (الاطفال المتأخرين دراسيا ينتمون الى فئة الاندفاعيين اكثر منهم الى فئة التأمليين نتيجة لاستخدامهم طرقا غير سليمة في معالجة المعلومات) يتكامل مع ما يكشفه الدكتور رجاء ابو علام من ان (الاطفال المتفوقين عقليا ـ نظرا للاهمال الذي يلقونه ـ فانهم يكوّنون حساسية شديدة نحو البيئة المدرسية التي تركز على التلميذ المتوسط مما يجعلهم سريعي التأثر والاحباط وقد يترتب على محاولتهم الاندماج في الجماعة المدرسية اخفاء تفوقهم العقلي حتى يمكن تقبلهم). وتتكامل هذه الطروحات مع ما يؤكده البحثان الخامس والسادس لتخرج برؤية متكاملة أو

شبه متكاملة في النهاية عن الحرج الذي تعانيه الطفولة في مجتمع بطركي كالمجتمع العربي المعاصر.

لا يسع الناظر المتأمل في هذه الطروحات العلمية الاصيلة لمشاكل الطفولة العربية الا ان ينبهر بضخامة التحدي الذي يطرحه واقع هذه الطفولة ودرجة التعقيد التي تميزها من سائر الازمات العربية الاجتماعية والاخلاقية خصوصا اذا ما وعينا ان حل اشكالات هذا الواقع مرهون بضرورة التغير في ظروفٍ وأوضاعٍ هي مسببات التعقيد والتعويق في وضع الطفولة العربية وما لم يتحقق التغير في تلك الظروف والاوضاع فمن غير الميسور رجاء التوقع او الوقوع على حل شاف لهذه المشاكل او كما يقول الدكتور محمد جواد رضا في مناقشته لطروحات الدكتور شرابي (البطركية العربية الحديثة ذكية وماهرة وداهية في فرض سيطرتها... وان المؤسسة التربوية العربية هي نفسها الآن احدى ادوات البطركية لتعزيز جذورها فكيف يمكن تحويل الوسيلة هذه الى أداة لتقليص الوضع البطركي ؟).

على ان هذا التعاضل بين الظروف الاجتماعية وازمات الطفولة العربية لا يسد امامنا السبل الى مزيد من الفهم والاستجلاء لطبيعة واقع الاطفال العرب بل هو يؤكد قناعتنا في الجمعية الكويتية لتقدم الطفولة العربية بان هذه الدرجة العالية من التعقيد في اشكالات الطفولة ما كانت لتكون لو ان هذه الاشكالات كانت قد اخضعت للدراسة العلمية المنهجية منذ زمن مبكر وان هذه الاشكالات انما زاد في إعضالها بقاؤها خارج عناية العلماء العرب كما ان التماس الحلول لها سيظل صعبا من دون تسليط الكثير من الضوء العلمي عليها. واننا لنرجو مخلصين ان يكون كتابنا السنوي الثاني خطوة ثابتة اخرى في هذا الاتجاه.

لا يجوز لهذه المقدمة ان تختتم من دون تسجيل شكر الجمعية وامتنانها للذوات الذين أسهموا بعلمهم وسديد آرائهم في الندوات التي يجمعها هذا الكتاب. ولولا الجهد العقلي الرفيع للاساتذة المحاضرين والمعقبين، ولولا المساهمة النشطة والمخلصة من المشاركين في الندوات لما قدر لهذا الثمر الطيب ان يبرز للوجود. فالفضل منهم ولهم والله تعالى هو المعين على الخير والهادي اليه.

د. حسن الابراهيم

رئيس الجمعية الكويتية لتقدم الطفولة العربية

الطفل العـــزلي

ومعضلات المجتمع البـطركي*

*هـذا هـو موضوع النـدوة الرابعة من ندوات الموسم العلمي الثاني للجمعية (١٩٨٤ ــ ١٩٨٥) وقد عقدت مساء ١/٧ ١٩٨٥.

الطفل العربي
ومعضلات المجتمع البطركي

المحاضر : د. هشام شرابي
المعقبة : الشيخة/ الطاف سالم العلي
رئيس الجلسة : د. سيف عباس

المشاركون

١ــ د. احمد عبد الله ..... جامعة الكويت
٢ــ د. امين محمود ..... جامعة الكويت
٣ــ د. باسم سرحان ..... جامعة الكويت
٤ــ د. بدر العمر ..... جامعة الكويت
٥ــ د. سعاد الصباح ..... جامعة الكويت
٦ــ د. عصام النقيب ..... جامعة الكويت
٧ــ د. عبد الله الدنان ..... جامعة الكويت
٨ــ د. قاسم الصراف ..... جامعة الكويت
٩ــ د. كمال المنوفي ..... جامعة الكويت
١٠ــ د. ليلى حبيب ..... جامعة الكويت
١١ــ د. محمد جواد رضا ..... جامعة الكويت
١٢ــ السيد/ محمد السنعوسي ..... وزارة الاعلام
١٣ــ السيد منصور بندر ..... القطاع الخاص
١٤ــ د. محمود عودة ..... جامعة الكويت
١٥ــ د. وليد الشريف ..... منظمة الاقطار العربية المصدرة للبترول

الطفل العـــزلي

ومعضلات المجتمع البـــطركي

بقـلم : د. هشـام شـرابي

هناك جملة مأثورة لارسطو تعرفونها جميعا ، وهي قوله في كتاب «السياسة» : «ان الانسان حيوان اجتماعي».

وهناك ايضا كلمة مماثلة لكارل ماركس وردت في مقدمة كتابه السابق لكتاب «رأس المال»، «نقد الاقتصاد السياسي» يقول فيها : «ليس الوعي الذهني هو الذي يصنع الواقع بل ان الواقع الاجتماعي هو الذي يصنع الوعي».

ان ما يقصده ارسطو وماركس في قولهما هو الشيء ذاته : ان الانسان هو انسان بفضل اجتماعيته ، بفضل انتمائه الى المجتمع ، اي انه نتاج بنية اجتماعية لا بنية طبيعية وحسب.

(١)

من هنا كانت نظرتنا بان صعود الانسان من مستوى الطبيعة الى مستوى الحضارة، من الحيوانية الى الانسانية ، انما هو بفعل تطور يحدث في المجتمع فينقله من حالة البداءة الى حالة الحضارة.

والانسان بفرديته لا يمكن ان يتغير الا بتغير البنية الاجتماعية التي ينتمي اليها. وبهذا المفهوم فان الانسان هو متغير اجتماعي تاريخي ، تتكون انسانيته بدرجة تغير المجتمع الذي يصنعه هو والذي يصنع فيه.

طبيعة المجتمع ودرجة رقيه انما تقاس بنسبة انسانية هذا المجتمع ، اي بنسبة ما يكون فيه الانسان انسانا حقا. فاذا كان الانسان في هذا المجتمع مقهورا او مذلولا او مستغلا الخ. فالمجتمع مهما بلغ من الرقي المادي والحضارة ، يبقى مجتمعا متخلفا.

وحسب هذه المقولة فمقياس التخلف والتقدم الاجتماعيين هو الانسان ومكانته في المجتمع.

ان الانسان ــ واعني هنا بالانسان الفرد، الانا، الذات ــ هو كائن اجتماعي محدد بسبب تنشئته الاجتماعية طفلا، اي تنشئته في الاسرة، وقد عالجت هذه الناحية في كتابي«مقدمات لدراسة المجتمع العربي». لكن العائلة ليست سوى المجتمع الكبير مصغرا، فمن خلالها يصنع المجتمع افراده، وبالتالي ذاته الجماعية (Collective Self). لهذا ركزت في البدء على دراسة العائلة، فان القيم والعلاقات السائدة في العائلة هي انعكاس للقيم والعلاقات السائدة في المجتمع ككل.

الا ان العائلة ليست حرة فيما تنتجه، فهي لا تنتج سوى الذات التي يتطلبها المجتمع. فالمجتمع الزراعي او القبلي، مثلا ينتج الذات الزراعية او القبلية، والمجتمع الطبقي او الصناعي ينتج الذات الطبقية او الصناعية.

(٢)

والسؤال الذي يطرح نفسه هو، ما هي طبيعة الذات التي يتطلبها مجتمعنا؟

انه يتطلب انتاج الذات البطركية، واعادة انتاجها لتأمين استمراره مجتمعاً بطركيا ولتأمين استمرار سلطته.

في دراسة اقوم بها حول مجتمعنا العربي المعاصر، توصلت الى نتيجة ان مجتمعنا العربي ليس مجتمعا تقليديا، بالمعنى المعهود للكلمة، كما انه بالمعنى ذاته ليس مجتمعا حديثا. وبالاضافة الى ذلك فانه ليس مجتمعا مخضرما، بمعنى انه يجمع بين القديم والحديث ليربط بينهما و يصنع بنية اجتماعية منسجمة.

انه مجتمع بطركي ــ اوما ادعوه على حد التدقيق ــ مجتمعا نيوبطركيا، يتألف من خليط متضارب من علاقات وقيم و بنى اجتماعيه تقليدية من ناحية ــ اي تعود في تركيبها ومصدرها الى اقدم مراحل المجتمع البطركي بعلاقاته وقيمه القبلية والعشائرية والعائلية والطائفية والدينية المستمدة من روابط الدم والمعتقد ــ

والمستحدثة من ناحية اخرى. وهو مجتمع تابع، اي انه **ينقصه الاستقلال الذاتي والتوجه الذاتي و يعيش ازمة التحول في ظل الهيمنة الخارجية سياسيا، واقتصاديا، واجتماعيا، وحضاريا.**

هذا النظام البطركي الجديد يسود كافة الانظمة العربية، المحافظ منها والتقدمي، وهو تاريخيا حصيلة ما سماه ادونيس بـ «صدمة الحداثة». انه يتميز بتركيب اجتماعي نفسي متناقض في كافة اوجهه، ينعكس في حالة العجز والشلل التي هو فيها : **عجزه الوظيفي في ممارساته الروتينية، عجزه السياسي في نظامه الداخلي وفي تحقيق اهدافه الوطنية والقومية، شلله العسكري والتنظيمي في حماية مصالحه العليا، وتقصيره في التخلص من التبعية وفي التوصل الى الاستقلال الحقيقي.**

بالرغم من كل هذا فان النظام البطركي على جانب كبير من الدهاء والمقدرة على البقاء. فهو قادر على حجب ماهيته البدائية المختلفة بمظاهر الحداثة والرقي، فيبدو كانه مجتمع متطور على وشك الانتقال الى مرحلة اجتماعية اقتصادية اعلى. وهو قادر على اشباع نهم طبقاته الاجتماعية المسيطرة وفي الوقت نفسه على تخدير جماهيره الواسعة.

(٣)

نحن بحاجة الى اسلوب تحليل علمي يمكننا من نقد الحضارة البطركية الجديدة نقدا علميا شاملا ومن الكشف عن حقيقتها الداخلية. والسؤال هنا هو التالي : كيف يمكننا تمييز النظام البطركي عن النظام الحديث؟ ما هي المقولات الاجتماعية والفكرية والسياسية التي تحدد هذا التمييز وتبينه مباشرة؟

ان الحداثة (modernity) في تركيبها وقيمها تتميز جذريا عن البطركية الحديثة (neopatriarchy)، وفي المقارنة التالية بين مقولات الحداثة ومقولات البطركية التي استمدها من كتابي «دراسة في الحضارة البطركية» يبدوهذا واضحاً:

المقولة	الحداثة	البطركية
المعرفة	الفكر/العقل	الفكر الاسطوري/ العقيدة
Knowledge	Reason/Thought	Belief/Myth
الحقيقة	الحقيقة العلمية	الحقيقة الدينية
Truth	Science	Religion
اللغة	التحليل	الخطابة
Language	Analytical	Rhetorical
النظام	ديمقراطي/اشتراكي	سلطنة/ البطركية الجديدة
Government	Democratic/Socialist	Sultanate/Neopatriarchy
العلاقات الاجتماعية	افقية	عامودية
Social Relations	Horizontal	Vertical
البنية الطبقية	الطبقة الاجتماعية	العائلة/العشيرة/الطائفة
Social Stratification	Class	Family/Clan/Sect

ان المجتمع البطركي محافظ بطبيعته، يرفض التغيير، ولا يقبل به الا في حالتين:
اولا، عندما يفرض عليه من الخارج، كما حدث في مجتمعنا منذ بداية الغزو الاوروبي.
وثانيا، عندما يكون التحديث ضرورة حيوية للحفاظ على الذات، لكنه في كلتا الحالتين لا يأخذ بالتغيير الا جزئياً و بعد ان يكيفه لمقاصده، فيتحول التحديث الى آلية محافظة على الوضع القائم بدلا من تغييره.

لهذا نسمي حداثة المجتمع البطركي بالحداثة البطركية، فهي حداثة مزيفة لا

تسير بالمجتمع الى الحداثة الحقيقية بل الى المجتمع البطركي الحديث، انها حداثة مهما ادخلت من تغييرات، لا تغير البنية الاجتماعية القائمة، ولا تمس منها الا مظاهرها الخارجية. قد تغير الصورة لكنها لا تغير الاصل.

(٤)

لا اريد الاطالة في تعريف ما ندركه جميعا اذا ما اتيح لنا ان ننظر الى ما حولنا من خلال المفاهيم التحليلية الاولية كما نفعل الآن، واود ان انتقل الى السؤال التالي:

ما الذي يجلب الحداثة في البنية الاجتماعية و بالتالي في تركيب الفرد النفسي. وما الذي يمنع قيامها او يشوهها؟ او، بعبارة اخرى، كيف يمكن تجاوز المجتمع البطركي الحديث واقامة المجتمع الحديث فعلا؟

ان العقبة الكبرى التي تمنع التغير الجذري ــ وتحول دون قيام الحداثة الحقيقية ــ هي الحضارة البطركية نفسها. فهي قادرة بكونها في مركز السلطة، ان تحافظ على نفسها وعلى علاقاتها وقيمها، وذلك ليس بالقوة او الاكراه بل من خلال العائلة والمدرسة والجامعة ومركز العمل ومؤسسات الدولة. وهي قادرة، من خلال هذه البنى والمؤسسات، على الحؤول دون تطور وقيام علاقات المساواة والتعاون والحرية والاستقلال الذاتي التي تمكن المجتمع وافراده من تجاوز هذه الحضارة وتغيير بنيانها الاجتماعي من الداخل.

ان نجاح البطركية الباهر انما هو الذي ادى الى فشلها الحضاري الشامل. اقول الفشل الشامل لأن المجتمع البطركي الحديث قد فشل حتى في تحقيق الانجازات البدائية للمجتمع البورجوازي الذي يسير في ركبه، كالديمقراطية السياسية مثلا، وهيمنة القانون، وحقوق الانسان. ولقد اكتفى بتقليد نظامه الاقتصادي المستغل وعلاقاته الطبقية الظالمة. لكن اخطر مظاهر النظام البطركي الاجتماعية هي التي

تكمن في التناقض الذي تنميه علاقاته الاجتماعية بين الفرد والمجتمع، بين المصلحة الخاصة والمصلحة العامة، والذي هو انعكاس للتناقض في كافة المجتمعات الرأسمالية بين الانتاج الاجتماعي من جهة والملكية الخاصة من جهة اخرى. وهذا التناقض ينفي في مجتمعنا القائم اعمق القيم الانسانية في تراثنا، كاحترام الوالدين ومن هم اكبر سناً، والطاعة الراضية لا الطاعة المكرهة، واللطف في التعامل حتى مع من هم ادنى منا منزلة، والوفاء بالوعد بالرغم من كل مصلحة مادية، والضيافة الحقة، والنفس السمحاء، والايمان النقي من كل غاية.

لهذا اقول ان مرحلة البطركية الحديثة التي نمر فيها اليوم هي من اقصى مراحل التحول الاجتماعي في تاريخنا واخطرها بالنسبة لمستقبلنا القريب والبعيد.

(٥)

اود ان اتناول الآن بايجاز الموضوع الاخير في كلمتي، وهو موضوع التناقض الداخلي في الذات البطركية بين قيم التبعية (heteronomy) وقيم الاستقلال الذاتي (autonomy).

ينعكس هذا التناقض في نظامين اساسيين للقيم المجسدة في العلاقات الاجتماعية، الاول يقوم على الطاعة والخضوع، اي على اخلاقية التسلط Ethics of authority والآخر على قيمة العدالة والاحترام المتبادل، أي اخلاقية الحرية (Ethics of freedom).

يقول العالم النفسي السو يسري بيير بياجيه ان الطفل عندما يبلغ السابعة او الثامنة من العمر يدخل بشكل طبيعي في مرحلة الخضوع والطاعة في علاقته بوالديه والكبار حوله. في هذه المرحلة يتقبل الطفل اوامر الوالدين او من يمثلهما دون تردد طالما كانا معه جسديا. اما في حالة غياب الوالدين فينتهي لدى الطفل نظام الاوامر اي نظام الطاعة، ولا يعود لهذا النظام سلطة على الطفل الى ان يحضر الوالدان او من يقوم مقامهما فتعود هيمنة اخلاقية السلطة.

في مرحلة لاحقة، عندما يصبح الطفل في الحادية عشرة او الثانية عشرة من عمره، تتحول سلطة الوالدين بالنسبة للطفل من سلطة خارجية (اوامر) الى سلطة داخلية مندمجة في النفس (internalized) . في هذه المرحلة يتقبل الطفل ما يؤمر به فقط من الذين يعتبرهم اعلى منه منزلة (فهو لا يتقبل اوامر اقرانه. مثلا، او اوامر من هم اصغر منه سناً). و ينبع هذا السلوك الجديد من شعوره بالاحترام لمن هم اعلى منه منزلة، و بخاصة والديه لسببين : **لخوفه منهم ولمحبته لهم بآن واحد.** و يكون هذا الشعور بالاحترام في هذه المرحلة علاقة وحيدة الجانب، اي انها تربط، كما يقول بياجيه بين من هو ادنى مكانة و بين من هو اعلى مكانة، وهي بذلك ليست علاقة **متبادلة** تقوم على احترام متبادل. ولهذا فانها تعزز في الطفل أخلاقية الخضوع وانصياعه لارادة اخرى خارجة عنه، الى ان يدخل، بالتعاون مع والديه والكبار حوله، في مرحلة نفسية جديدة، تنقله من مرحلة الخضوع والتبعية (heteronomy) الى مرحلة الاستقلال الذاتي (autonomy). ولا يحدث هذا الا عندما تستبدل علاقة الاحترام الوحيدة الجانب بعلاقة الاحترام المتبادل، فتنشأ في نفسه اخلاقية الحرية، اخلاقية المساواة والعدالة. و يقول بياجيه انه عندما يدخل الطفل في هذه المرحلة يصبح قادرا على النقاش والتعاون، وعلى التمييز بين «العادات» و«المثال العقلاني» (rational ideal)، وفي هذه اللحظة يذوب نظام القهر ويحل مكانه نظام التعاون الحر.

والنقطة التي اريد ان اشدد عليها هي ان مرحلة الانتقال هذه تبقى في العائلة البطركية مرحلة غير مكتملة، اي ان قيم الخضوع والطاعة والعلاقات الهرمية تستمر في هيمنتها بشكل آخر، وتبقى قيم الحرية والتعاون والمساواة قيماً لفظية فاقدة المفعول على الصعيدين الاجتماعي والنفسي. وتكون النتيجة، حسب قول العالم النفسي فلهلم رايخ، ان المجتمع يفرز «انساناً يخاف من الحياة ويخاف من السلطة، مما يمكن حفنة من الافراد المسيطرين على اخضاع شعب بكامله» .(١).

Wilhelm Reich, The Sexual Revolution (New York, 1970), (1) P. 72-

لنتوقف هنا قليلا لنرى اذا كان بامكاننا ايضاح المغزى الاجتماعي لمرحلة الانتقال هذه وسبب عدم اكتمالها في العائلة البطركية.

ان المغزى الاجتماعي لهذه المرحلة يعود الى ما ذكرته حول العلاقة البنيوية بين الذات الاجتماعية، اي الذات التي يحتاجها المجتمع لانتاج ذاته، والنظام الذي يقوم عليه هذا المجتمع. وحلقة الوصل بين هذه الذات وهذا النظام هو المؤسسة الاجتماعية الاولية التي ترتبط بها كل مؤسسة اجتماعية اخرى، وهي مؤسسة العائلة او الاسرة. ان ادنى متطلبات المجتمع البطركي الذي يقوم على العلاقات الهرمية هو المحافظة على النظام الابوي في العائلة، الذي يشكل ضمانة استمرار القيم الابوية والعلاقات الهرمية في المجتمع من خلال الفرد الذي يصنع في العائلة. ولكن العلاقة بين المجتمع والعائلة ليست وحيدة الجانب، بمعنى انه اذا جرى تغيير في النظام العائلي ادى ذلك الى التغيير الاجتماعي. فالعلاقة جدلية وما يجري في جانب منها يجري في الجانب الاخر، فيتفاعل الاثنان تفاعلا مباشرا لانتاج العلاقة ذاتها بمحتوى اعلى واكثر تقدما. لكن مصدر التفاعل، اي مصدر التغير في محتوى العلاقة، لا يمكن ان يحدث داخل العائلة، بل انه يبدأ داخل المجتمع. فالمجتمع الزراعي الساكن، مثلا، الذي ينتج كفافه و يستهلك كامل نتاجه هو مجتمع لا متغير ولا فعالية فيه، وتكون العائلة فيه بنية جامدة تعكس علاقاتها ــ المحافظة علاقات هذا المجتمع ونظامه. فقط عندما يحدث ما يغير من القوى الفاعلة في المجتمع، على صعيد مادي، تبدأ عملية التغير الجدلية فتظهر ملامحها الاجتماعية اول ما تظهر في العائلة والعلاقات السائدة فيها.

(٦)

وسؤالنا الاخير هو: ما هي الطرق الى التغيير الاجتماعي، وما هو المخرج من المجتمع البطركي؟

ان التغيير الاجتماعي ، كما يعلمنا التاريخ، هو عملية من اصعب وادق واخطر

التجارب الانسانية، والتغير لا يحصل بعامل الارادة وحدها ولا يسير نحو هدف يحدده المجتمع بمحض ارادته. بل هو نتيجة عوامل وقوى مختلفة، ذاتية وموضوعية، اجتماعية وحضارية، تترابط وتتداخل بعضها ببعض.

بالنسبة لمستقبل مجتمعنا البطركي الحديث يمكن القول ان مصير عملية التغيير الاجتماعي فيه تتوقف على ثلاثة عوامل داخلية:

اولا: على حصول تغير في الذات الاجتماعية من خلال التغير في تنشئة الطفل. لقد دخل مجتمعنا في عملية تغيير واسعة بسبب تغير اسلوب وكمية انتاجه وبالتالي في علاقاته الداخلية خاصة داخل العائلة، واصبحت العائلة العامل الاجتماعي الاول في عملية التغيير الاجتماعي الطويلة المدى. ولا مخرج هناك من الدورة المفرغة، دورة انتاج الذات البطركية التي تنتج المجتمع البطركي الذي ينتج الذات البطركية، الا بكسرها عن طريق تغير العلاقات العائلية تغييرا جذريا لصنع ذات اجتماعية جديدة تعتمد في علاقاتها مع الاخرين لا على السيطرة والخضوع بل على التعاون والمساواة والعدالة والحرية. من هنا يبدأ بناء مجتمع حر مستقل تسوده العدالة والمساواة. وبهذا المعنى فان الحرية والاستقلال ليسا شعارين سياسيين ينتهي دورهما باعلان السيادة والاستقلال، بل انهما الركيزتان الاساسيتان لتجاوز الحضارة البطركية في البنية النفسية للفرد كما في الصرح الحضاري للمجتمع.

ثانياً: على تحقيق تحرير المرأة، ليس فقط على صعيد النية الحسنة والخطب الرنانة بل على مستوى القانون والممارسة الاجتماعية. وذلك يتطلب المساواة في التنشئة في مرحلة الطفولة بين الذكر والانثى، وفي المعاملة ضمن العائلة وفي المدرسة وفي الجامعة ومكان العمل. وهو يعني اتاحة فرص الاستقلال الاقتصادي، فتصبح المرأة قادرة على اعالة نفسها والتخلص من عبوديتها المادية للرجل، التي هي مصدر عبوديتها الاجتماعية. وهذا بدوره يعني التشريع الذي يحميها من سطوة المجتمع البطركي الذي هو اعنف مجتمع ذكر في التاريخ، بتأمين حقها في العمل والوراثة والطلاق ورعاية الاطفال والتأمين الاجتماعي الكامل.

ثالثاً: على تعزيز الاسرة النووية، التي هي السلاح السري الاول المتواجد داخل المجتمع البطركي القادر على تغييره من الداخل. ان السلطة البطركية وكافة القيم والعلاقات التي تقوم عليها انما ترتكز على العائلة البطركية الممتدة وارتباطاتها العرقية والعشائرية، والاثنية. ولا يمكن للطفل ان ينشأ حرا، وللمرأة ان تسترجع انسانيتها، وللرجل ان يسترجع احترامه لذاته، طالما بقيت العائلة البطركية على حالها. الا انه ليس مثل الطاقة المادية قادرة على تغيير اسس النظام الاجتماعي بما فيه النظام العائلي. لهذا اقول ان الاسرة النووية اليوم تشكل القوة الموضوعية الكبرى الفاعلة في تجاوز العلاقات البطركية العائلية والاجتماعية، وفي وضع اسس النظام الذي سيمكن المرأة والطفل والرجل من تحقيق انتصارهما على البطركية واقامة الاسرة الديمقراطية، التي هي حجر الزاوية في المجتمع الديمقراطي.

وختاما، اعيد القول، ان هذه التحولات لا يمكن لها ان تعتمد على العامل الذاتي فقط. بل ان الاعتماد في المكان الاول هو على القوى الموضوعية التي تفعل في المجتمع البطركي من خلال تناقضاته الاقتصادية والاجتماعية والنفسية والحضارية، وهي المؤهلة لكسر دورته المفرغة على الصعيد الاجتماعي العام.

واني في تركيزي على العامل الموضوعي هذا، لا انفي دور الارادة الذاتية في التغيير الاجتماعي، ومن هنا كان اصراري على اهمية تنشئة الطفل في الاسرة. الا ان الحضارة البطركية بدهائها قد اخضعت العائلة والذات لارادتها وجعلتها جزءاً منها وبالتالي خادمتين لمصالحها ولمتطلباتها عن وعي او عن غير وعي.

غير ان التحولات الاجتماعية الموضوعية التي ذكرت لابد ان تتوصل الى اختراق هذا الحصار. وعند ذلك ستتحول الارادة الذاتية في العائلة وخارجها الى عامل اجتماعي فاعل، قادر على امتلاك ناصية القوى الاجتماعية وتسييرها باتجاه بناء مجتمع حر، غير تابع، تسوده المساواة والعدالة الاجتماعية.

تعقيب

الشيخة/ الطاف سالم العلي الصباح

شكرا للدكتور هشام شرابي على بحثه القيم والمثير للكثير من القضايا الحيوية التي تهم واقعنا العربي.

فالمجتمع العربي المعاصر يعيش ازمة حضارية وازمة تحول وانتقال جذري هائل تتطلب الاهتمام بفهم الأوضاع الاجتماعية والسياسية والثقافية والاقتصادية، مثلما تتطلب ضرورة التعمق في فهم الشخصية العربية ومقوماتها.

من هذا المنطلق يمثل بحث الدكتور هشام الشرابي دعوة للوعي بذاتنا وتطويرها ضمن احتياجاتنا المعنوية والمادية ويمثل نقدا جزئياً لواقعنا العربي بكل ما فيه من نقائص ومتناقضات.

والتساؤل الرئيسي الذي فعلا يثير الاهتمام هو: ما هي العوامل التي ادت الى ظهور تلك المقومات السلبية التي تسود المجتمع العربي؟

عسى ان يساعد البحث في هذا المجال علاج العناصر السلبية والضعيفة وتقوية العناصر الايجابية. لاننا فعلا نعاني، واخطر ما يهدد المريض ان ينكر مرضه وراء اوهام الصحة.

سأتناول بايجاز نقطتين اساسيتين يتطرق لهما هذا البحث تكادان تكونان محور الدراسة بابعادها العلمية والفكرية، طبيعة المجتمع العربي وسبل تطويره، او بالاحرى تغييره نحو الحداثة الحقيقية. والطفل هنا اساس التغيير.

يعرف الباحث المجتمع العربي بالتالي:ـــ
مجتمعنا ليس تقليديا، ليس حديثا، ليس مخضرما.
بل هو ما يطلق عليه بالبطركي:ـــ

١ ـــ هو خليط متضارب من القيم التقليدية والمستحدثة.
٢ ـــ مجتمع تابع ينقصه الاستقلال الذاتي، وهذا يذكرنا بمقولة ابن خلدون «ان المغلوب مولع ابدا بتقليد الغالب». اذا فانه مجتمع مغلوب على امره.
٣ ـــ مجتمع متناقض في قيمه ووظائفه وممارساته، ولكنه قادر ان يحجب مظاهر ذلك التخلف بمظاهر الحداثة والرقي.

نظريا تمر المجتمعات عبر مراحل متتالية من التقليدي الى الانتقالي فالحديث.

والمخيف في تحليل د. شرابي هو ان مجتمعنا او ما يطلق عليه المجتمع البطركي والذي يمثل المجتمع العربي المعاصر يتجه الى المزيد من التخلف بدلا من ان يتجه نحو التطور والنمو الافضل، فمثلا المجتمع النيو بطركي كما يصوره الباحث (ص ٦) ينفي اعمق القيم الانسانية التي كانت موجودة في مرحلة المجتمع البطركي القديم كاحترام الوالدين، الطاعة الراضية لا الطاعة المكرهة.. والخ.

ان تحديات العصر تفرض علينا ان ننظر الى واقعنا الاجتماعي باسلوب علمي وان نواجه انفسنا بالدقة العلمية والنقد التحليلي، والمجتمع العربي حظي بدراسات اجتماعية وانثربولوجية قليلة اذا ما قورنت بمجتمعات مختلفة في افريقيا، اسيا واوروبا، وما يقدمه د. شرابي هو تطورات بحاجة الى التحقيق والتحليل بشكل اعمق. ومع تقديري للكثير من الجهود الفردية لدراسة المجتمع العربي، الا انه عمل يستوجب تضافر فريق من العلماء والمختصين حتى يأتي بالشكل المتكامل. لذا تبرز الحاجة الى ضرورة مدخل شمولي ومتكامل في دراسة واقع المجتمع العربي.
ولابد من الاشارة بأن وضع تعريف للمجتمع العربي مهمة شاقة وعسيرة وتستوجب ان تبدأ بطرح التالي:ـ
ـــ ما هي المقومات الاساسية للمجتمع العربي.

ـ ما هي سمات التشابه والاختلاف فيه.
ـ ما هي الايجابيات والسلبيات المادية والمعنوية فيه.

حتى نتوصل الى تعريف متكامل علينا ان ننظر الى المجتمع العربي بشمولية تأخذ في عين الاعتبار ما يلي:ـ
ـ المقومات الذاتية والخاصة للثقافة العربية
ـ البعد التاريخي وابراز العوامل التاريخية في تكوين تطور المجتمع العربي.
ـ دراسة النظم الاجتماعية في المجتمعات المحلية المختلفة للخروج بالانماط السائدة كأساس للمقارنة العلمية الدقيقة.
ـ البعد الجغرافي ـ التعرض لايكولوجيا العالم العربي (البدوية ـ الزراعية الحضرية) وما تفرزه من انماط اجتماعية وانساق ثقافية.
المنهج السليم اذا هوأن نبحث في الواقع ونتبين مشكلاته ونتقصى بعد ذلك الحلول الممكنة لتلك المشكلات.

السؤال التالي والمكمل لبحث د. شرابي، هو:ـ
ما هو المخرج من المجتمع البطركي، وما هو الطريق الى التغيير الاجتماعي؟
يتوقف مصير هذا التحول عند الباحث على العوامل التالية:ـ
ـ تغير في الذات الاجتماعية من خلال التنشئة للطفل.
ـ تحرير المرأة.
ـ تعزيز الاسرة النووية.

يسعى الدكتور شرابي الى التغير في بحثه القيم هذا، وما ينشده التغيير الجذري لمعالجة ازمتنا الحضارية و يقرر في بحثه ان تغير المجتمع يقضي بتغير الاسرة التي تصنع الذات الاجتماعية، والعكس بالعكس
فيقول: لا مخرج من الدورة المفرغة دورة انتاج الذات البطركية التي تنتج المجتمع البطركي الذي ينتج الذات البطركية الا بكسرها عن طريق تغير العلاقات العائلية

تغيراً جذرياً. (ص ١٠). فالعلاقة جدلية بين المجتمع والاسرة وتمثل تأليفاً يؤثر و يتأثر بالآخر. وهذا الهدف الاصلاحي قد يبدو مثالياً اكثر من كونه موضوعيا في ظل سلبية الواقع الاجتماعي المعاصر، ولكنه بالطبع ضروري. والمعادلة الصعبة والمطلوبة لتحقيق هذا التطور الذاتي، هي في ايجاد وسيلة للتوفيق بين الاستمرارية والتجديد في عملية التنشئة الاجتماعية للطفل، بحيث يمكننا اعداد الطفل لعصر يختلف عن مفاهيم عصر الآباء مع الابقاء على الجوانب الايجابية في البناء الاجتماعي.

المجتمع يفرز او ينتج الذات التي تتلاءم مع قيمه وخصائصه و بنيته الاجتماعية. في المجتمعات التقليدية تكون عملية التنشئة وسيلة نقل واداة محافظة على النمط الثقافي والاجتماعي السائد حتى يتم تلاؤم الفرد مع بيئته. ولكن مع المتغيرات السريعة تبرز الحاجة الى تنشئة الطفل بشكل يستطيع من خلاله استيعاب متطلبات التغير والتأقلم معها. ومن هذا المنظور تصبح عملية التنشئة اداة تطور وتغير بحد ذاتها.

هذه العملية، عملية التغير في الذات تستوجب أولا تحديد الأهداف والوظائف والادوات الاجتماعية المطلوبة للاسرة العربية المعاصرة، وهذا ما ينقلنا الى بلورة دور الام والاب وتوضيح مهامها المختلفة.

ومن هذا المنطلق يكون اهتمامنا بدور المرأة في تطور المجتمع العربي، فمكان المرأة في الاسرة العربية يعتبر محورياً، فهي تلعب دوراً اساسيا في عملية قبول مظاهر التغير واتخاذ القرارات الأسرية. وللأم دور فعال في عملية التربية والتنشئة و بالتالي يمكن اعتبارها احدى الدعائم الاساسية للتقدم والتطور الاجتماعي. وعليها ان تتحمل مسؤولية بلورة دورها الفعال في عملية النمو الانساني.

يستعمل د. شرابي مصطلح تحرير المرأة وأنا شخصيا افضل استعمال مصطلح تحقيق حرية المرأة وليس تحرير المرأة. فالحرية تبدو ايجابية وخلاقة كمفهوم اكثر من

التحرير والذي يفترض التخلص من قيود سابقة، ما هي الا قيم تفرزها طبيعة الانماط الاجتماعية السائدة.

والمطلب الاساسي في هذا المجال هو تأكيد الحق المتكافىء للرجل والمرأة وتغير مسار الثقافة الراهنة حتى تصبح ثقافة اكثر انسانية تحمل طابع العلم المشترك للرجل والمرأة في عملية الخلق الاجتماعي.

نحن في حاجة الى تأسيس ثقافة انسانية مشتركة تحتضن مؤسسة الاسرة وتساعد في تهيئة سبل تنشئة سليمة للذّكر والأنثى مبنية على العدل والمساواة واحترام الذات.

النقطة الاخيرة في عملية التغير هي الاسرة النواة.

بدأت الاسرة في العالم العربي تمر بتعديلات نتيجة المتغيرات المادية والتحضر ووسائل التحديث المختلفة كالتعليم والاتصال الاعلامي والى ذلك من مستحدثات أهمها:ـــ

ـــ حجم الاسرة ، عدد الافراد.
ـــ نوع الاسرة، الأسرة النواة بدل الاسرة الممتدة.
ـــ تقلص وظائف الاسرة.
ـــ تغير الادوار الاجتماعية للافراد وعلاقاتهم التنظيمية.
ـــ القيم والتقاليد المرتبطة بمفهوم الاسرة.

وبالرغم من ان هناك علماء الاجتماع والانثربولوجيا الذين اعترفوا بأثر التغير على الاسرة العربية وظهور الاسرة النواة او الزوجية، الا انه لا تزال الاسرة الممتدة هي النموذج العام السائد وخاصة في المجتمعات الريفية، قد لا تأخذ الشكل التقليدي من حيث السكن اي البناء العام ولكنها تقوم بنفس الوظيفة وتتطلب نفس الاداء.

إذا ما زالت أبعاد القرابة مبدأً أساسيا في التنظيم الاجتماعي. وعلاقات القرابة

الاسرية قوية في المجتمع العربي الحالي من خلال اشكال مختلفة من الاتصال. (ف . الثاقب ١٩٧٦).

ان الاتجاه نحو الاسرة النواة هو السائد في المجتمعات العربية المعاصرة وخاصة الحضرية فيها، ولكن بالنسبة للبعض هوالنظام الامثل ظاهريا وشكليا، وتبقى صلات القرابة التقليدية والتي تعتبر الاسرة وحدتها الاساسية فعالة. والاطار الديني للمجتمع العربي يلعب دورا هاما كأداة محافظة على تلك الانماط القرابية التقليدية. (.أ. عثمان ١٩٧٦).

ضمن هذا الاطار والتغير الشكلي للاسرة النواة من الصعب ان نعتبرها «القوة الموضوعية الكبرى الفاعلية في تجاوز العلاقات البطركية العائلية والاجتماعية وفي وضع أسس النظام الذي سيمكن المرأة والطفل والرجل من تحقيق انتصارهما على البطركية واقامة الاسرة الديمقراطية» . ص ١١.

وانا ارى اتجاه المستقبل في سيادة مجتمع الدولة على مجتمع القبيلة وكلما تخلت الاسرة عن المزيد من وظائفها القديمة مثل الانتاج، التعليم، التشريع العقاب.. الخ، نتيجة ظهور المؤسسات الاجتماعية المختلفة ستتقلص تبعية الفرد للاسرة لتضاف لحساب الدولة.

اذا كان التغير هدفنا، فالتغيريبدأ بالتساؤل والتشكيك، ان كنا نريد فعلا استعمال العقل في عملية فهم الحقيقة. والاهتمام بالتطور الانساني والاجتماعي يستلزم التساؤل عن حقيقة كل فكرة وكل مؤسسة ودورها في مساعدة او اعاقة الانسان الفرد في تحقيق ذاته.

وهنا تبرز ظاهرة تعترض التطوير الحقيقي للاتجاهات والانماط الاجتماعية. قد نحاول ان نخلق قيما جديدة ولكن سرعان ما نجدها قد تلبست مضامين القيم

القديمة، ولم يبق من الجديد الا شكله وقالبه. نحن في حاجة الى مراجعة فاحصة لكثير من مؤسسات التجديد عندنا كالمؤسسات التعليمية، المدارس، الجامعات، وسائل الاعلام والتخطيط.. وغيرها، حتى نصل الى سبل التغيير الصحيح وتنمية الفرد والمجتمع بشكل متكامل.

وفي الختام اشكر الجمعية الكويتية لتقدم الطفولة العربية لاتاحتها الفرصة للالتقاء بنخبة مختصة ومهتمة في فهم ومعالجة واقعنا الاجتماعي علمياً ورعاية الطفل فيه كأساس للرقي والتطور الاجتماعي.

مناقشات

د. حسن الابراهيم: باسم الجمعية اقدم الشكر للدكتور هشام شرابي على بحثه القيم وللأخت الطاف سالم العلي لتعقيبها العلمي الدقيق. اريد ان اسأل الدكتور شرابي، هل المجتمع البطركي الحديث ناتج عن الفترة التي خضع العرب فيها للسيطرة العثمانية حوالي (٥٠٠) عام وكمثال على ذلك ظاهرة الطاعة والخضوع للراشدين وبالنسبة للانسان مع الحاكم، وكتبنا في التراث العربي ــ الاسلامي تزخر بامثلة على الشجاعة. اما التاريخ الحديث فقد روى احد الرحالة في الجزيرة العربية في مطلع هذا القرن مثالا عن مدى الاحترام المتبادل بين الطفل والراشد في القبائل بالجزيرة العربية، فاذا كانت القبيلة تزمع الرحيل فيناقش هذا العزم على مستوى الجميع حتى الاطفال، و يقارن هذا الوضع مع الطفل التركي وكيف هو خاضع للكبار. فهل ياترى هي المدنية والحضرية التي انتجت لنا الخنوع والطاعة المطلقة، أرجوان يحدثنا د. هشام عن جذور هذا المجتمع البطركي الحديث.

د. هشام شرابي:

من الصعب الدخول في جذور الموضوع، ولكنني اجري دراسة حوله أفصّل فيها بشكل تاريخي واجتماعي ونفسي ما اعنيه بمفاهيم البطركية الاولى والبطركية التقليدية والحديثة والبطركية كمفهوم عام.. ولكن اود ان الفت النظر الى ان المجتمع العربي كما يشعر كل فرد متبصر في واقعه هومجتمع في ازمة شديدة، فمفهوم البطركية هومفهوم في غاية الدقة ارجوان اتمكن من تحديده واظهاره بشكل شامل عندما تنتهي الدراسة في اخر هذا العام.

د. احمد عبد الله:

في استعراضه لكيفية التمييز بين النظام البطركي القديم والحديث ذكر الدكتور عدة عناصر.. واتفق معه فيها ما عدا عنصرا واحدا وهو الذي يميز فيه بين النظام البطركي القديم والحديث بأن هذا يتبنى العلم في حين ان الاول يتبنى الحقيقة الدينية،

وسؤالي هل بالضرورة يجب ان يكون هناك تعارض بين العلم والحقيقة الدينية؟ اعتقد بامكاننا تخفيف هذه العبارة بعبارة الفكر الديني الخاطىء، لانني لا ارى هناك اي تعارض بين تبني العلم والحقيقة الدينية كمعتقدات. والنقطة الاخرى، اعتقد ان المتغير الجوهري في موضوعنا كان التسلط او العبودية، وهنا اعتقد ان الثقافة اليابانية تميزت في يوم ما بالتسلط. وظاهرة الانتحار الغيري هو احد افرازات ذوبان الفرد الياباني داخل الاسرة وداخل نواة الاسرة، ومع ذلك لم تفقد اليابان ذاتها ولا الفرد الياباني فقد ذاته.

النقطة الاخرى، ذكر الدكتور المحاضر ان التسلط الاسري هو احد اهم المتغيرات الاساسية في تحطيم الذات الفردية والاسرية وانه لا يمكن تجاهل الحلقة المفرغة التي يدور فيها هذا المتغير، فهناك نوع من العلاقة بين الذات الفردية والذات الاجتماعية وهما مؤثران في بعضهما، ثم الخروج الى تحطيم هذه الدائرة ولكن لا ادري كيف سيتم ذلك واين، من داخل الاسرة او في المجتمع.. اعتقد ان المؤسسات الاجتماعية الرسمية وغير الرسمية تحاول، على الاقل ظاهريا، ان تبين اهمية الحرية والذات والفرد والمساواة وغيرها ــ ومع ذلك فهي تحاول ان تجعل هذه الممارسات مستمرة بقدر الامكان وبالتالي اعتقد انه يمكن تحطيم الدائرة من خلال ممارسات المؤسسات التربوية.

د. محمد جواد رضا:

لقد طرح د. هشام قضية كبرى من القضايا العربية، لم تولد اليوم ولا امس وانما هي تحمل بذور وضع كان يفترض ان يزول مع مجيء الاسلام، الا انه بقي. واحب ان اعزز نظريته في البطركية من وجهة نظر تربوية، ان كل الرسائل التربوية التي كتبها المربون المسلمون كانت تبحث عن التأديب وليس عن التربية، مثل آداب المعلمين والمتعلمين. كيف تنشىء وفقا لنمط معين من الاستجابة نحو من هو اكبر سنا. وتقول امرأة من العصر الجاهلي: انشأ يمزق اثوابي و يضربني.

(أبعد شيبي يبغي عندي الادبا)وفي عبارة للاستاذ محمد حسنين هيكل: ان الحكام الآن اختصوا انفسهم بشؤون الدنيا وتركوا شؤون الاخرة لشعوبهم. وهذه نظرة

جديدة، بأن الخلاص هو في النظر للآخرة لغير الحكام في المجتمع العربي المعاصر. وقبل سنتين وفي ندوة في الجامعة العربية كان النقاش يدور حول قواتل الابداع في المجتمع العربي المعاصر، وطرحت نظرية باسم (الثورة المحجورة) في المجتمع العربي ــ والفكرة ان الاسلام كان هو الثورة الكبرى في تاريخ الامة العربية كما كانت الثورة الفرنسية والبلشفية للاتحاد السوفياتي.. وكل هذه الامم كانت بطركية وتغيرت وتحولت بدرجات مختلفة، لأن تلك الثورات كتب لها النجاح إلا الثورة العربية الاساسية وهي الاسلام فقد تصدت لها قوى الجاهلية في وقت مبكر ودخلت معها في صراع رهيب، افقدها حيويتها وكمثل على هذا الصراع مركز المرأة وكيف تعرض للمد والجزر بين ما اراده الاسلام وما ارادته قوى الجاهلية الاولى التي استعادت نشاطها بعد انتهاء الخلافة الراشدية. يقول القرآن في مسألة الزواج (الطيبون للطيبات والخبيثون للخبيثات) فلما جاء عصر الدولة نقيضا للخلافة نجد الفقهاء المسلمين يبتكرون مبدأ التكافؤ في الزواج و يقولون لابد ان يكون الزواج قائماً على التكافؤ الاجتماعي والاقتصادي ــ فالغني لا يتزوج فقيرة والعامي لا يتزوج من الخاصة، و بهذا عقم مبدأ انساني اراده الاسلام. في العصر الجاهلي كانت المرأة لا ترث فحاول الاسلام ان يحقق نوعا من العدالة (يوصيكم الله في اولادكم للذكر مثل حظ الانثيين) و بهذا اقر شيئاً من القيمه القديمة ولكنه اشرك المرأة في الميراث فلما انتهى عصر القرآن تحدث الفقهاء عن العصبة التي حددت بالذكور وليست بالاناث ولهذا اذا توفى الرجل عن بنات فقط ورث اخوانه نصف الميراث لانهم هم العصبة، الا مذهبا واحدا اعتبر البنت عصبة لابيها. هذه نماذج عن احباط عملية انقلاب في الحياة العربية الجديدة، والسؤال هل المجتمع البطركي هو ظاهرة خاصة في المجتمع العربي فقط أم هو ظاهرة تاريخية تجاوزتها مجتمعات اخرى . ومن أهم الكتب في هذا المجال (تكوين العقل العربي) للاستاذ محمد عابد الجابري يطرح نظرية متحدية و يقول ان المشكلة لم تتغير وتداخلت كل الازمنة، فنحن في حركة الى الامام والى الخلف دائماً، فلكي نعزز موقفا في الحاضر نعود فنستشهد بالماضي ولكي نبطل رأياً حاضرا نحتج بالماضي ــ ولذا فليست لدينا ازمنة ثقافية متحددة كما في الغرب مثل العصر الهليني والمسيحي الوسيط ثم الثورة الصناعية وغيرها.. وكل عصر يجب ما قبله من العصور

ويجعله علامة على مرحلة من مراحل التطور. اما نحن فان الزمن يتموج في اذهاننا، نتحدث عن الآن بمفهوم من الماضي ونسحب الحاضر على الماضي لكي نبرهن على مصداقيته رغم عدم وجود علاقة بين الاثنين في احيان كثيرة.

والسؤال يبقى هل الآمال التي نعلقها على التربية داخل الاسرة وفي المدرسة كفيلة وحدها بتحقيق ما نريد ان نحققه، فالبطركية الحديثة ذكية وماهرة وداهية في فرض سيطرتها، وان المؤسسة التربوية نفسها الآن هي احدى ادوات البطركية لتعزيز جذورها. فكيف يمكن تحويل الوسيلة هذه الى اداة لتقليص الوضع البطركي، اعتقد اننا امام جدلية معقدة جدا.

د. عبد الله الدنان:

ابدأ بوصف الدكتور شرابي للمجتمع البطركي بالدهاء الشديد، وانا اتساءل هل هو فعلا داهية ام ان الدهاء عبارة عن حقيقة تأتيه من خارج منطقتنا، هل هناك مستشارون لهذا الداهية الكبير، ولماذا يعتبر مجتمعنا البطركي الجديد هو الوحيد الداهية والشديد الدهاء والذي يحجب التقدم ويتمتع بهذا الذكاء الخارق؟

وأورد د. هشام مجموعة من المفاهيم في الحداثة والبطركية، انااعترف ان هناك فوضى مفاهيم في عالمنا العربي، وهذا في نظري لا يرجع لدهاء المجتمع البطركي ولكنه راجع للتخلف في دارستنا للغة والعلم والحضارة عندنا، فهناك علاقة جدلية بين الكلمة ومفهوم الفكر الذي تعبر عنه الكلمة والعكس صحيح، وتصرف الانسان يكوّن الفكر بمقدار ما يستوعب من الكلمة والا فانه لا يستطيع التصرف بما توحيه الكلمة فتضليل الفرد العربي عندنا سهل لان مفهوم الكلام غير واضح في ذهن الفرد عند بدئه مرحلة التعلم. وأقترح ان يضيف الدكتور شرابي الى التعابير التي اوردها كلمة العدل ومفهومها في الحداثة والبطركية وهي في اعتقادي كلمة اساسية جدا.

لقد اقترح الدكتور ثلاثة مفاصل اساسية: تثقيف الطفل، المراة، وتعزيز الاسرة،

ولا اختلف معه فيها وهي اساسية، ولكن التساؤل كيف يكون تثقيف الطفل اذا كان ما سيرضعه في المجتمع البطركي هو الغذاء الذي يكونه المجتمع، و بالتالي يشب عليه.

نقطة هامة بين نقاط زحزحة ثقافتنا للافضل هي الانطلاق الى المجتمع العربي المفاهيمي. فقديماً كانت النظرة قومية مثلا عند العرب والآن اصبحت اقليمية، وهذه نقطة خطيرة ، فكيف يمكن القفز على ذلك. اعتقد ان جزءاً من الخروج يكمن في تمكين الطفل من اداة العلم مستقبلا والثقافة حتى يستطيع قراءة ما لا يمكن ان يفرض عليه من خلال التلفزيون واحاديث الناس حوله.

النقطة الاخيرة، هل نحن الآن نبدأ من حيث انتهت المجتمعات الاخرى الحضارية ام من حيث بدأت.

د. محمد عودة:

هناك ثلاثة تساؤلات:

١ ــ الا تعتقدون اننا نعيش ازمة هوية اكثر من تحديد هوية؟ بمعنى اننا لسنا مجتمعا حديثا ولا بطركيا ولا مخضرما ــ فنحن في هذه المرحلة لا شيء بالتحديد بل نعيش ازمة الهوية.

٢ ــ امامنا مجتمعا البطركية والحداثة وهذا نموذج نظري رائع. هل هناك نموذج للحداثة حتى نتبين مدى نجاحه في تلافي المشكلات ؟

٣ ــ في عملية التغيير لست ادري اذا كانت عوامل التغيير قد كسرت الحلقة المفرغة ام انها لازالت قائمة؟ من سيغير من؟ هل القانون؟ ثم من يضع القانون.. و يبدو لي وكأننا نحن بحاجة لثورة شاملة يقوم بها مصلحون وعلماء.

د. عصام النقيب:

النقطة الاولى، بالحلقة المفرغة وكيفية التغيير وعوامله. اشار الدكتور هشام لقوى

خارجية للتغيير، والى تطورات اقتصادية تفرض علاقات اجتماعية جديدة، وهذه تخلق تناقضات ثم تغييرا. ولكن ماذا عن مصادر اخرى مثل الاماكن التي يحدث فيها بطبيعتها تفاعلات فكرية، وتسمح بالنقد والتحليل وتصور قيماً ومجتمعات جديدة، مثل الجامعات ودور الصحافة والمنتديات الفكرية وهذه اعتقد انها تلعب دورا هائلا.

النقطة الاولى، يحدث التغيير نتيجة تشريع ــ والتشريع اذا لم يعبر عن قيم جديدة فهو سطحي مثل التشريع الذي نستورده من الغرب. وهناك قوى صحية اخرى مثل ضرورة تغيير الاقتصاد وغيره.

د. هشام شرابي:

شكرا للمعقبة والاخوان، واقول ان ملاحظاتهم ستكون حافزا لتوسيع واعادة النظر واغناء ما اقوم به وافكر فيه حول هذه المواضيع. و بالنسبة لما اثير يعتبر كله صحيحا واتفق معه و يعطيني تفاؤلا بقدرتنا على التفاعل والتعامل مع ما يواجهنا بشكل علمي دقيق لن احاول الاجابة على الاسئلة والنقاط فهي ليست بالتحديد اسئلة بقدر ما هي ابعاد جديدة للقضايا التي اثيرت هنا. وسأكتفي فقط بالتعليق على بعض النقاط التي اثيرت.

١ ــ فيما يتعلق بموضوع العلم والدين، هناك في مجتمعنا اليوم نوع من التخوف على صعيد عام. عند ذكر الدين لا يستطيع العقل الا ان يقول نعم و يرضى بما يقال من منطلق ديني لاسباب سياسية واجتماعية واضحة فنحن الان في فترة طفرة دينية لها اسس اجتماعية نفسية عميقة ــ ولا اريد ان اتناول الاسلام هنا.. فانا مسلم وعربي اعالج مشكلة اجتماعية، ولكن اريد ان اقول انه من حيث المعالجات الاجتماعية التي نتناولها هناك الاسلوب الديني والعلمي والفلسفي التحليلي والاسلوب الشعري والفني الموسيقي. نحن كذات اجتماعية مفكرة شاعرة حساسة لها صفات ونواح وابعاد مختلفة ــ الحضارة نفسها ــ والحضارة هي التعبير عن الذات الاجتماعية.. ان احد هذه الابعاد هو البعد الديني، والسؤال هو هل نحن سنكتفي ببعد واحد لنشاط ووعي وتفريد هذه الذات ام لا.. فالذات الاجتماعية الحضارية تتغير تاريخيا وليست

شيئا ثابتا فقد كانت دينية محضة والدين كان غالبا على كل المجتمع التقليدي ولكن المجتمع الحديث يتطلب ابعادا اخرى.. و بنظري انه لا يجب طرح السؤال بصيغة ما اذا كان هناك تعارض بين الحقيقة الدينية والحقيقة العلمية فهذا ليس الموضوع — نقول اذن بالعقل و العلم والفن اذا اردنا الحفاظ على ذات لها صفات متكاملة.

٢ — بالنسبة للبطركية كظاهرة اجتماعية هي تاريخية اجتماعية تتصف بها كل الحضارات ولا تختص بالحضارة العربية.. و بالنسبة للمشكلة التي اثيرت عن التغيير عن طريق المؤسسة التربوية كيف لمؤسسة بطركية ان تتجاوز البطركية، هو طرح ممتاز، لانه لا يمكن تغيير الذات الا اذا كانت قادرة على الخروج من نفسها. فاذا قدرنا على النقد الذاتي فيمكن تجاوز الواقع حقيقة.

٣ — مصادر والية التغيير، كما اشرت في كلمتي هنا، هذا هو الموضوع الاساسي لاي تحليل في النهاية، وقد حاولت ان اشدد ليس على تقديم الحلول وانما على وضع المشكل في اطار تحليل موضوعي واضح وطرحه من الداخل وليس من الخارج اكاديميا. امكانية الحل؟ ايجاد الحلول لا يكون بوصفة او نظرية أو ايديولوجية تطبق كحل، بل الحل يأتي من خلال التحليل الهادىء المستمر الصادق الذي يقوم على مفاهيم دقيقة وصحيحة.

وما محاولتي لوضع أزمة المجتمع العربي من خلال هذا الطرح لهذه المفاهيم إلاّ لايجاد آليات للتفكير والنقد الذاتي وليس لتقديم حل.. وعلى كلمة حل لي كلمة، فهنا لا مكان للحتمية و بالتالي لا مكان لليأس. فمهما قلنا إن الوضع سيء مع وجود البطريركية الحديثة فهو شيء مخيف واشبه بشلل Disfunction نعانيه بكل نواحي الحياة و يغيب الحس عن المعاناة حين دخولنا في تجريدات الفكر. وامكانية التغيير بقدر ما نحن قادرون على النقد والوعي الذاتي، وعملية التغيير مزدوجة فهي ذات بعد ذاتي وموضوعي. عندنا متناقضات موضوعية لا يمكن ان يتجاوزها احد ايا كان وهناك الناحية الذاتية، اذ هناك افكار للعمل لمواجهة هذه الازمة على صعيد التشريع مثلا، وعلى صعيد المؤسسات كهذه المؤسسة (الجمعية)، وليس الجامعات العربية التي اخفقت في كل بلد عربي.

وهناك الضغوط الشعبية، ومهما كان ضغط البطركية فهناك شعب لم يمت ولن يموت.

د. سيف عباس:

اشكر الدكتور هشام على المفاهيم التي طرحها والتي ستبقى معنا، وكذلك الاخوة الذين القوا كثيرا من النور.. وكذلك الاخت الفاضلة الطاف التي القت سؤالا سيبقى معنا لفترة طويلة، كيف الخروج نحو التغيير الاجتماعي السليم.

الطفل العربي

حاضره .. ومستقبله*

*هذا هو موضوع الندوة السادسة من ندوات الموسم العلمي الثاني للجمعية (١٩٨٤ ــ ١٩٨٥) وقد عقدت مساء ٢٧/٥/١٩٨٥.

الطفل العربي

حاضره .. ومستقبله

رئيس الندوة : الدكتور : حسن الابراهيم — رئيس الجمعية
المتحدث الرئيسي : الأستاذ : عثمان لبيب فراج — الجامعة الأمريكية بالقاهرة

المشاركون

١ ــ الاستاذ/ انور النوري	عضو الجمعيه
	رئيس مجلس الادارة — بنك الكويت الصناعي
٢ ــ د. أحمد بستان	جامعة الكويت
٣ ــ د. أحمد عبد الله	جامعة الكويت
٤ ــ د. اسامة الخولي	معهد الكويت للابحاث العلمية
٥ ــ د. بدر العمر	جامعة الكويت
٦ ــ د. رجاء ابو علام	جامعة الكويت
٧ ــ د. سعد عبد الرحمن	جامعة الكويت
٨ ــ د. صادق جعفر اسماعيل	جامعة الكويت
٩ ــ د. قاسم الصراف	جامعة الكويت
١٠ ــ د. كافية رمضان	جامعة الكويت
١١ ــ د. ليلى حبيب	جامعة الكويت
١٢ ــ د. محمد جواد رضا	جامعة الكويت
١٣ ــ د. محمد عودة	جامعة الكويت
١٤ ــ السيدة/ حصة الشاهين	معهد التربية للمعلمات
١٥ ــ السيدة/ فاطمة نذر	معهد التربية للمعلمات
١٦ ــ السيدة/ فوزية الهادي	معهد التربية للمعلمات
١٧ ــ د. عزيزة حلمي	الصندوق العربي للانماء الاقتصادي والاجتماعي
١٨ ــ د. وليد الشريف	منظمة الاقطار العربية المصدرة للنفط (اوابيك).

الطفل العربي

واقعه ... ومستقبله

بقلم : د. عثمان لبيب فراج

مقدمة منهجية

تعتبر مرحلة الطفولة من اهم مراحل نمو الفرد وتكوين شخصيته ان لم تكن اهمها جميعا، سواء بالنسبة للفرد نفسه من حيث قدرته على تحقيق الاستقرار والتوافق والاستمتاع بحياته وتكوين اسرة سليمة او من حيث قدرته على المساهمة في تنمية مجتمعه ووطنه وادراكه لمسؤلياته كمواطن سيحمل تبعة تنفيذ برامج التنمية ودفع عملية التطور والتحديث مستقبلا ومرحلة الطفولة هي مرحلة تكوين واعداد فيها ترسم ملامح شخصية الفرد مستقبلا، فيها تتشكل العادات والاتجاهات وتنمو الميول والاستعدادات وتتفتح القدرات وتتكون المهارات وتكتشف وتمثل القيم الروحية والتقاليد والانماط السلوكية، وخلالها يتحدد مسار نمو الطفل الجسمي والعقلي والنفسي والاجتماعي والوجداني طبقا لما توفره له البيئة المحيطة بعناصرها التربوية والثقافية والصحية والاجتماعية، وفي الاطار الذي رسمت حدوده ومداه وما منحته الطبيعة عن طريق الوراثة من قدرات واستعدادات.

ان ظروف وخصائص البيئة التي يعيش فيها الطفل والتفاعل الذي يحدث بينها وبين قدرات وحجم وكفاءة اولئك الذين سيدخلون قوة العمل مستقبلا والذين سيكون من بينهم في القرن الواحد والعشرين قيادات المجتمع العربي في المجال السياسي والاقتصادي والاجتماعي والحضاري تلعب دورا كبيرا في رسم أبعاد شخصية الطفل.

ان البيئة غير المواتية تفتقر الى المقومات الاساسية للنمو الجسمي والعقلي المتكامل وتنمية القدرات القيادية وطاقات الخلق والابداع يمكن ان تشوه الرسالة الوراثية المحددة سلفا.

ان العبقرية والذكاء الفطري ليست خصائص مميزة او قاصرة على شعوب أو اجناس معينة، هذه حقيقة علمية اثبتتها التجارب والبحوث الميدانية والمختبرية وليس هناك مجال لأن يدعي شعب من الشعوب تفوق افراده في الذكاء على افراد شعب آخر، تلك حقيقة لا موضع لمناقشتها طالما نتحدث عن الذكاء الفطري الموروث الذي منحته الطبيعة من خلال الوراثة لافراد الجنس البشري كل بمقداره ولكن المدى الذي يمكن ان يصل اليه و ينميه و يوجهه الوجهة الخلاقة المبدعة القادرة على المبادأة والابتكار والانتاج، هذا المدى يتوقف على مدى فاعليته البيئة التي يعيشها الفرد منذ تفتحه على الحياة وقدرتها على صقل وتنمية هذا الذكاء الفطري الموروث.

هذا المدى الذي تصل اليه الظروف البيئية في الكشف عن القدرات العقلية (الذكاء) وصقله وتنميته هو الذي يجعل شعوبا تتفوق على شعوب اخرى في القدرة الانتاجية والابتكار والتحديث والتطوير والخلق والابداع ودعم القدرة الذاتية والمحافظة على السيادة والاستقلال السياسي والاقتصادي والمساهمة البناءة في تحقيق التقدم العلمي والتكنولوجي المستمر ولعل في الطفرة الهائلة التي حققتها دولة شرقية (كاليابان) في مجال العلوم والتكنولوجيا والانتاج الصناعي والتجارة الخارجية (حيث اصبح فائض ميزان المدفوعات بينها و بين الولايات المتحدة عام ١٩٨٤ حوالي ٣٣ مليارا من الدولارات لصالحها ــ رغم انها خرجت من الحرب العالمية الثانية محطمة منهوكة القوى ــ لعل في ذلك مايدحض ادعاء بعض شعوب الغرب تفوقها في الذكاء على غيرها من شعوب الدول النامية.

وعندما نتحدث عن البيئة التي ينشأ فيها الطفل فاننا نقصد كافة العناصر التي تسهم في تنشئة الطفل بما توفره من اشباع لاحتياجاته الاساسية من تغذية سليمة ورعاية صحية وقائية وعلاجية متكاملة كما تتضمن تلك العناصر التي تكفل اشباع حاجاته النفسية من الحب والعطف والحنان وحاجته للانتماء والتقدير والنجاح وحاجته للشعور بالامن والسلامة، والجوّ السيكولوجي الصحي اللازم لتشربه القيم الروحية وغرس المبادىء البناءة واستيعاب تعاليم الدين والسلوك السوي واكتساب المهارات الاكاديمية والمعرفة العلمية والمهنية واتجاهاته نحو الآخرين ونحو العمل

والانتاج والمواطنة والحساسية الاجتماعية والمبادأة والابداع وغير ذلك من مقومات عملية التنشئة الاجتماعية التي يتم من خلالها تطبيع وتشكيل الوليد البشري والانتقال به من كائن بيولوجي الى مواطن راشد له شخصيته المميزة والتي يستطيع من خلالها ان ينتج وان يسهم في رفاهية مجتمعه وان ينقل و يضيف الى رصيد هذا المجتمع من التراث الانساني.

من هنا تأتي أهمية دراسة أوضاع الطفل العربي وواقعه كمرحلة انسانية اذا كنا ندرك ان اعداد الطاقة والموارد البشرية المتمثلة في اطفال وشباب اليوم للحياة وادخالها في صلب مجرى التنمية ليست مجرد تقنية تدعو الى الاهتمام من الناحية الانسانية فحسب او ينظر اليها على انها احدى الخدمات التي يجب ان توفرها الدولة لاطفالها.. بل انها عملية تحتل اهمية مركزية في عملية التنمية برمتها، واذا كنا نؤمن بهذه المسلمات وندرك ان المحور الاساسي في عملية التنمية هو الانسان، واذا كنا على استعداد لتوخي الامانة العلمية وصارحنا انفسنا بالاوضاع المأساوية التي وصل اليها عالمنا العربي في القرن العشرين بعد ان كان يسود العالم و يصل اشعاع حضارته الى كافة ارجاء العالم فاننا نعتبر بحاجة الى جهد كبير لندرك ان هناك خللا ولا شك قد أصاب شخصية الانسان العربي... وان سلبياته تعددت وتشابكت وأصبحت تستنزف طاقاته البناءة، واذا كنا نقر بهذا الواقع المؤلم في الوطن العربي الذي يملك كل عناصر التقدم والتطور وكل مقومات الاكتفاء والنمو والاستقلال الاقتصادي والسياسي من مواد وثروات طبيعية وموارد مالية وطاقات بشرية خلاقة واراضي زراعية شاسعة... واذا كانت لدينا الارادة والرغبة في التغيير، واذا كنا نردد شعارا يقول ان الاطفال هم صانعو الغد وكل المستقبل، فان علينا ان ندرك ان هذا الغد يبدأ اليوم وان مسئولياتنا تجاه الاجيال الناشئة ان ندرس بموضوعية سلبيات المواطن العربي الراشد ونحدد اسبابها... وان ندرس واقع الطفل العربي وحاجاته ومشكلاته، وان نجري تحليلا علميا دقيقا لكافة عناصر البيئة التي يعيشها الطفل العربي وما يتوفر له من برامج تستهدف تنشئته واعداده لحياة الاسرة بالمجتمع والانتاج وان نضع في هذا كله مواصفات المواطن العربي الجديد وان ندرك ان

مسؤولياتنا تجاه الاجيال القادمة ان نزودها بما يلزمها من فعاليات ومهارات وتخلصها من سلبيات الجيل الحالي لتجعل من هذا الغد غدا افضل من الحاضر المؤسف الذي يعيشه العالم العربي اليوم.

من هذا المنطلق، وفي اطار سياسة و برامج العمل التي تبنتها الجمعية الكويتية لتقدم الطفولة العربية تم وضع خطة اجراء هذا البحث آخذة في الاعتبار ان الدراسة العلمية الموضوعية لاوضاع الطفل العربي لا يمكن ان تتم في الفراغ وبمعزل عن العوامل المجتمعية والاقتصادية والسياسية التي تكون العناصر الاساسية للاطار الذي يعيش فيه ليس فقط على المستوى المحلي والاقليمي والعربي بل على المستوى الدولي العالمي الذي ادت التطورات العلمية والتكنولوجية الفائقة السرعة المعاصرة الى ان ما يحدث في بقعة ما في احد اركان المعمورة من الممكن ان يمتد تأثيره عن طريق ثورة تكنولوجيا الا تصال الحديثة الى الطفل في ثوان متعددة.

ان اطفال العالم العربي اليوم هم نتاج مجتمع معين له خصائصه وتراثه وتلعب عناصره ومتغيراته الدور الرئيسي في تكو ين شخصية مواطن الجيل القادم، فما هي الصورة الحقيقية للمجتمع العربي الذي يعيش فيه اطفالنا وما هي خصائصه ومقوماته، والاهم من هذا ما هي تلك التحديات التي تواجه المجتمع العربي اليوم... هذه كلها عناصر وخلفيات لا بد ان تؤخذ في الاعتبار عند دراسة واقع ومستقبل الطفل العربي وقد تعرض البحث لبعض منها.

تعريف المصطلحات

١ ــ الطفولة:

يعتبر البحث ان الطفولة تكون معنى جامعاً يضم الاعمار ما بين المرحلة الجنينية ومرحلة الاعتماد على النفس. والطفولة تعبر بالفرد من حالة العجز التام والاعتماد على الآخرين عند الميلاد الى تلك المرحلة الفارقة التي يتاح عندها قسط

بين اعتماد الفرد على نفسه واضطلاعه بنشاط انتاجي وابتكاري خلاق وفعال لاستعداداته وقدراته الشخصية ومايتوفر له في مجتمعه من متطلبات التطبيع الاجتماعي والتربية والرعاية الصحية وغيرها ــ و يعني هذا أن طول مرحلة الطفولة يتفاوت من جيل الى جيل ومن ثقافة الى اخرى ومن مجتمع الى آخر طبقا لمتطلبات الحياة ونوعيتها (بدائية ــ ريفية ــ حضرية ــ صناعية... الخ) في بيئة الفرد وما يحيط به من ظروف خاصة.

هذا وقد حددت الطفولة ــ لاغراض هذه المرحلة من الدراسة بالفترة منذ الميلاد حتى الخامسة عشرة وتقسيمها الى مرحلتين:ــ

١ ــ الطفولة المبكرة: وتشمل الاطفال تحت سن ٦ سنوات (ماقبل المدرسة).

٢ ــ الطفولة المتأخرة: وتشمل أطفال المرحلة الابتدائية والاعدادية (٦ ــ ١٥). هذا وتبلغ نسبة الاطفال دون سن الخامسة عشرة في الوطن العربي حوالي ٤٥ ــ ٥٠٪ من تعداد السكان (أي حوالي ٨٩ مليون طفل) بينما هذه النسبة لاتتعدى ٢٣٪ في الدول الصناعية.

٢ ــ الاحتياجات والمشكلات:

عرفت احتياجات الاطفال ــ لاغراض الدراسة الحالية ــ بانها ضرورات النمو الفردية المترتبة على الخصائص البيولوجية والنفسية وطبيعة العلاقات الشخصية المميزة لمراحلة النمو المختلفة للطفل. واعتبرت الدراسة ان اشباع تلك الاحتياجات كفيل بتحقيق توافق اجتماعي افضل للافراد وكسبهم في تحقيق الاهداف الاجتماعية في الوقت ذاته.

وتحاول الدراسة ان تأخذ في الاعتبار ان هذه الاحتياجات لاتتساوى في الدرجة والاهمية بل ويمكن ترتيبها ووضع اولويات لها وفقا لمحكات ومعايير معينة من

بينها شدة الحاح الحاجة واثرها على النمو ومدى ترددها وحجم الاطفال المتأثرين بها واثرها على المشكلات الاخرى في حياة الطفل فضلا عن موضع الحاجة من احتياجات المجتمع.

ومن المهم ان تأخذ الدراسة بعين الاعتبار الجوانب الادارية والتنفيذية بمعنى الامكانات المتاحة والمقدرة الفعلية على تنفيذ البرامج التي تخططها الاجهزة المسئولة لمواجهة احتياجات الاطفال ومايتطلبه ذلك من امكانات فنية و بشرية ومادية.

هذا ولما كانت الدراسة تعتبر أن الطفل ــ بغض النظر عن مرحلة النمو التي يجتازها وطبيعة الظروف الاقتصادية والاجتماعية المحيطة به ــ انما هو كل متكامل، وان احتياجاته المتعددة من بيولوجية نفسية واجتماعية، متماسكة متشابكة وفي تفاعل مستمر ــ من هنا لزم ان يكون المنحى الذي نتوخاه في دراسة وتقدير احتياجات الاطفال ومشكلاتهم منحى تكامليا شاملا لاتغفل فيه العلاقة الارتباطية بين الاحتياجات وتأثرها بعضها ببعض، و بعبارة اخرى فان الجزئيات المختلفة ينبغي أن تتم من خلال النظرة الشاملة التكاملية للطفل.

وفي الوقت نفسه تلقي الدراسة وزنا هاما ــ في تعاملها مع حاجات الطفل ــ لحاجة المجتمع الى مواطنين اسوياء منتجين مدربين على الاضطلاع بمسئولياتهم نحو مجتمعهم وماتتطلبه منهم مسئولية التنمية الاقتصادية والاجتماعية في الوطن العربي مستقبلا، و بعبارة اخرى فان تقدير الاحتياجات يجب ان يدخل في الحسبان الاعداد الاجتماعي والفني اللازمين للموارد البشرية العربية بما يضمنه ذلك من تزويدها بالمهارات والخبرات والقيم السلوكية الاصلية من جانب والتعرف على سلبيات الشخصية العربية الحالية وعلاقتها بالظروف التي عاشتها الطفولة المعاصرة حتى يمكن من جانب آخر معالجتها في برامج تنشئة اطفال اليوم وفي اطار جهودنا الصياغة شخصية المواطن العربي الجديد القادر على مواجهة تحديات العصر وآثار التخلف الذي عاشته الاجيال السابقة، اخذاً في الاعتبار كذلك ان تقدير الاحتياجات يتضمن تقييم المؤسسات والاجهزة المسئولة عن

تنمية الموارد البشرية الصغيرة من حيث قدرتها على مواجهة الاحتياجات الفردية والمجتمعية المسئولة عنها.

هذا و يتضمن مفهوم الاحتياجات متطلبات:

أ ــ التنشئة الصحية والبيولوجية من غذاء وخدمات وقائية وعلاجية والسكن الصحي الخ..

ب ــ التربية والتعليم والاعداد للحياة العملية.

جـ ــ الاعداد والتطبيع الاجتماعي والثقافي ودور الاسرة والمؤسسات المجتمعية والاعلامية بما في ذلك احتياجات الفئات الخاصة من الاطفال (المعاقين ــ الاحداث المنحرفين والمعرضين للانحراف.. الخ).

هذه الاحتياجات الفردية تنظر اليها الدراسة في ترابط مع الاحتياجات والاهداف المجتمعية التي تعرفها تلك الانماط السلوكية التي يتطلع اليها المجتمع و يتطلبها من المواطن من حيث:

أ ــ تأدية دورهم كاملا كمواطنين منتجين يتصفون بالقدرة على حمل مسئولياتهم تجاه مجتمعهم والعمل كفريق في سبيل تنمية ورفاهية المجتمع والمساهمة في تطويره.

ب ــ تأدية دورهم في ممارسة ودعم الديمقراطية بصورة ايجابية.

جـ ــ ان يكونوا مواطنين اسوياء الشخصية لديهم الحساسية الاجتماعية والمبادأة والالتزام بالقيم الروحية، ينأون عن الانحراف و يتعاملون فيما بينهم على اسس انسانية سليمة واخلاقيات وقيم دينية راسخة.

اما مفهوم مشكلات الطفولة فان الدراسة تعرف المشكلة بانها حالة الاختلال الداخلي او الخارجي التي ترتب على حاجة غير مشبعة او عائق يحول دون اشباع حاجات الفرد او يتعرض لسرعة تحقيق الاهداف المجتمعية، أو بعبارة اخرى فان المشكلات هي تلك المواقف والانماط السلوكية التي يعبر عنها الاطفال او المسئولون عن تنشئتهم والتي يرى الخبراء فيها اعاقة لاشباع حاجات الطفل أو عدم

مسايرة للاهداف المجتمعية اخذا في الاعتبار ان التعرف على المشكلات يمكن ان يقود الى تحديد وتقدير بعض الاحتياجات النفسية والبيولوجية والاجتماعية.

أهداف الدراسة:

الهدف العام من هذه الدراسة يتلخص فيما يلي:ـ

تقييم وتقويم واقع الطفل العربي من حيث كونه فرد ومواطن تتطلب تنشئته ونموه من مجتمعه أن توفر له كافة مقومات ومتطلبات نموه وبناء شخصيته متوافقة واكسابه المهارات والقدرات والقيم اللازمة لاعداده للمواظبة البناءة المنتجة وللاسهام في تنمية مجتمعه.

اما الاهداف المباشرة فهي:ـ

١ ـ تقييم احتياجات الطفل العربي باسنادها ما امكن الى المستويات المحلية والعالمية.

٢ ـ تقييم المؤسسات المجتمعية المسئولة عن تنشئة الطفل وتلك التي تسهم في اعداده لحياة الاسرة والعمل والانتاج من حيث كفاية وكفاءة برامجها.

٣ ـ تزويد المسئولين عن التخطيط لبرامج تنمية الموارد البشرية الناشئة بالبيانات الاساسية والمعلومات والمقترحات التي تمكنهم من تبني سياسات عامة للطفولة ورسم برامجها واتخاذ الاجراءات الوقائية والعلاجية اللازمة لمواجهة احتياجات ومشكلات الطفولة.

٤ ـ التعرف على الصعوبات والمتناقضات ونواحي القصور في برامج تنمية الموارد البشرية الصغيرة التي تعوق او تبطىء من سرعة تحقيق الاهداف المجتمعية في الوطن العربي والتعرف على اسبابها تمهيدا لتطوير تلك البرامج وتوجيهها في صياغة الانسان العربي الجديد.

٥ ـ الوصول الى مؤشرات ومعايير للقياس الموضوعي المعياري لبرامج تنمية الموارد البشرية الصغيرة ومتابعة تطويرها وتحديثها.

٦ ـ توفير اطراف خيوط لاقتراح مجالات البحوث الملحة في مجالا الطفولة.

هذا وتسعى الدراسة الى الاجابة على الاسئلة الآتية او مساعدة القيادات العربية على الاجابة عليها:ـ

١ـ ما هي الاحتياجات التي يمكن اعتبارها اساسية للنمو الطبيعي الجسمي والعقلي للطفل في الوطن العربي مع التركيز على الخطوط العريضة والعوامل المشتركة مع الأخذ في الاعتبار الاختلافات في المستويات الاقتصادية والاجتماعية والاختلافات الاقليمية على الرقعة الواسعة للوطن العربي؟

٢ـ ما هي طبيعة ومدى السلوك السلبي الصادر عن الاطفال والراشدين مما يمكن اعتباره منافيا أو غير مساير للاهداف المجتمعية؟

٣ـ ما هي نواحي القصور او السلبيات في شخصية المواطن العربي المعاصر التي تعتبر عاملا معوقا لقدرة الوطن العربي على مواجهة التخلف والتحديات التي تقف في طريق تقدمه او التي قد يكون لها انعكاس على التمزق والتشتت الحالي؟

٤ـ الى اي مدى ترجع هذه السلبيات ونواحي القصور في شخصية المواطن العربي الى السياسات والنظم والبرامج والاساليب السائدة في المجتمع العربي لتنشئة الطفل والاستجابة لاحتياجاته واعداده للحياة؟

٥ـ الى اي مدى يمكن القول بوجود وعي على مستوى الآباء والعاملين في مجال الطفولة والخبراء وواضعي السياسات بهذه السلبيات ونواحي القصور من جهة وبارتباطاتها بأساليب التنشئة وبرامج اعداد الموارد البشرية الصغيرة من جهة اخرى؟

٦ـ ما طبيعة ومدى المشكلات التي ينتظر قيامها اذا استمر العمل بالبرامج الحالية للطفولة بسبب قصور هذا الوعي او تأثير ضغط التقاليد والاتجاهات الاجتماعية او السياسية السائدة، أو بسبب قصور الامكانات المالية او البشرية، او بسبب غياب التعاون بين دول الوطن العربي؟

ادوات البحث:

تتنوع الادوات التي يستخدمها الباحث وفقا لطبيعة موضوع البحث وتنوع

فئات المجتمع الذي تقوم بدراسته، كما قد تتنوع تلك الادوات ايضا بتنوع مجالات ومحاور الدراسة.

وقد استخدم الباحث في هذه المرحلة من الدراسة الكشفية الادوات الاتية:ـ

١ ـ الوثائق وتقارير البحوث المختلفة التي سبق القيام بها في مجال الطفولة في الوطن العربي بواسطة مراكز البحوث والجامعات والمنظمات الدولية والاقليمة ومؤسسات النشاط الاهلي.

٢ ـ النشرات والتقارير السنوية والمجموعات الاحصائية التي تصدر عن اجهزة ووزارات حكومات الدول العربية.

٣ ـ تقارير أهم المؤتمرات التي عالجت مشكلات وسياسات و برامج الطفولة في العالم العربي.

٤ ـ استبيان يتضمن ثماني استمارات لجمع بيانات عن البرامج الصحية والاجتماعية والتعليمية وانجازات وزارات الاعلام والداخلية والجامعات ودوائر للتخطيط والاحصاء في كل مايتعلق بتنشئة واوضاع الطفل في كل من هذه المجالات.

٥ ـ الاتصال ببنوك المعلومات الدولية عن طريق بنك معلومات الطفولة Bird التابع للمركز الدولي لبحوث الطفولة بباريس لجمع ماتوفر لها من معلومات عن الطفل العربي.

حدود الدراسة:

نظرا لضخامة حجم مجتمع الطفولة بالنسبة للتعداد العام للسكان، ونظرا لتعدد محاور ومجالات نمو الطفل من اجتماعية وتربوية وصحية ونفسية واعلامية وثقافية وتشريعية وروحية وتشعب الاجهزة المسئولة عن تطبيع وتربية وتنشئة الطفل، ونظرا لاتساع الرقعة التي يعيش عليها الطفل العربي بين الخليج شرقاً والاطلنطي غربا وتعدد وتباين مستويات مجتمعاتهم على سلم التنمية والامكانات المتوفرة لكل منها.. فان اجراء مثل هذه الدراسة الشاملة يتطلب امكانات بشرية ومادية هائلة..

وحتى اذا امكن توفير هذه الامكانات فان اجراءها يتطلب من الوقت وسهولة الحركة بين ارجاء الوطن العربي مالم يتوفر للباحث.

لهذا يمكن اعتبار هذه الدراسة الاستطلاعية بحكم طبيعتها الكشفية بداية لدراسات تالية تستهدف المتابعة والتعمق، فهي الاولى من نوعها التي تنظر الى الطفل باعتباره كلا متكاملا، فهي من حيث المضمون تختلف عن غيرها من البحوث القطاعية التي تتناول محورا واحدا من محاور النمو كالجانب الصحي فقط أو التعليمي فقط... الخ بل تتناول كافة محاور النمو ولاتقتصر على معالجة مشكلة بعينها كمشكلة انحراف الاحداث او التخلف العقلي او سوء التغذية بل تتناول معظم مشكلات ومعوقات نمو الطفل ولايقتصر المضمون في معالجتها للحاجات على الحاجات الفردية للطفل بل نمس ايضا الحاجات المؤسسية (كالاسرة) والحاجات المجتمعية وغيرها.

من هذا استقر الرأي على ان تكون هذه الدراسة كشفية استطلاعية تستهدف التحديد المبدئي لاوضاع ومشكلات واحتياجات الطفل العربي ونواحي القصور وتنشئة وتكوين شخصيته والعوامل المسببة لها مع نظرة مستقبلية للاوضاع والمناهج والاساليب المستهدفة لمعالجة اهم السلبيات الحالية وتبني مؤشرات موضوعية تمكننا من توجيه وقياس استراتيجيات اعادة بناء الانسان العربي الجديد.

والطابع الاستطلاعي للبحث تحتمه دائما ندرة أو عدم توفر بحوث سابقة (على مستوى الوطن العربي من جانب ولاعلى المستوى التكاملي الشامل لمحاور نمو الطفل من جانب آخر تمكن الباحث من استخدام اساليب اخرى اكثر عمقا، ومع هذا فان الطابع المسحي العام الذي كان من الممكن ان يبرز في هذه الدراسة بشكل اوضح جاء غير مكتمل بسبب قلة عدد الاستبيانات المستردة من الدول وعدم الاجابة عن عدد آخر مما تسلمه الباحث. من هنا نستطيع ان نعتبر الصورة النهائية لهذه المرحلة من الدراسة تمثل اتجاهات عامة اكثر مما تمثل تسجيلا لصورة واقعية دقيقة.

ولا يدعي الباحث ان العرض الحالي يمثل المرحلة المتكاملة او النهائية للدراسة او أن يكون قد عالج كافة الجوانب التي استهدفتها الدراسة او اجاب بدرجة كافية على كل ما يعرضه هذا المجال المتسع المتشابك الاطراف من تساؤلات.

انما يمكن اعتبارها مرحلة اولى او محاولة للاحاطة بالجوانب العامة للموضوع مما يمكن ان يعطي مؤشرات للاتجاهات التي يمكن ان تسير على هداها الدراسة في المرحلة التالية والى دراسات و بحوث اخرى تحتاج الى تعميق وتفصيل اكبر يتم تخطيطه في ضوء ما يجرى في هذه الندوة من مناقشات وانطباعات وعلى اساس ما يمكن توفيره من امكانات ومعلومات و بيانات احصائية ووصفية اكثر دقة وشمولا.

و يزيد من تأكيد هذا التحفظ من وجهة نظر الباحث عدة عوامل احاطت بهذه الدراسة، منها صعوبة الحصول على احصائيات و بيانات اكثر دقة من خلال التقارير او المستويات التي تتعلق بالطفولة من دول الوطن العربي، وحتى ان وجدت فان طبيعة عملية التوثيق الحالية والتعريف بها ليست على المستوى الذي يسمح بحصرها او معرفة الموجود منها او طريقة الحصول عليها..

والمؤسف ان يكون هذا هو الحال في عصر اصبح من الممكن عن طريق العقول الالكترونية و بنوك المعلومات الوصول الى أدق المعلومات عن كل ما أجري من بحوث أو تم طبعه من كتب ودوريات في اي موضوع من الموضوعات الحيوية التي يعالجها اي بحث، وللآن لم يتم انشاء بنك للمعلومات عن الطفولة في العالم العربي وحتى يتم ذلك قام الباحث بالتعاون مع المركز الدولي لبحوث الطفولة في باريس ـ بصفته عضو مجلس ادارته ـ حيث زوّده بكل ما امكنه الوصول اليه من بحوث ميسورة عن الطفولة في العالم العربي لتخزينة في مركز المعلومات الخاص به في باريس.

والمشكلة الاخرى التي واجهت الباحث هي تأخر ردود الدول في الوطن العربي على استمارات الاستبيانات التي ارسلت اليها منذ اكتوبر سنة ١٩٨٤ والتي

كان يعول عليها الباحث كثيرا في اجراء ـــ الدراسة، والواقع ان ما وصل من ردود لايمثل اكثر من ٢٠٪ من الاستبيانات التي أرسلت للدول فضلا عن ان الكثير من الاستبيانات قد خلا من الاجابة على عدد من الاسئلة بحيث وصل النقص في بعضها الى اكثر من ثلاثة ارباع البيانات المطلوبة ومنها ايضا أن بعض الارقام والجداول كان يعوزها الدقة مما ترتب عليه قصر الوقت المتاح لاجراء التحليل واعداد التقرير الحالي.

ومع ذلك فان الباحث يؤكد في هذا العدد انه لولا الجهود الكبيرة التي قام بها السيد رئيس الجمعية الكويتية لتقدم الطفولة العربية والمسئولون جميعا لما تمكن الباحث من اتمام هذه المرحلة من البحث متطلعا بأمل الى توفير كافة الامكانيات التي تمكنه بالتعاون مع الجمعية لاستكمال انجاز المرحلة التالية وفقنا الله جميعا لما فيه خير هذا الوطن الكبير.

محاور النمو ومجالات تنشئة الطفل التي شملها البحث

تعرض البحث في تغطيته لمحاور نمو الطفل ومجالات تنشئته في الوطن العربي لما تم تحقيقه من انجازات من حيث السياسات والاستراتيجيات الوطنية والتعاون الاقليمي ومخطط وتنفيذ برامج الطفولة في القطاعات العمومية المختلفة والمعوقات التي يواجهها التنفيذ ونواحي القصور والضعف في هذه البرامج مع الدراسة التحليلية لهذه المعوقات حيثما توفرت البيانات اللازمة، وفيما يلي المجالات والمحاور التي عالجها البحث:

اولا ـــ الاوضاع الصحية والتغذوية:

حيث شملت الدراسة التحليلية السياسات والاهداف الصحية وموقع رعاية الطفولة والامومة في تنظيمات و برامج الرعاية الصحية والتسجيل الصحي في الكوادر الطبية وتطور اجهزة رعاية الطفولة والامومة ومؤشرات الخصوبة ومشاكل الرضاعة والتغذية والامراض السائدة، ومدى تكامل برامج الرعاية الصحية الاولية ونتائج

بعض اهم البحوث الميدانية التي اجريت لتقويم الاوضاع الصحية والتغذوية للطفل العربي ونواحي القصور في البرامج الحالية وبعض المؤشرات التي تعطي صورة ــ (غير مشرقة) عن صحة الطفل العربي.

ثانيا ــ مجال التربية والتعليم:

وقد تناول البحث بالتحليل نظم ومراحل التعليم العام مع التركيز على مرحلة التعليم الابتدائي والاعدادي (التعليم الاساسي) وبرامج اعداد وتدريب المعلمين والتعليم الفني وسياسات التخطيط التربوي والمنهج المدرسي والاهداف التربوية ومدى تحقيق الكفاية الداخلية والخارجية للتعليم وتمويله مع التركيز على الفاقد والهدر في التعليم في الوطن العربي كما تعرض لمشكلة الامية وتعليم البنات وتقنية وتحديث التعليم وعلاقة التعليم بالتقدم العلمي والتكنولوجي عامة وفي مجالات الاتصال والعقل الالكتروني بصفة خاصة.

ثالثا ــ المجال الاجتماعي:

تناول البحث دراسة تحليلية لبرامج الرعاية والتنمية الاجتماعية والمؤسسات المسئولة عن تنشئة الطفل بدءا بدور الحضانة ومراكز الحضانة والرعاية النهارية (لطفل ماقبل المدرسة) ومراكز رعاية الطفولة والامومة ودور الاسرة وخصائص الاسرة العربية ومعوقات قيامها بدورها في تنشئة الطفل ثم تعرض البحث لبرامج ومؤسسات بعض الفئات الخاصة كالموهوبين والمعوقين والاحداث المنحرفين مع التركيز على معوقات العمل الاجتماعي في مجال الطفولة في العالم العربي.

رابعا ــ المجال التشريعي:

وقد استعرض البحث الانجازات الحالية في تشريعات الطفولة والامومة في ضوء ماتوفر للباحث من بيانات.

خامسا ــ المجال الثقافي:

اكد البحث اهمية ثقافة الطفل في بناء شخصية وانماط السلوك واستعرض الواقع الثقافي في الوطن العربي وادوات واجهزة ثقافة الطفل بدءا بالكتاب وادب الطفل ومرورا ببرامج اجهزة الاعلام من تليفزيون وراديو وصحافة وفيديو ومسرح وسينما متعرضاً لدور ووضع اللغة العربية والتعريب وعلاقة الثقافة بمشكلة الانتماء.

سادسا ــ نحو سياسة عامة وخطة عمل:

استهدف هذا البحث تقديم صورة موضوعية قدر الامكان للواقع والبرامج المتاحة للطفل العربي ورصد المؤشرات الاجتماعية القائمة في مجتمع دول الوطن العربي وقد شمل هذا الرصد ملامح واوضاع الاسرة العربية و برامج التنمية والرعاية الاجتماعية والتربية والتعليم والصحة والاعلام والثقافة وقد استخدم في هذا الرصد استبيانا شاملا ودراسة وثائقية لما توفر للباحث من تقارير و بحوث ودراسات احصائية واستقصاء لما جاء فيها من بيانات وتحليل لها.

وهنا يأتي السؤال التقليدي وماذا بعد؟ وهو سؤال متوقع ولكنه عادة ما يضع هيئة البحث في حيرة، فمن الناحية المنهجية، و بحكم الطابع الاستطلاعي لهذا البحث تتعدد وتتشابك نتائجة، بحيث تصبح محاولة اختزالها جهدا عقيما لا طائل وراءه. ومن الناحية العملية و بحكم الطابع التطبيقي للبحث فانه يتوجه في النهاية الى من هم في موقع المسؤولية، ممن لهم سلطة اتخاذ القرارات التنفيذية وهؤلاء بطبيعة الحال يتوقعون ترجمة ما انتهى اليه البحث الى خطة عمل قابلة للتنفيذ، وهذا في تصوري ما يجب ان يستهدفه مثل هذا البحث وذلك هو مبعث الحيرة للباحث، وخاصة اذا كان يؤمن ان خطة العمل تختلف اختلافا كبيرا عن مفهوم التوصيات والمقترحات فالبحث العلمي أيا كان طابعه انما هو نوع من التشخيص واستقراء الواقع، وللباحث ان ينتهي ببحثه عند هذه الغاية وله ان يمتد بجهده الى نوع من التوصيات التي تشكل اساسا من خلال مقارنة الباحث بين ملامح الواقع والوضع

الذي اسفر عنه التشخيص وملامح الصورة المأمولة التي ينبغي الوصول اليها من خلال محاولات العلاج والتطوير، وترجع الصعوبة التي تواجه الباحث الى عاملين هما:

الاول:

صعوبة تحديد ملامح الصورة المأمولة التي نسعى الى الوصول اليها وخاصة في مثل بحثنا هذا الذي تتشعب مجالاته وتخترق استقصاءاته جدران الحواجز التي تفصل بين المجالات المتعددة لتنمية الموارد البشرية بين رعاية صحية وتنمية اجتماعية الى برامج تربوية وثقافية واعلامية وغيرها، هل الصورة التي نسعى للوصول اليها هي تلك الصورة النموذجية التي ينبغي ان يكون عليها المجتمع المثالي في اي مكان وزمان؟ ام انها تلك الصورة التي لاتتخطى حدود الامكانات الواقعية والتي تضع في اعتبارها خصائص واهداف وسياسة واوضاع وامكانات المجتمع المستهدف؟ والواقع انه بقدر الانطلاق في آفاق المثالية (الطوباوية) يفقد الباحث مبررات اجرائه للبحث وتتسع الفجوة بين خصوصية النتائج وعمومية التوصيات، ومن ناحية اخرى فانه بقدر التقيد بالحدود الواقعية لخصائص واوضاع وامكانات المجتمع المستهدف يفقد الباحث شرعية اقدامه على التقدم بتوصياته حيث الاقدر على ذلك بالفعل هم اصحاب السلطة لاتخاذ القرارات التنفيذية بحكم مسؤولياتهم وادراكهم الموضوعي لتلك الحدود والامكانات الواقعية.

الثاني:

ايا كان رأي الباحث في الصورة المستهدفة، ان كانت مفرطة في الرؤى النموذجية او مسرفة في التقيد بالحدود الواقعية بل حتى ولو اتخذ موقفا وسطا بين هذا وذاك، فان نظرته للصورة المأمولة تظل رؤية ذاتية، ولاشك ان الاتفاق على وصف الواقع ايسر من الاتفاق على تفسيره، واكبر من هذا فان كليهما ايسر بكثير من الاتفاق على الاتجاه الذي يجب ان يسير عليه التغيير، وخاصة اذا كان الامر يتعلق بأكثر من مجتمع اوبالاحرى اكثر من دولة، لكل منها ظروفها وسياستها وتصوراتها

للمستقبل المرجو، وهو ان تختلف الرؤى من مجتمع الى آخر ومن مرحلة الى اخرى وربما ــ بدرجة اقل ــ من فرد الى آخر، ومن الطبيعي ان يكون تحديدنا لكل عنصر من عناصر تلك الصورة راجعا في المقام الاول والاخير لقناعتنا الفكرية بما ينبغي ان تكون عليه صورة المجتمع، وهو امر لا تحدده المناقشات العقلية المنطقية بقدر ما يحدده موقع الفرد تاريخيا من البناء الاقتصادي والاجتماعي، ومن ثم فان فردا كلف ببحث معين ــ مهما كان عمق تخصصه العلمي ــ لا يمكن له الزعم بأن لديه ملامح الصورة التي ينبغي ان يكون عليها مجتمع المستقبل، والمشكلة هي انه بدون توافر هذه الصورة تصبح التوصيات ايا كان بريقها مجرد تخبط عشوائي، وهذا في الواقع هو التفسير المنطقي لتراكم الغبار على عشرات التقارير المكدسة في مكاتب المسؤولين وتضم مئات التوصيات التي خرجت بها بحوث ومؤتمرات سابقة، وفي حالات محدودة قد يتاح لفريق ممن تتوافر لديهم امكانية وصلاحية اتخاذ قرارات التغيير الاجتماعي فرصة ترجمة بعض هذه التوصيات الى خطط وبرامج او اجراءات وقرارات، ومع ذلك فان المشكلات الرئيسية عند الوصول الى هذا الحد هي مشكلات الامكانات والاولويات، ففي معظم الاحيان ــ وحتى في احسن الاوضاع الاقتصادية ــ فالمتاح واقعيا من حيث الامكانات المادية والبشرية والزمنية يقل عن آفاق الآمال المستقبلية التي لا تحدها سوى القدرة غير المحدودة للانطلاق والتصور التي تميز الفكر البشري، ومن هنا تبرز مشكلة الاولويات: من اين نبدأ؟ واي القضايا اولى بالبدء في معالجتها؟ واي آفاق المستقبل احق بالاهتمام من سواها؟ ولاشك ان ترتيب الاولويات هذه ليس بالقضية الفنية التي تعتمد على جهد المتخصصين في فروع العلوم المختلفة فحسب بقدر ما هي قضية اختيار ايديولوجي تعتمد اساسا على القناعات الفكرية للقائمين بها، وهو أمر يحدد بدوره وفقا لمواقعهم التاريخية من البناء الاقتصادي والاجتماعي.

وبمعنى اكثر تحديدا فان التوصل الى سياسة وخطة عمل حقيقية لا يمكن ان يتحقق الا بمشاركة من بيدهم سلطة اتخاذ القرارات ووضع السياسات، فبدون هذه المشاركة يتعذر تحديد الهدف الذي ينبغي ان نسعى للوصول اليه او بعبارة ادق يفقد مثل هذا التحديد مشروعيته، كما انه يستحيل بدون هذه المشاركة تحديد واقعي للاولويات.

والباحث ــ آخذاً لهذه الحقائق في الاعتبار ــ ولايمانه بأن البحث العلمي انما يفقد مبرر اجرائه اصلا مالم تتحول نتائجه بصورة أو باخرى الى سياسة و برامج اجرائية تطبيقية، فانه يؤكد كما ذكر في مقدمة البحث انه لم يستهدف من محاولته هذه وضع سياسة للطفولة في العالم العربي والا كان قد ضل الحكمة والمنطق فان وضع سياسة معينة حتى وإن كان في مجال الطفولة لابد ان يتم، و يتم فقط في ضوء واطار الدستور الذي تبنته كل دولة اصلا لتوجيه سياساتها في كافة القطاعات والانشطة وفي ضوء تشريعاتها وامكاناتها وتنظيماتها المؤسسية و بتعاون المسؤولين فيها عن التخطيط في القطاعات المختلفة وفي ضوء ماتسفر عنه البحوث الميدانية في كافة مجالات تنشئة الموارد البشرية ومتطلبات التنمية في المجتمع.

و يؤكد الباحث اهمية البحث العلمي والميداني على المستوى المحلي في كل دولة من دول الوطن العربي بتعمق واتساع قبل البدء في تبني سياسات معينة او وضع مخططات واولويات محددة ــ مع اهمية تطوير مؤشرات معيارية اجتماعية على درجة عالية من الدقة والثبات لاستخدامها في دراسة الواقع المحلي واجراء مسوح التقويم والدراسات الميدانية المقارنة وفي قياس نتائج السياسات والخطط التنفيذية ومتابعة التطوير. وقد اقترح الباحث امكان تجريب وتطوير احد هذه المؤشرات وهو مقياس نوعية الحياة Physical Quality Of Life Index الذي استعرض عناصره ومميزاته عن غيره من المؤشرات الاجتماعية وامكانات استخدامه وتطويره في نهاية البحث.

مناقشات

د. حسن الابراهيم:

اشكر الدكتور فراج على هذا الجهد الكبير المبذول في هذا البحث. وان كان لي اية ملحوظات فاعتقد ان موضوع عدم الرد على الاستبيانات له علاقة بنظرتنا الى البحث العلمي، فان ماينفق على البحث العلمي في كل الدول العربية لايعادل ماتنفقه اسرائيل او المنظمات التي تعمل لحسابها عالميا على البحث العلمي، فنحن مجتمع لايؤمن بالبحث العلمي. وهناك دون شك نقص بالاحصائيات والبيانات المتعلقة بالطفولة او بأي موضوع آخر يتعلق بالتنمية في وطننا العربي — واتفق مع الدكتور عثمان ان هناك حاجة لانشاء بنك للمعلومات عن الطفولة او حتى بنوك عديدة عن مواضيع مختلفة تتعلق بالمجتمعات العربية. وبشأن ملحوظة الدكتور فراج عن اطفال لبنان، لقد قرأت الكثير من المقالات التي تبحث في موضوع الاطفال والتجارة بهم في لبنان، وقد احست الجمعية قبل سنتين بخطورة هذا الموضوع فكلفت الجامعة الاميركية ببيروت بالقيام بمسح شامل لآثار الحرب الاهلية والغزو الاسرائيلي للبنان على الاطفال ونتمنى انتهاء البحث في اكتوبر من هذا العام، واهدافه هي توعية المجتمع العربي بمدى الضرر الذي لحق بهذا البلد الشقيق وتوعيته تهدف الى عدم نسيان الانسان عند اعادة بناء لبنان. ومن باب تسجيل الفضل لاهله لابد ان نذكر ان (برنامج الخليج العربي لدعم مشاريع الامم المتحدة الانمائية) والذي يرأسه سمو الامير طلال بن عبد العزيز هو الذي يقوم بتمويل هذا المشروع الحيوي.

وقبل فتح النقاش ارجو ان يكون نقاشكم على شكل اسئلة توجه الى الاستاذ الباحث او بشكل اقتراحات تثري هذا البحث وتساعد الباحث في تلاقي النقص ان وجد.

د. صادق جعفر:

اعتقد ان كل نقطة من النقاط التي طرحت قد تكون موضعا لنقاش او ندوة بذاتها،

اوضاع الطفل العربي
مؤشرات واحصائيات حيوية عن الدول العربية لمنتصف عام ١٩٨٢

الدولة	تعداد السكان بالمليون	الزيادة السنوية للسكان	متوسط دخل الفرد بالدولار	وفيات الرضع في الالف	توقعات العمر عند الميلاد	نسبة الامية بين الكبار		مقياس نوعية الحياة P.Q.L.I
						ذكور	اناث	
الجزائر	٢٠ر١	٣ر٤	١٩٢٠	١١٨	٥٦	٤٤	٧٧	٥٥
مصر	٤٤ر٨	٢ر٤	٤٨٠	١٠٣	٥٥	٤٤	٧٢	٥٦
ليبيا	٣ر٢	٤ر٢	٨٤٦٠	١٠٠	٥٥	٢٣	٦٤	٥٥
المغرب	٢٢ر٣	ـ٣ر	٨٦٠	١٠٠	٥٨	٣٩	٦٦	٥٧
موريتانيا	١ر٧	٢ر٧	٣٢٠	١٤٣	٤٢	٨٣	٩١	٢٤
السودان	١٩ر٩	٢ر٧	٤٧٠	١٢٤	٤٦	٦٢	٨٦	٢٥
الاردن	٣ر٥	٣ر٥	١٤٢٠	٦٩	٦٠	٢٤	٥٢	٥٦
سوريا	٩ر٦	٣ر٦	١٣٤٠	٦٢	٦٤	٢٦	٦٦	٥٥
لبنان	٢ر٧	—	—	٤١	٦٥	١٦	٣٦	—
فلسطين	٤ر٥	—	—	—	—	—	—	—
الصومال	٤ر٦	٢ر٣	١٤٧	٤٢	٩٩	٩٠	٩٩	٢٦
البحرين	٠ر٤	٧ر٢	٥٥٦٠	٥٣	٦٦	٣٢	٥٣	٦١
الكويت	١ر٥	٦ر٢	٢٢٨٤٠	٣٥	٦٩	٢٨	٤٩	٧٦
قطر	٠ر٣	٧ر٦	٢٦٠٨٠	٥٣	٥٧	٦٧	٧٦	٣٢
الامارات	١ر٢	١٤	٣٠٠٧٠	٥٣	٦٢	٧٠	٨١	٣٥
سلطنة عمان	١ر٢	٣ر٢	٤٣٨٠	١٢٨	٤٧	٤٥	٨٠	٣٧
السعودية	١١ر١	٤ر٦	١١٢٦٠	١١٤	٥٣	٧٠	٩٨	٢٩
العراق	ـ١٤ر	٣ر٤	٣٠٢٠	٧٨	٥٥	٣٢	٦٨	٤٥
اليمن الشمالي	٥ر٥	١ر٨	٤٦٠	١٦٢	٤١	٨٤	٩٩	—
اليمن الجنوبي	٢ر٠	٢ر٤	٤٢٠	١٤٦	٤٤	٥٢	٨٤	—

تطرق السيد الرئيس لمشكلة البحث العلمي، وانا اعتقد ان مشكلتنا في الخليج تختلف عن سائر الدول العربية لان مسألة البحث والباحثين مسألة جديدة، وقلائل هم حملة المؤهلات العليا في مجال البحث العلمي، وتعتمد مراكز البحث على معطيات هذا الاستاذ او ذاك.

والملحوظ ايضا في الوطن العربي كأنما الفرد لا يريد ان يعطي المعلومات الصادقة عن نفسه، و يعتبرها اشياء شخصية، حتى عندما يزور الطبيب، وكثير من الاحصائيين اشتكوا من عدم السماح لهم بدخول البيوت وطلب المعلومات، فهذه اشياء تحتاج الى توعية.

وبالنسبة للاستبيانات التي وزعتها الجمعية، فاتمنى ان توجه هذه الاستبيانات مستقبلا اما لشخص مؤمن بالاستبيان ومعنى وقيمة الاستبيان او تبعث لشخص مهتم بعينه وليس للمسؤول الاداري.

د. بدر العمر:

اعتقد ان مجمل ماقدمه الدكتور هو عبارة عن فشل في جانب الصحة والتعليم والتشريع والثقافة، وهذا اتفق معه فيه. والسؤال الكبير الذي يمكن ان يلقي الضوء على اسباب الفشل، ان دولنا لا تقدم الامكانات المادية والبشرية، ولا تقدم من الوقت اللازم للبحث العلمي وليست هناك نظرة جدية لهذه الامور كلها، او قد تتمثل النظرة الجدية في بعض الحماس الذي يأخذ بعض الوقت ثم ينقطع، والسبب غياب التخطيط الطويل الامد.. والسؤال هل نتوقع انفراجا نوعيا في كل هذه القضايا؟

د. سعد عبد الرحمن:

عندي سؤالان:

١ ــ هل تعرض البحث لاسباب الانفصال بين عملية التعليم وسوق العمل وهل هو يرجع هذا لتطور اجتماعي خاص يختلف عن تطور عملية التعليم في هذا المجتمع؟

٢ ــ هل درس وضع المؤسسات التعليمية او التربوية الخاصة بالطفل في الوطن العربي سواء كانت مؤسسات للتربية المقصودة أو غير المقصودة؟

حيث احس انها حائرة بين ضغط معايير الدول الصناعية المتقدمة و بين حاجات المجتمعات المحلية. (التلفزيون المدرسة الروضة.. الخ).

د. محمد عودة:

عندي اسئلة صغيرة وسريعة

١ ــ ارجو اعطاء تفسير علمي لتمديد الفترة الزمنية للطول الى ما فوق الـ (١٥) للطفل.. مع ان المعروف ان الطفل يمكن مد سنة الى (١٢) وليس (١٥).

٢ ــ اذا كانت المعلومات التي تفضلتم بها في معظمها من منطقة الخليج وهي الاغنى ماديا والاكثر حماساً، فماذا ستكون النتائج لو كانت الاحصاءات.. جاءت من الدول الاشد فقراً؟ واين موقع الطفل العربي في الاراضي المحتلة؟

٣ ــ هناك تشخيص لقضايا الطفولة الا ان التفسير غير موجود لكثير منها، فهل ترتبط قضية نقص البيانات مثلا بالذهنية العربية بالذات او بعوامل اخرى؟

٤ ــ اذا كانت اساليب التنشئة المتبعة في تربية الطفل هي المسؤولة عن وضعنا المأساوي، افليست هناك عوامل اخرى؟ آمل ان يكون البحث قد اشار اليها.

٥ ــ في قضية عدم الخروج بالتوصيات برغم ماتفضلتم به اعتقد اذا ما استمر الفصل الحاد بين البحث العلمي والجانب السياسي، فحتى لو وضعنا توصيات فلست ادري ما هي جدواها.

د. حسن الابراهيم:

اعتقد ان الدكتور محمد عودة يشير الى موضوع مهم جدا قد يكون خارجا عن هذه الندوة الا وهو تجسيم العلاقات بين المفكرين والباحثين و بين صانعي القرارات.

د. احمد عبد الله:

المشكلة التي طرحها البحث هي التعرف على مشاكل الطفولة بصورة دقيقة وهذا يجرنا للقول بأن مشكلة الاطفال هي ايضا مشكلة الكبار، لان الفشل في الحصول على المعلومات سببه الكبار، او المسؤولون او السلطة التربوية في البلاد التي شملها البحث.

النقطة الثانية، بالنسبة للمرحلة الابتدائية اشار الدكتور الى ان نسبة الاستيعاب هي ٥٢٪، وهي تنقص في المرحلة الاعدادية ثم في الثانوية، دراسة الاستيعاب كانت من حيث الكم، لو حاول البحث مستقبلا التعمق بشكل افضل لدراسة الاستيعاب من حيث الكيف لاستطاع في اعتقادي الخروج بسبب تقلص هذا الاستيعاب من ٥٢٪ فأقل في المراحل اللاحقة، لان هذا يجرنا الى قضية الهدر أو الرسوب في تلك المراحل.. وهذا يجر الى مشكلة الاطفال المعوقين لسبب او لآخر، وقد حاول البحث التعرض لجميع هذه الجوانب. اذن لدينا قضية الهدر واسبابها كثيرة.

والنقطة الثالثة، اقترح بالنسبة لدول الخليج او الكويت على الاقل ان يكون هناك قانون خاص بالتعليم الخاص اومايسمى بالفئات الخاصة، واذا كان مايسمى بالطفل العادي له الحق في التعليم المناسب، فلماذا لايكون هناك تعليم للطفل غير عادي؟ وهذا القانون سيساعد في تطوير الوسائل وطريق التدريب والبرامج لتعليم هؤلاء الاطفال غير العاديين وهذا المفهوم يشمل ايضا الطفل المتفوق.

د. حسن الابراهيم

لاشك ان الدكتور أحمد يعرف مدى اهتمامنا بالطفل غير العادي بجانب الطفل العادي والموهوب، فأتمنى ان نبحث اية اقتراحات تفصيلا في الجمعية وفي غيرها.

د. كافية رمضان:

انا سعيدة بالاستماع للدكتور فراج في هذا البحث الشيق. واعتقد ان النقص في الدراسات التي تدور حول احتياجات الطفولة هو نقص يعاني منه اي مشتغل في هذا المجال. وفي حدود علمي ليست هناك اية دراسة تتعلق بهذا الجانب الا واحدة تمس احتياجات الطفل في البحرين. والمشكلة ايضا لها بعد آخر يتلخص في اننا لم نعتد ان نعمل معا، فالاختصاصات المختلفة في مجال الطفولة قد تدعم بعضها اذا ماتضافرت. كلمة الدكتور فراج عن التمويل، و يبدو انه يشعر بعدم تقصير الحكومات في موضوع توفير الاعتمادات الميزانية ــ واعتقد ان الاعتماد في ميزانية الدولة ليس هو الجانب الاساسي في الموضوع، فقد لاتتوافر مع المادة استراتيجية بناء الانسان ــ وكيفية

الربط بين الاصالة والمعاصرة في هذا البناء، وماذا نريد من الانسان العربي. كل هذه القضايا متغيبة. وكثير من الذين يعملون في مجال الطفولة لايدركون تماما ماذا نريد ولا كيف ننفذ.

ادركت ان الدكتور الباحث قد درس الطفل في القرى والمدن، واعتقد ان الطفل في القرى هو المظلوم. حيث يعاني من الاهمال في الدراسات الخاصة بالطفل، فهذه تركز على طفل المدينة ومشاكله.

وآمل ان تكون هذه الدراسة منطلقا لمزيد من الدراسات في هذا الجانب.

النقطة الاخرى، شعرت من حديث الدكتور فراج بأن تعليم الطفل المعوق هو نوع من الهدر، ولا اظن ذلك مقصودا، فيرجى القاء الضوء على هذه الجانب.

د. حسن الابراهيم:

ذكرت الدكتورة كافية عن تقصير الباحثين في حقل الطفولة، وأنا انظر لابعد من ذلك، واقول ان هناك تقصيرا في الابحاث المتعلقة بالعلوم الاجتماعية والانسانية في الوطن العربي رغم ان ثلاثة ارباع الطلاب العرب في الجامعات يتجهون الى هذه الانواع من التخصصات ونشاطهم في دراسة مشاكل المجتمع محدودة، فلو قارنت بين صاحب دكتوراه في العلوم التطبيقية وآخر في العلوم الاجتماعية لوجدت ان مختبر الاول غرفة بحجم هذه الغرفة او هذا المكان، بينما مختبر اصحاب الشهادات في العلوم الاجتماعية هو المجتمع ككل.. فالتحدي في الواقع اكبر بكثير امام الاجتماعيين منه امام المتخصصين في العلوم التطبيقية.

د. رجاء ابو علام:

اود ان اسأل الدكتور فراج، هل الصورة تبدو في نظرتكم قاتمة بالنسبة للمستقبل والاجيال القادمة؟

د. قاسم الصراف:

اشار الدكتور الباحث الى نقطتين اعتبرهما انا اهم نقاطه.

الاولى: اهمية قيمة المعلومات في اتخاذ القرارات حول الطفولة، والقرارات لابد لها من معلومات، وللاسف تأتي قراراتنا من عدم استنادها لمعلومات دقيقة، فهي عشوائية غير سليمة.

اشار السيد الباحث إلى الحاجة لبنك معلومات عن الاطفال، والسؤال كيف السبيل لانشاء هذا البنك؟

النقطة الثانية: نعرف ان شخصية الراشد تتشكل في مرحلة الطفولة والمشكلة الآن اننا نبحث عن هوية تربوية، فما هو التصور الذي ترونه مناسبا لتشكيل هذه الهوية التربوية؟

د. اسامة الخولي:

كلنا نعاني من نقص المعلومات، وانا اود ان اضيف لما قيل عن نقص الاهتمام بالبحث العلمي، اننا نتجاهل مقدار الجهد والكلفة اللذين ينطوي عليهما اعداد الاستبيانات ــ وفوق هذا هناك موقف المجتمع من المعلومات في ظل النظام السائد فيه. فالمعلومات عند غالبية الناس في المجتمعات الحديثة هي سلاح خطر في يد من يملكه، فنحن عادة لانرحب كثيرا بتقديم المعلومات للآخرين.

بالنسبة لموضوع التمويل، اريد ان انظر للموضوع من وجهة نظر اخرى، ان اقارن الانفاق على التعليم بالأنفاق العسكري واسمحوا ان اذكر بعض الارقام المزعجة حقا، ومصدرها معهد ستوكهولم لبحوث السلام.. طبقا لهذه البيانات فانه من بين عشر دول في العالم تنفق اكثر من ١٠٪ من الناتج القومي على السلاح توجد سبع دول عربية. وفي ١٩٧١ انفقت مصر على الجهد الحربي ٢ر٢ مرة ما انفقته على التعليم والصحة. وان السعودية انفقت على الجهد الحربي ٥ر٤ مرات ما انفقته على التعليم والصحة مجتمعين، وفي سنة ١٩٨٣ انفقت سلطنة عمان ودولة قطر ٢٥٪ من الناتج

القومي على الجهد الحربي. وفي مقابل هذا قيل انه في الصومال مثلا هناك تجربة رائدة في امكان تحقيق انجازات في مجال التربية والتعليم بكلفة قليلة جدا وبأساليب غير تقليدية، وان مؤشر نوعية الحياة الذي يستعمله بعض الاقتصاديين لقياس رزمة من الحاجات الاساسية في الصومال اعلى منه في كثير من الدول التي تتصور انها غنية.

هل هذا الكلام صحيح وهل له علاقة بما يمكن ان يكون مدخلا آخر لتحقيق الاهداف التي نسعى اليها؟ وهناك سؤال في بالي، وقبل ان نتفاءل او نتشاءم اليس من المناسب كما اشار السيد المحاضر ان ننظر للامر بعمقه التاريخي ونحاول ان نرصد معدلات التقدم ومدى تغير هذه المعدلات. ولو كان الامر كذلك وامكن تعريف السقف الذي يقف عنده النمو في مجتمعات مختلفة هل يمكن تحديد العوامل التي حددت هذا السقف وننظر اذا كان للمسألة ابعاد خارج اطار تربية الطفل ونشأته.

وهناك سؤال مهم آخر. الدراسة تؤصل على اساس علمي كثيرا مما نحس به كهواجس، وهو امر هام، ولكن هل خرجت الدراسة بشيء غير معروف او غريب او شاذ؟

د. حسن الابراهيم:

لقد جاءت مداخلة د. اسامة في وقتها من ناحية اولويات الانفاق. وأحب ان اؤكد انك لست رجل الشارع الوحيد هنا فانا ايضا مثلك واصر احد المتخصصين على يميني ان يدلي بدلوه.

د. محمد جواد رضا:

لي سؤالان فقط:

١ ــ هل يستطيع الدكتور فراج ان ينهي هذه الدراسة بمعزل عن السياسة الاجتماعية العامة في الدول العربية؟ ولاضرب مثلا بسيطا مشاكل سوء التغذية والمرض مرتبطة بالوضع الاقتصادي للعوائل العربية، وحتى في بلد رأسمالي مثل الولايات المتحدة

يتحدثون عن خط الفقر الذي قدروه بـ (٦) آلاف دولار لعائلة مكونة من اب وام وطفلين فاذا قل دخل العائلة عن ستة آلاف دولار بالسنة فالدولة تسد الفجوة بين هذا الدخل والدخل الحقيقي للاسرة لكي لا يهبط، ليس المستوى الغذائي للعائلة فقط وانما ايضا مستواها النفسي والاجتماعي من حيث السكن. وفي الدول الاشتراكية يعطي القانون المرأة التي تضع طفلا حق الحصول على اجازة سنة كاملة (هي السنة الاولى) براتب تام تتفرغ خلالها لتنشئة الطفل الجديد. ومبدأ الحد الادنى للاجور المعمول به في الدول الصناعية هل له نظير في المجتمعات العربية؟ ثم اليس لكل هذه الاسئلة والاعتبارات انعكاساتها على الاحتياجات الصحية والثقافية للطفل ونشأته؟

٢ ــ بالنسبة لقضية الحقائق التي تتجمع لدى الدكتور فراج، هل له نية ان يبتكر معيارا لاثبات مصداقيتها، ام سيأخذها على قيمتها الظاهرة فبهذا فهو قد يبني عليها نتائج قد تكون مغايرة للواقع؟ وهل يعتقد انه يستطيع ان يصل الى معلومات مؤكدة في ضوء السياسة الاعلامية العامة في العالم العربي فنحن نقرأ ونسمع من اجهزة الاعلام الرسمية اخبارا نجدها مفندة في اجهزة اعلام العالم الاخرى، ثم تعترف بها اجهزتنا فيما بعد.

د. حسن الابراهيم:

تفضل الدكتور جواد وطرح تغطية الاعلام للنواحي المختلفة واعتقد ان اعلامنا مقصر لان التنمية لها جوانب ايجابية وسلبية، اوجه مفرحة واوجه مؤلمة ــ والاعلامي الناجح هو الذي يستطيع تقديم جميع اوجه التنمية الجيد منها والسيء. واعتقد ان للمجتمع الحق في الاطلاع على الجوانب السيئة من التنمية ولا نستطيع ان نجد علاجا لهذه المشاكل دون معرفة السلبيات. اعتقد الآن ان كل سؤال من سيل الاسئلة التي طرحت في هذا الحوار يشكل بحثا مستقلا ولاحظت ان الدكتور قد دون كل سؤال ولا اعتقد ان الوقت يسمح بالاجابة على كل الاسئلة، واتمنى على الدكتور فراج ان يركز بمدة عشر دقائق على الاجابة على ما يختاره من الاسئلة.

د. عثمان فراج:

انني سعيد بكل الاسئلة وكان توقعي ان يلقي هذا البحث نقدا مرا نظرا لعدم اقتناعي شخصيا اقتناعا كاملا به، من جهة شموليته اولا وصعوبة الحصول على المعلومات وقصر الوقت المتاح بالاضافة الى ان الصورة التي سمح الوقت بعرضها عليكم هي صورة مشوهة لعدة اسباب اقلها عدم كفاية الوقت لعرضه على ضخامته وساحاول المرور على التعليقات بسرعة:

ـ اتفق مع الدكتور صادق، فالعقلية البحثية لا زالت غير متوفرة في العالم العربي. وهناك حاجة ماسة لنشر الوعي به حتى بين المتخصصين. وذلك يذكرني بتجربة مرة مررت بها، ففي عام ١٩٦٣ كنت استاذا زائرا في جامعة اووترخت في هولندة، وفي احد الايام حولت لي دعوة لحضور مؤتمر في برلين، وموضوعه التكنولوجيا التعليمية Teaching Machines ولم تكن لدي فكرة عن الموضوع رغم انني كنت استاذا في كلية التربية في ذلك الوقت. اردت الاعتذار فلم يعفني المدير، بحجة ان الجامعة تريد من لديه فكرة عن التعليم في الدول النامية حضور المؤتمر. وذهبت قبل الوقت باسبوع للتعرف على الوضع ففوجئت بسيل والآف من الكتب الموجودة في هذا الموضوع ولم نكن ندري عنها سوى عن بعض المحاضرات واكتسبت خبرة من المكتبة في هذا الاسبوع والمهم ان من نتيجة المؤتمر تحولي تحولا كليا نحو هذا الموضوع و بدأت عددا من البحوث في هذا المجال بعد الاستيعاب، وتعلمت كثيرا من بحوث المؤتمر وعملت بحوثا أخرى ايضاً في مصر وارسلتها لليونسكو ـ التي اختارتني لمؤتمرين في الاردن ولبنان في ذلك الوقت ثم ترأست ورشة (Workshop) في القاهرة سنة ١٩٦٤ لتدريب مجموعة من التربويين على اعداد المادة او برمجة المادة العلمية ـ وحاولت الاستعانة ببعض الزملاء في كلية التربية ـ وكنت اتمنى ان تبدأ الكلية باجراء بحوث في هذا المجال ولكن ما حدث هو العكس، واعتبرت ما اتيت به بدعا، والآن التعليم يعتمد كليا على الكمبيوتر في كل المجالات، ورغم كل هذه الحركة الكبرى في التعليم لم يرسل الينا سوى برامج الا تاري وما يشبهها التي تستخدم فقط لاضاعة الوقت، اما البرامج المعدة للافادة العلمية فلم تصل بعد، وحتى عند وصولها فلن تكون برامج مناسبة لمناهجنا. هل قامت كليات التربية العربية باعداد المبرمجين الذين

يعدون المادة العلمية؟ تطوير التعليم لا يغير الاجهزة فقط، بل يتجه الى المبرمجين من الناس. فالتعليم المبرمج نتائجه مضمونة، ولن يتحمل الطالب معه اي خطأ، فاذا كان هناك اي قصور فهو يعتبر خطأ البرنامج وهذا يمكن تعديله وتقويمه بحيث ان استعماله يعطي اعلى النتائج.
وهذا كله اساسه البحث فان لم يوجد، البحث فلن نأمل في اي تطوير.

ـ بالنسبة للدكتور بدر، سؤاله عن اسباب الفشل مهم.. ليس هناك اي فصل في البحث اسمه اسباب الفشل، بل هو يحاول تلمسها في كل البحث، وكل موضوع كنت ابحث سلبياته وايجابياته واسبابها، وانا لا ادعي انني اعرف كل اسباب الفشل، ولا احد يمكنه الادعاء بذلك.

ـ تكلم الدكتور سعد عن الانفصال بين التعليم وسوق العمل ، وقد تعرض البحث لاسباب هذه المشكلة. وهي تكمن في عملية التخطيط التربوي ووضع المناهج والى اي مدى ترتبط بالواقع الاقتصادي والاهداف المجتمعية التي تضعها الدولة، واتفق مع الدكتور سعد على ان التعليم يسير في اتجاه والنمو الاقتصادي يسير في اتجاه اخر. ان على المخططين التربويين ان يأخذوا في الاعتبار كل التطورات الجديدة، فمثلا التطورات في الهندسة الوراثية مذهلة في مجال التحكم في الاجنة والوراثة. وكذلك خطورة اجهزة التلفزيون والفيديو على النشء والطفل . وكذلك الـ (ARAB SAT) سيجلب من هنا وهناك .. وكذلك طورت في اميركا التلفزة التي تعطي المجال في البيت لاختيار اية محطة تلفزيونية في العالم كما يحدث في الراديو، وهنا لا رقابة تفيد، والتطور العلمي السريع مذهل، وكل ذلك لابد من اخذه في الاعتبار.

ـ بالنسبة لتعليق الدكتور محمد عودة عن تمديد الفترة الزمنية تعرضت لتعريف المفاهيم وهو واضح في البحث، وفترة الطفولة يختلف في تحديدها، وانا اخذت موقفا وسطا بين التعريفات المختلفة.
ـ بالنسبة لتعليق د. علام عن القتامة في الصورة المستقبلية، انا اتفق معه على انها قاتمة ان لم تكسر الحلقة المفرغة في مكان ما. والعلاج يبدأ بدراسة واقعية للوطن

العربي، اوضاعه ومشكلاته والتحديات التي تواجهه، واتصور ان هناك اربعة تحديات: التخلف، الصراع العربي الصهيوني وغيرها..

د. حسن الابراهيم:

لا يسعني الا ان اتوجه بالشكر للدكتور عثمان فراج لتحمله عناء السفر للمشاركة في هذه الامسية، واشكركم جميعا للحضور والنقاش.

الأساليب المعرفية عند الطفل*

* هذا هو موضوع الندوة الرابعة من ندوات الموسم العلمي الثاني للجمعية (١٩٨٤ ــ ١٩٨٥) وقد عقدت مساء ١٩٨٥/٢/٢٩.

الأساليب المعرفية عند الطفل.

رئيس الندوة : الدكتور حسن الإبراهيم رئيس الجمعية الكويتية لتقدم الطفولة العربية

المتحدث الرئيسي : الدكتور/ قاسم الصراف جامعة الكويت

المعقب : الدكتور أحمد عبد الله جامعة الكويت

المشاركون

١ــ الدكتور احمد بستان ..... جامعة الكويت

٢ــ الدكتور رجاء ابو علام ..... جامعة الكويت

٣ــ الدكتور محمد جواد رضا ..... جامعة الكويت

٤ــ السيد هاني الهندي ..... مؤسسة الابحاث العلمية

٥ــ السيد/ باقر خاجة ..... وزارة الاعلام الكويتية

الأساليب المعرفية عند الطفل

بقلم : د. قاسم الصراف

مقدمة :

□حتى عهد قريب كان الاعتقاد سائدا بان الاختلافات العقلية بين الاطفال مردها الى الفروق الفردية في الذكاء ثم برز اعتقاد آخر بأن الفروق الفردية بين الصغار في العمليات المعرفية مصدرها الدافعية والميول والاتجاهات.

□ثم اتى فريق آخر في الستينات من هذا القرن ليؤكد على وجود عوامل اخرى تشترك مع كل من الذكاء والدافعية والميول، ولكنها تختلف عنها من حيث النوعية، وهذه الفروق اطلق عليها (الاساليب المعرفية).

والاساليب المعرفية تشير الى طريقة الطفل في التعامل مع المعلومات عن طريق الفهم والتفكير والتذكر، والحكم على الاشياء، وحل المشكلات بحيث تذهب الى ابعد من مستوى الانجاز.

فالطفل في تعامله مع المعلومات يعتمد على صيغة التصنيف والتركيب واستقبال المعلومات وخزنها وهذه العمليات تساهم في النمو والاستعدادت العقلية للطفل وتوسع مداركه ومهارته المعرفية.

ماهي الاساليب المعرفية عند الاطفال؟

أكد الباحثون على وجود تسعة اساليب معرفية عند الاطفال، وهذه الاساليب تختلف عن بعضها البعض في عدة اوجه وهي :

١ ــ اسلوب الاستقلال ــ الاعتماد على المجال Field - independence dependece

وهو اسلوب يعتمد على التحليل الادراكي . فالطفل المستقل مجاليا يقوم بارجاع المشكلة الى اجزائها بمعزل عن الشكل الكلي لها، والطفل المعتمد مجاليا ينظر الى

الشكل او المشكلة نظرة شمولية كلية بعيدة عن التحليل لانه يهمل الاجزاء. هذا الطفل يتميز بالاستقلال، بينما الطفل المعتمد مجاليا يتصف بالاتكالية.

٢ ــ الاسلوب التأملي ــ الاندفاعي : Reflective Impulsivity

الطفل التأملي هو الطفل الذي يميل الى التروي في التفكير والبحث عن عدة بدائل اثناء مواجهته لمشكلة من المشاكل، بينما الطفل الاندفاعي هو الطفل الذي يميل الى السرعة في اتخاذ القرارات دون التبصر بالنتائج.

٣ ــ اسلوب امعان النظر: Scanning

وهو اسلوب يتصف بشدة الانتباه وشموليته، و يؤدي الى اختلافات فردية بين الاطفال في مجال خصوبة الخبرة وامتداد المعرفة.

٤ ــ اسلوب اتساع التصنيف: Breadth of categorization

وهو اسلوب يتميز بالتفصيل المستمر بين شمولية عناصر المثيرات او عدم شموليتها للبعد التصنيفي.

٥ ــ الاسلوب المفاهيمي: (ذو علاقة بالمفاهيم) conceptualizing Style

وهو اسلوب يشير الى النزعة الفردية لتصنيف المتشابهات والمختلفات بين المثيرات فيما يتعلق بالتفاصيل بين المفاهيم للوصول الى كيفية اكتساب واستخدام المفاهيم.

٦ ــ اسلوب التعقيد ــ التبسيط المعرفي: Cognitive complexity simp icity

وهو اسلوب يشير الى ميل الطفل لتفسير العالم الذي حوله، و بالاخص فيما يتعلق بالسلوك الاجتماعي، بطريقة تتصف بالعمق والبعد والتصنيف.

٧ ــ الاسلوب الشاخص ــ النافذ: Leveling sharpining

الاسلوب الشاخص يتصف بضبابية الاستيعاب في الذاكرة والخلط بين الاشياء المتشابهة والاشياء المتماثلة حين استدعائها من الذاكرة والاسلوب النافذ يكون اقل عرضة للخلط بين المثيرات المتشابهة، واكثر اعتمادا على المقارنة بين الاشياء، وخصوصا فيما يتعلق بالحاضر وعلاقته بالماضي.

٨ــ اسلوب السيطرة المحدودة والسيطرة المرنة: Constricted - Flexible control

وهو ما يشير الى الفروق الفردية في مسألة القابلية او الحساسية للتداخلات والاضطرابات المعرفية عند الاطفال.

٩ ــ اسلوب القدرة على تحمل الخبرات المتناقضة:

Tolerance for incongruos experiences

وهو اسلوب يشير الى تنوع الرغبات حول قبول المدركات الحسية التي تختلف وتتعارض مع الخبرة التقليدية.

هذا وقد اجريت ابحاث كثيرة حول هذه الاساليب المعرفية، واكدت على ان هذه الاساليب ثابتة نوعا ما عبر فترات زمنية محدودة. وبما ان الاسلوب التأملي ــ الاندفاعي هو من اكثر هذه الاساليب شيوعا واهمية في المجال التربوي، فاننا سوف نركز كلامنا حول هذا الاسلوب كنموذج على الاساليب المعرفية الاخرى عند الاطفال.

الاسلوب التأملي الاندفاعي:

يعرف الاسلوب التأملي نظريا على انه ميل الطفل الى التروي في التفكير والحث على الاحتمالات البديلة للحلول للمسائل المطروحة، واجرائيا على انه استغراق الطفل لمدة اطول من الزمن وارتكاب اخطاء قليلة في المواقف التي تقاس بواسطة اختبار الاشكال المألوفة المنسجمة MFFT*

اما الاسلوب الاندفاعي فيعرف نظريا على انه ميل الطفل الى السرعة في الاستجابة دون الاهتمام بالنتائج، واجرائيا، على انه الاستجابة السريعة للمثيرات مع استمرار كثرة هذه الاستجابة بواسطة الاشكال المألوفة المنسجمة MFFT

وعلى هذا نرى ان للاسلوب التأملي ــ الاندفاعي علاقة وثيقة بالعمليات التي من خلالها يتكون التفكير وليس فقط بالمخرجات السلوكية.

ولهذا الاسلوب بعدان:

ــ بعد يشير الى ميل الطفل الى تحليل المثير Stimulus الى عناصره المركبة.

ــ و بعد يشير الى تصنيف المثير على اساس كلي وشمولي. اما البعد التحليلي فهو نتاج نزعتين اساسيتين:

١ ــ ترجيح تجزئة الصور الذهنية الى عناصرها الدقيقة.

---

*Matching Familliar Figures Test.

٢ ــ النزوع الى التأمل في صحة الاستجابة في مواقف حل المشكلات التي تتصف بوجود عدة احتمالات بديلة.

لقد دلت نتائج البحوث المجراة في هذاالصدد على ان القدرة التحليلية عند الاطفال تزيد مع العمر، كما انها مستقلة عن القدرة اللغوية عند الطفل. واكتشف كيجان Kagan ايضا ان بعض الاطفال يجيبون على الاسئلة اولا ثم يبحثون عما اذا كانت اجوبتهم صحيحة ام لا، بينما هناك اطفال اخرون يترددون قبل الاجابة على الاسئلة متخلصين من الاجوبة غير الصحيحة ذهنيا ثم يشرعون في اعطاء الجواب الصحيح، وقد اطلق على الفئة الاولى (الاندفاعيون)وعلى الفئة الثانية (التأمليون).

ولقياس هذا البعد عند الاطفال اخترع كيجان ورفاقه (١٩٦٤) اختبارا خاصا اطلق عليه اختبارالاشكال المألوفة المنسجمة Matching Famillar Figures Test MFFT وهذا الاختبار يحتوي على تمرينين واثنتي عشرة مشكلة اختبارية او تجريبية. وكل مشكلة من هذه المشاكل تحتوي على معيار Standard وهو صورة لشيء مألوف لدى الطفل وست نسخ لهذه الصورة. احدى هذه النسخ تطابق تماما المعيار والنسخ الخمس الاخرى تختلف عن المعيار اختلافا بسيطا.

يسأل الطفل اثناء الاختبار ان يبحث عن الصورة التي تشابه تماما المعيار، و يعطي تغذية راجعة من قبل المختبر وفي هذه الحالة لا يسمح للطفل ان يرتكب اكثر من خمسة اخطاء في كل مشكلة اختبارية. و يستعمل الوسيط الحسابي Median في حساب عدد الاخطاء Erros وزمن القرار Decison Time لتصنيف الاطفال إلى اندفاعيين وتأمليين. وعلى هذا فالطفل الذي يقع زمن استجابته تحت الوسيط وعدد اخطائه فوق اندفاعيا Impulsive، بينما الطفل الذي يقع زمن استجابته في اعلى الوسيط وعدد اخطائه في اسفل الوسيط يسمى تأمليا Refelective.

وبهذا التقسيم يؤلف الاطفال الاندفاعيون والتأمليون ثلثي اية عينة محددة و يكون الثلث الاخر من الدقيقين السريعين وغير الدقيقين البطيئين inaccuretes Slow. وقد دلت الدراسات في هذا الميدان على انه يوجد معامل ارتباط سلبي بين زمن الاستجابة وعدد الاخطاء عند تطبيق هذا الاختبار، وعامل الارتباط غالبا ما يتراوح بين ٠,٤٠ والى ٠,٢٠ في البحوث التي تجرى على الاطفال.

علاقة الاسلوب الاندفاعي ــ التأملي بالطفولة:

اشارت الدراسات التي قام بها كيجان Kagan الى وجود البعد التأملي الاندفاعي لدى الأطفال في سن مبكرة، فالطفل الاندفاعي يميل عادة الى عدم الاطالة في النظر الى المثيرات التي تعرض عليه عند سن ٤ شهور. و يقضي الطفل الاندفاعي عادة وقتا قصيرا في التعامل مع اللعبة ثم يحذفها و يذهب الى اخرى في سن ٨ شهور ولا يستقر في مكانه طويلا و يصبح كثير الحركة عند سن ١٣ شهرا وعند سن ٢٧ شهرا يقضي الطفل الاندفاعي وقتا اقصر في اللعب بجانب امه، وتفشل كل المحاولات في ابقائه بجانبها.

واشارت دراسات اخرى الى احتمال وجود أسس بيولوجية وراثية للاسلوب الاندفاعي التأملي. فالطفل التأملي يبدو اكثر بدانة، واكثر صحة وهو كثير الابتسام، وقليل الحركة.

بينما يبدو الطفل الاندفاعي اكثر حيوية ونشاطاً وتأثرا بما حوله، وهو سريع الحركة سواء مع اللعب او مع الاطفال الاخرين، فتعامله مع الاطفال الاخرين، يتسم بأنه سيبدى رغبته في البداية في اللعب مع الاطفال ثم سرعان ما يتركهم ليلعب مع غيرهم، وهو لديه حب الاستطلاع للتعرف على الاشياء، الا انه يحاول اثارة الضجة والازعاج للاخرين. والطفل الاندفاعي عادة يجيب على الاسئلة التي تلقى عليه اولا ثم يبحث عما اذا كانت اجابته صحيحة ام لا، بينما الطفل التأملي يتردد قبل الاجابة على الاسئلة متخلصا ذهنيا من الاستجابات الخاطئة، ثم يشرع في اعطاء الجواب الصحيح.

والطفل التأملي عادة يتخطى مراحل النمو بصورة اسرع من الطفل الاندفاعي بمعنى ان الطفل التأملي في الصف الاول الابتدائي قد يتعادل اكاديميا ونشاطا مع الطفل الاندفاعي في الصف الثاني او الثالث الابتدائي. والطفل التأملي يتمتع بذاكرة اقوى من ذاكرة الطفل الاندفاعي.

اما فيما يتعلق بالفروق بين الجنسين في مجال البعد التأملي ــ الاندفاعي فتشير الدراسات الى عدم وجود فروق جوهرية بين البنين والبنات في هذا المجال، واذا كانت هناك فروق فهي فروق بسيطة وغير دالة احصائيا وغالبا تشير الى الاعتقاد بأن

الاطفال الذكور اكثر اندفاعية من الاطفال الاناث في مراحل الطفولة المبكرة، ولعل السبب في ذلك مرجعه الى عامل النضج، لان البنت اسرع نضجا من الولد في هذه الفترة بمقدار ستة اشهر.

افتراضات حول البعد التأملي ــ الاندفاعي:

هناك ثلاثة افتراضات حول طبيعة هذا البعد عند الاطفال:

الافتراض الاول:

يعزو اسباب البعد الاندفاعي الى قلق الطفل من عدم استطاعته مواجهة مواقف اختبارية (أي انعدام الثقة بالنفس).

الافتراض الثاني:

فيؤول اسباب البعد التأملي بقلق الطفل من ارتكاب اخطاء في المواقف الاختبارية، وهذا القلق يدفعه الى التروي في التفكير والبحث عن الاجوبة الصحيحة.

الافتراض الثالث:

يتعلق باعتقاد الطفل الاندفاعي بأن السرعة في انجاز اي شيء هي بحد ذاتها فضيلة ولهذا فهو يضحي بالدقة والصواب لحساب السرعة في الاجابة.

علاقة البعد التأملي ــ الاندفاعي بحل المشكلات:

استخدم البعد التأملي ــ الاندفاعي في حل المشكلات Porblem solving عند الاطفال، وتبين ان الطفل التأملي ليس فقط يستعمل وقتا اضافيا لحل المشكلة وانما يجمع معلومات اكثر لكي يبني حله عليها، بالاضافة الى ان الطفل التأملي يجمع معلوماته بطريقة منظمة ومنسقة، عكس الطفل الاندفاعي الذي غالبا ما يجمع معلوماته بطريقة عشوائية وغير منتظمة، كما تتصف نظرته الى الاشياء بالشمولية والبعد عن التفحيص والتمحيص. وقد ثبت بما لا يدع مجال للشك ان ايقاع الاندفاع السريع يقود الطفل الى تحصيل تعليمي اقل في مواقف حل المشكلات، بينما يسهل ايقاع التروي عملية الوصول الى اقصى د رجة التحصيل وهناك دلائل تشير الى نوعية اسلوب التفكير عند التأمليين بالمقارنة الى الاندفاعيين، فمثلا عند تكملة الجملة التالية: ٥ رمزا الى الرقم كأسود الى

نرى ان الاندفاعيين يقولون (ابيض)
بينما التأمليون يقولون (اسود)

وعلى هذا نرى ان استجابة التأمليين تدل على القدرة التحليلية في حل المشكلات، بينما تعتمد استجابة الاندفاعيين على ارجحية تداعي المعاني او الافكار.

والاحتمال الاخر في تفوق الاطفال التأمليين على الاطفال الاندفاعيين يكمن في أن من متطلبات التفوق في حل المشكلات صرف قدرا كبر من الوقت في تحويل المشكلة الى رموز تساعدهم في تحقيق او انجاز العمليات بكفاءة اكبر للوصول الى الحل المطلوب و هذه الطريقة تتبع من قبل الاطفال التأمليين اما الاطفال الاندفاعيون فيلجأون غالبا الى الطريقة الكلية او الشمولية في حل المشكلات.

العلاقة بين البعد التأملي ــ الاندفاعي والتحصيل الاكاديمي العام:

هناك دراسات وابحاث اخرى تدور حول ايجاد العلاقة بين البعد التأملي ــ الاندفاعي لاسلوب التفكير و بين التحصيل الدراسي لدى الاطفال، فقد وجد ان الاطفال الاندفاعيين يشكلون اكبر نسبة من الاطفال الراسبين في المدارس الابتدائية وان فئة الاطفال المتفوقين دراسيا هم من فئة الاطفال التأمليين. وتفوق الاطفال التأمليين على الاطفال الاندفاعيين يظهر جليا في مواد الحساب والقراءة لان هاتين المادتين تعتمدان اعتمادا كليا على الطريقة التحليلية في حل الرموز وايجاد العلاقة بين المفاهيم والمفردات، والتي تناسب طريقة تفكير الاطفال الاندفاعيين.

وهناك دراسات اخرى قامت على المقارنة بين الاطفال العاديين والاطفال المتأخرين دراسيا وتبين نتيجة هذه البحوث ان الاطفال المتأخرين دراسيا ينتمون الى فئة الاندفاعيين اكثر منهم الى فئة التأمليين نتيجة لاستخدامهم طرقا غير سليمة في معالجة المعلومات.

وهناك دلائل قاطعة على ان البعد الاندفاعي يعوق القدرة على القراءة عند الاطفال و يؤثر بشكل عكسي على المحاكمة الاستقرائية، وهاتان القدرتان ضروريتان للتحصيل الاكاديمي العام.

هل يمكن معالجة الاسلوب الاندفاعي عند الاطفال:

هناك اجراءات يمكن اتخاذها لتعديل البعد التأملي ــ الاندفاعي كأسلوب

للمعرفة ولقد قامت دراسات عديدة دلت نتائجها على امكانية التغلب على الاندفاعية عند الاطفال وذلك باتباع احد الاساليب العلاجية الاتية :

١ ــ يمكن اعطاء ارشادات وتعليمات للاطفال للكف عن السرعة في اعطاء الاجوبة في المواقف التي تتطلب تفكيرا عميقاً .

٢ ــ يمكن اعطاء تعزيزات كافية للاطفال لتجنب ارتكاب اخطاء كثيرة في حل المشكلات والتأكيد على ضرورة الانتباه الى الاجزاء التفصيلية الدقيقة للمسائل المعروضة عليهم .

٣ ــ يمكن عرض نماذج لسلوك اطفال تأمليين على الاطفال الاندفاعيين وحث الاطفال الاندفاعيين على تقليد طرق الاطفال التأمليين واساليبهم في حل المشكلات .

٤ ــ يمكن تعليم الاطفال اساليب ناجحة في حل المشكلات ، وتدريبهم على كيفية تحسين خططهم الاستراتيجية في البحث عن الاجوبة الصحيحة في المواقف التربوية .

هذه الخطوات القصد منها تضييق الهوة الموجودة بين الاطفال التأمليين والاطفال الاندفاعيين في التحصيل الدراسي في المواقف المدرسية .

References

1 - Kagan J. & Kagan, N. **Individual Variation in Cognitive Processes** in P.H. Mussen (Ed) **Carmichael's Manual of Child Psychology.**

2 - Kagan, J., Rosman, B. Day D. Albert, J. and Philips W. **Information Processing in the Child, Significance of Analytic and reflective Attitudes. Psychological Monographs,** 1964, 78, 1 (whole 528).

3 - Kagan, J. **Reflection - Impulsivity: The Generality and Dynamics of conceptual Tempo. Journal of Abnormal Psychpipgy,** 1966, 71, 17-24.

تعقيب

الدكتور/ أحمد عبدالله

□استعرض الدكتور المحاضر موضوع الاساليب المعرفية عند الاطفال موضحا هذه الاساليب باختصار ومركزا على بعد الاسلوب التأملي ــ الاندفاعي باعتباره من اهم الاساليب واكثرها تأثيرا في المجال التربوي. كذلك استعرض الدكتور الصراف العلاقة بين هذا البعد واسلوب حل المشكلات والتحصيل الاكاديمي بشكل عام.

سأحاول في تعقيبي أن القي بعض الضوء على هذا الموضوع البالغ الاهمية واهميته في المجال التربوي الا انني اود ان اختار مدخلا آخرا ومفهوما مختلفا وان يكن وثيق الصلة بين الموضوع و يرتبط به ارتباطا قو يا بل يمكن القول بأنني سوف اتحدث عن نفس الموضوع ولكن من حيث البعد التطبيقي.

ماهو المفهوم الذي نود ان ندخل به في صلب الموضوع ؟

يعرف هذا المفهوم باسم تفاعل القدرات مع العلاج Treatment Interaction (ATI) Apttitude واحيانا اخرى يسمى تفاعل السمات مع العلاج TTI أو Trait - Treatment Interaction ماذا يعني تفاعل العلاج مع القدارت او السمات؟

يمكن الاستدلال على وجود تفاعل بين القدرات او السمات واسلوب العلاج عندما يقتصر ظهور تأثير العلاج على نوع معين من الافراد تحت مجموعة من الظروف ولكن يمتنع هذا التأثير من الظهور بنفس الطريقة بالنسبة لافراد آخرين تحت نفس الظروف.

يبدو ان هذا التعريف بحاجة الى تفسير وتوضيح... فعلى سبيل المثال لنفترض اننا قد اعددنا برنامجا علاجيا تعليميا معينا وحاولنا تطبيق هذا البرنامج على مجموعة متجانسة من الاطفال الذين يعانون من صعوبات دراسية معينة و وجدنا اختلافا في درجة استجابة الاطفال للبرنامج العلاجي مع افتراض تجانسهم من حيث متغيرات كثيرة كالذكاء والسن والخلفية الاجتماعية والثقافية فان الافتراض الذي يمكن تقديمه وتبريره في مثل هذه الحالة هووجود متغيرأو متغيرات لم يكن بالامكان التنبؤ بها او متغيرات مجهولة تفاعلت مع البرنامج العلاجي/ التعليمي وكانت نتيجة هذا التفاعل ان استفاد البعض ولم يستفد البعض الاخر نتيجة عدم ملائمة البرنامج لهذا

البعض. ويجب التأكيد هنا بانه لم يكن هناك خطأ في ا لبرنامج العلاجي وانما البرنامج لم يكن **مناسبا** للاسلوب المعرفي لبعض الاطفال وهنا يلتقي مفهوم **تفاعل القدرات مع العلاج** مع مفهوم **الاساليب المعرفية**. وللتوضيح نقول ايضا : عندما نواجه في حياتنا التربوية العملية مشكلة في التحصيل الاكاديمي فاننا سرعان ما نوجه ادوات بحثنا الى متغيرات معينة كالذكاء والخلفية الثقافية، الاضطراب الانفعالي وذلك في محاولة لتفسير وتحليل المشكلة الدراسية وعلى الرغم من اهمية هذه المتغيرات الا ان التركيز او الاقتصار على هذه المتغيرات فقط يعني اننا نبحث دائما عن نقص او عيب او عجز... بمعنى آخر نحاول البحث دائما عن شيء سلبي ضمن الموقف التعليمي وذلك ليس صحيحا بالضرورة اذ ان وجود مشكلة في التحصيل الاكاديمي لا يعني بالضرورة وجود خلل او نقص او خطأ في الطالب او المدرس اذا ما نظرنا الى الموقف من خلال نظرية تفاعل العلاج مع القدرات.

ان الاحتمال الذي يرد في مثل هذه الحالات هو اننا لم نستطع ان نلائم بين اسلوب التعليم أو البرنامج التعليمي و بين الاسلوب الامثل الذي من خلاله يستطيع الطفل ان يتعلم. ان المشكلة تكمن في عدم وجود ملاءمة او توافق بين اسلوب الطفل في استقبال وتذكر وتعلم المعلومات و بين اسلوبنا في نقل المادة المراد تعليمها. وهذه العملية شبيهة بتغذية **برنامج غير ملائم** لعقل آلي او تغذية برنامج **لعقل آلي** لهذا البرنامج المعين فليس هناك خطأ في البرنامج او خطأ في العقل الآلي وانما هناك عدم ملاءمة بين البرنامج والعقل الآلي المستقبل.

لو رجعنا الى تعريف الاساليب المعرفية لوجدنا انها مفهوم فرضي يهدف الى تفسير العمليات الوسيطة بين المثير والاستجابة وهذه العمليات ترمز الى اسلوب الفرد الثابت نسبيا في الادراك، التذكر، التخيل، التفكير وكذلك في طريقة الفهم والحفظ والتحليل واستخدام المعلومات.

بمعنى اخر عندما نتحدث عن الاساليب المعرفية فنحن نتحدث عن اساليب التعلم Learning Styles فكيف نتوقع ان يتعلم جميع الافراد بنفس القدرة و بنفس الدرجة طالما ان المناهج واساليب التدريس موحدة في حين ان الاساليب المستخدمة في التعلم Learning Styles من قبل الافراد هي اساليب مختلفة.

الفكرة المقدمة اذن تجسد لنا النقلة الكبيرة من الاخذ بالتفسير الاحادي الجانب في تفسير ظاهرة معينة الى الاعتماد ليس فقط على التفسير المتعدد الجوانب او المتعدد الاسباب Multtiple causation بل على التفسير المبني على **عملية تفاعل اكثر من متغير.**

ان الاستنتاج الذي يمكن الخروج به مما تقدم ذكره هو ان الكثير من اوجه الفروق الفردية تتفاعل مع البرامج التعليمية لتؤثر بالتالي على التحصيل الدراسي للطفل واحد الابعاد التي استحوذت على اهتمام وفكر المربين وعلماء النفس هو المعروف بالاساليب المعرفية والتي نتناولها بالمناقشة هذا اليوم. و يعتبر هذا البعد احد الخصائص الفردية التي يمكن اعتبارها عاملا حاسما وهاما في عملية تفاعل التلميذ مع البرنامج التعليمي بالاضافة الى الذكاء والقدرات الخاصة الاخرى بطبيعة الحال.

يمكننا التأكيد على الفكرة السابقة وابراز اهمية الاساليب المعرفية من خلال طرح اسلوب آخر من الاساليب المعرفية.. هذا الاسلوب يعرف باسم اسلوب الاستقلال / الاعتماد الادراكي.. ماذا يعني ذلك؟

باختصار ان هذا الاسلوب يعتبر مقياسا للدرجة التي يستطيع بها الفرد ان يعزل الموضوع المدرك عما يحيط به في المجال الادراكي.. فهناك افراد لديهم القدرة على معالجة المواقف بصورة تحليلة او بصورة غير معتمدة على المجال الادراكي وهؤلاء يسمون المستقلين ادراكيا في حين ان هناك فئة اخرى لا تستطيع التعامل مع مثيرات البيئة بهذه الصورة وتسمى هذه الفئة **المعتمدين ادراكيا.** وكلما كان الفرد اقدر على تحرير نفسه من العناصر المشتتة للانتباه في المجال كلما كان اقرب لاصحاب الاسلوب المستقل وعندما يعجز عن التغلب على العناصر المشتتة للموقف فانه ينتمي لفئة الاسلوب الادراكي المعتمد وهناك بعض الخصائص او السمات التي تميز كلا من المستقلين والمعتمدين ادراكيا

فالمعتمد ادراكيا يفضل المهن التي تشكل العلاقات فيها مع الناس جانبا مهما كالتدريس. و يفضل اكاديميا مجالات العلوم الاجتماعية والانسانية، والملاحظ ان التعزيز الاجتماعي ذو تأثير اكبر على هذا الصنف اي المعتمد ادراكيا.

اما بالنسبة للمستقل ادراكيا فقد وجد بانه لا يميل كثيرا الى المهن التي تتطلب

علاقات وتفاعلات مع الاخرين فهو يفضل مجالات كالهندسة والفلك ويمتلك قدرة افضل على تذكر وتعلم مواد كالرياضيات.

بالاضافة الى ما تقدم ذكره فان هناك اختلافا بين فئة المستقلين ادراكيا والمعتمدين ادراكيا في المواد المراد تعلمها من حيث درجة التنظيم. فعندما تفتقر المادة الدراسية الى التنظيم فان المستقل ادراكيا يتمتع بقابلية اكبر لتنظيم وترتيب المادة الدراسية و بالتالي تعلمها بشكل اسهل وافضل وعندما تكون المادة المراد تعلمها منظمة اساساً فإن المعتمد والمستقل ادراكيا يتساو يان في درجة القدرة على تعلم المادة.

ان الامر الذي يطرح نفسه هنا انه اذا اخذنا بالاعتبار مثل هذه الاختلافات بين هاتين الفئتين، المستقلين والمعتمدين ادراكيا اليس من المنطقي ان نسأل ما اذا كان جديرا بالاهتمام محاولة الاستفادة من هذه المعلومات في توجيه الطلبة و وضع البرامج لهم؟

من الامور الاخرى المتعلقة ببعد الاستقلال/ الاعتماد الادراكي هي ما اشارت اليه بعض الدراسات من أن هذا البعد يتأثر بالخلفية الثقافية..فهناك دلائل تشير الى انه عندما تشجع عملية التنشئة الاجتماعية على الانفصال عن السلطة الابوية فان النمو يتجه نحو الاستقلال الادراكي ولكن عندما يتسم سير النمو بانماط صارمة من الضبط الاجتماعي وعندما تكون الرعاية الوالدية المفرطة مانعة من الانفصال فان الاحتمال هو ان يكون الطفل معتمدا ادراكيا.

النقطة الاخيرة في هذا التعقيب تتعلق بمدى اسهام نظرية الاساليب المعرفية في المجال التربوي او بشكل محدد في مجال التربية الخاصة ويمكن تلخيص ذلك بالشكل الاتي:

اولا ــ التعرف على الفروق الفردية في الاساليب المعرفية جعل المربين في مجال التربية الخاصة اكثر (حساسية) للفروق الفردية ضمن ابعاد كثيرة وجعلهم اكثر حساسية تجاه الاختبارات المقننة.

ثانيا ــ التعرف على الاساليب المعرفية ساعد المربين على تفهم نتائج الكثير من الدراسات التي تعالج الفروق بين الجنسين والفروق الثقافية وهذا الامر يدعو الى تقبل اكثر للاختلافات الناتجة بسبب الجنس والخلفية الثقافية.

ثالثا ــ التعرف على الاساليب المعرفية قاد الكثير من الباحثين للاخذ بالاعتبار مفهوم تفاعل السمات مع العلاج بدلا من التركيز على عنصر المتعلم (الطالب) فقط.

رابعا ــ ان هذا المفهوم قد اشعل الفتيل للكثير من الدراسات والابحاث وساعد على بلورة العديد من الفرضيات.

خامسا ــ ان مفهوم او نظرية الاساليب المعرفية اظهرت للمربين ضرورة الاخذ بـ (الكيف) بالاضافة الى الكم.

كلمة اخيرة.. ان مجرد طرح مثل هذه المفاهيم قد يكون نوعا من الترف الفكري في مجتمعاتنا وقد يكون مثل هذه الافكار احلاما والتفكير فيها تحليقا في الفضاء الذي لا ينتمي الى واقعنا.. الا اننا مع ذلك نردد المثل الاسباني ونقول بان المثل العليا كالنجوم قد لا نستطيع الوصول اليها لكننا نهتدي بها. والحمدلله رب العالمين.

مناقشات

د. حسن الابراهيم:

نشكر د. احمد على تعقيبه الذي اثار عدة مواضيع، وقد تعدى التعقيب الى التكملة لهذه المحاضرة، من تلك الموضوعات التعلم، وهو اسلوب نقل المعلومات للطالب، وهنا تأتي الحاجة للابحاث في هذا المجال ــ وقد ذكر في تركيزه على اسلوب الاعتماد الادراكي انه قد يكون سبب عزوف اعداد من الطلاب عن الدراسات العلمية. من تجربتي في الجامعة لا استطيع ان القي كل اللوم على الطالب، ففي كل الجامعات العربية هناك ثلث الطلاب فقط يتجهون للدراسات العلمية والثلثان الاخران للدراسات الانسانية. وفي الكويت قد يختلف السبب عنه في البلاد العربية التي ليست فيها كليات علمية تستوعب هذه الاعداد فيجد الطالب نفسه مضطرا الى الاتجاه للكليات النظرية، ففي جامعة دمشق مثلا يقبل الطلاب بشكل كبير على كلية الحقوق، حيث هي الوحيدة التي تقبل الطلاب الذين لا تقبلهم الكليات الاخرى. ونفتح الان المجال للنقاش والحوار.

د. احمد بستان:

ابدأ حديثي بنهاية الحديث والتعقيب، في الواقع هدف التربية هو اعداد الفرد اعدادا متكاملا نفسيا وجسميا وروحيا لاقصى طاقاته واستعداداته، ولكن لو عدنا للواقع حول التنشئة، ستثار عدة تساؤلات. فاولا، كانت التربية في الماضي تركز على المجتمع وتهمل مطالب الطفل، وفي الحاضر ننظر الى الحكمة القائلة: حكمة الماضي وتجربة الحاضر وامل المستقبل. فالاسرة تلعب اهم دور في التنشئة مع عدم نفي دور المدرسة واجهزة الاعلام والرفاق وهكذا.. فكثير من الخبرات يأخذها الطفل من البيئة التربوية. وفي الواقع هناك فروقات فردية بين الاطفال، فبعضهم تأملي والبعض الاخر اندفاعي، فقد لعب الطفل دورا كبيرا في تغيير سلوك الاسر أو الاباء والامهات، فاحد الاطفال كان يستيقظ صباحاً للصلاة في المسجد، فقال له ابوه الا تخاف من الطريق، فقال له: الله يحميني، ونهض في اليوم الثاني فسأله ابوه نفس

السؤال، فاجابه الطفل: اذا اردت ان تحميني فلماذا لا تأتي معي للمسجد؟ وفعلا نغير هنا سلوك الاب.

وفي موضوع الميول ولا تجاهات.. كان احد الاباء لا يذهب لصلاة الجمعة، بينما الإبن يذهب، فسأله ابوه كيف تذهب بمفردك فقال له انا ارى صديقي يذهب ابوه معه فلماذا لا تأتي معي، فقال: انا مشغول، فاجابه ان والد صديقه يغلق محله وقت الصلاة وانت ليس لديك اي شيء..

هاتان الحادثتان تدلان على ان التفكير لدى الاطفال قد اثر على سلوك الاباء بالتروي وابداء وجهات النظر. ولذا لابد من اتاحة الفرصة للابناء لاكتساب الخبرات، وعلينا ان نبدأ للافادة من الخبرات الاخرى حيث انتهى الآخرون وليس حيث بدأوا.

د. حسن الابراهيم:

من ناحية اجراء التجارب، هناك نظريات قد تكون اصلح لنا من نظريات اخرى.. فاتمنى الا نطبق كل شيء غربي على علاته، حيث يمكن الا يكون مناسبا لنا.

د. رجاء ابو علام:

هذا الموضوع مهم جدا ومن الموضوعات التي لم يطرقها العلماء الا حديثا... ولدى بعض التساؤلات: هل هذه الابعاد التي اثيرت مستقلة.. ام ان هناك ارتباطا كبيرا بينها بحيث ان الشخص المتعامل هو شخص مستقل ذو نزعة فردية قادر على التمييز وله القدرة على اكتساب الخبرات بشكل اعمق، التساؤل الآخر من حيث مراحل نمـــو الطفل، هذه الابعاد ابعاد طولية تؤثر في اتجاهات الطفل (التأمل والاندفاع)، و يقول بياجيه ان الطفل في كل مرحلة عمرية له اسلوبه الخاص في اكتساب الخبرات والمعرفة ــ فكيف نفسر هذا، اذا اردنا الوصول لاسلوب معين في تنشئة او تربية الطفل؟

وقد ذكر ان القلق يؤدي للاندفاع، فهل نركز على اساليب معينة لتحويل الطفل من مندفع الى متأمل؟

السؤال الاخيرــ حسب قراءاتي انه ليس هناك ارتباط بين الذكاء والاسلوب

المعرفي، فقد يكون كلا الطفلين المتأمل والمندفع على نفس مستوى الذكاء.. ولكن سمعت هنا ان اعتبار الطفل المتأمل اكثر ذكاء فهل هذا هو الواقع ؟

د. محمد جواد رضا:

ليس لديَّ تعقيب ولكنها بعض الاسئلة.. الموضوع جديد وكما تفضل الدكتور رجاء ان الدراسات حديثة في هذا المجال. ومن قناعتي اعتبر اثارة الاسئلة الجيدة اهم بكثير من اعطاء الاجابات. واذا كان التفكير في الاساليب المعرفية جديدا فالمشكلة ليست جديدة، ويحضرني قول ارسطو: العقل يعطيك خواتيم الاعمال في بداءاتها، فاي عمل نفكر بالقيام به يجب ان نتخيل نتائجه وفي ضوء تقديرنا لهذه النتائج يتخذ القرار. وكان معروفاعن لو يس الرابع عشر انه يؤجل اية قضية تعرض عليه مدة (٢٤) ساعة ليتيح لنفسه فرصة التأمل فيها.

وبودي ان اسال بعض الاسئلة: كم استغرقت دراسة كيجل التي كانت مصدر هذه الابعاد التسعة في الاساليب التعليمية، وهل كانت العينة التي استقرمنها ابعاده ثابتة ــ بمعنى هل.. تتبع مجموعة من الاطفال في مرحلة ما وراقب سلوكها وانماطها واستقرأ منها هذه الابعاد؟ثم الا يبدوان سن الشهر الرابع والثامن التي اشار اليها الدكتور الصراف هما وقتان مبكران جدا للحكم على الاطفال بأنهم مندفعون أومتأملون ــ هل يصلح ذلك لبناء نظرية بهذه الدرجة من الاهمية ؟

وهل الأصل الذي ينبثق منه الميل هوبيئي او وراثي ــ فاذا كان بيئيا فهو شيء متعلم، وهنا نستطيع تعليم الناس بصورة قاصدة ان يكونوا تأمليين اكثر منهم اندفاعيين.

السؤال الاخير: لماذا اهتم الدكتور الصراف بالبعد الاندفاعي التأملي من دون الابعاد التسعة الاخرى ــ هل يعني ذلك ضعف الابعاد الاخرى، ام لانه اكثرها وضوحا واقربها الى التفسير.

د. قاسم الصراف:

ابدأ بالرد على الاسئلة التي اثيرت في الوقت المتاح:

١ ــ سؤال الدكتور حسن عن مدى تجربة النظريات في الكويت والدول العربية

اقول انني شخصيا اجريت دراسة عن البعد التأملي الاندفاعي في الكويت على طلبة المدارس الابتدائية على صفوف الرابع الابتدائي بالذات بمدارس البنين فقط وليس لي علم بأن هناك دراسات في هذا المجال في الدول العربية الاخرى لانني لم اجدها رغم بحثي عنها.

٢ ــ السؤال الثاني، هل نفضل الطفل التأملي على الاندفاعي؟ اننا لا نضع السؤال بهذه الطريقة ولكن نعرف بان هناك مواقف تتطلب ان نكون اندفاعيين ومواقف اخرى تتطلب ان نكون تأمليين. فالقائد في الحرب يجب ان يتخذ قرارا سريعا. وكذلك سائق السيارة يجب ان يبتعد عن الخطر وهذه تعتبر اندفاعية محبذة ــ و يكون الاسلوب التأملي اكثر تفضيلا في احيان اخرى. وفي المجال الاكاديمي العام يفضل الاسلوب التأملي على الاندفاعي لان الدقة مطلوبة هنا.

٣ ــ بالنسبة لعملية التفاعل بين الاسلوب المعرفي والموقف التعليمي، نحن نعرف ان هناك تفاعلا واضحا في هذا المجال ــ فالاستاذ في قياسه لمدى التحصيل للطالب يهمه اولا مدى بلوغه لمجموعة من الاهداف المرسومة التي تتطلب منه ان يكون دقيقا والتفاعل هنا هو الذي يقرر مدى فاعلية الاسلوب ومدى فاعلية المتعلم في تعامله مع الموقف.

٤ ــ السؤال الاخر هل التنشئة الاجتماعية هي سبب خلق تلك الاساليب؟ قد تكون الاجابة نعم، فهناك دراسة قامت على اساس قياس الفروق في التعليم بين الاطفال اليابانيين والاطفال الامريكيين ووجد منها ان اليابانيين اكثر تأملا من الامريكيين. ولذا يكون للتنشئة والثقافة اليابانية دور في غرس هذا الاسلوب في الاطفال هناك.

٥ ــ اتفق مع د. احمد بستان فيما يتعلق بتحول الاهتمام في السنوات العشرين الاخيرة من العناية بوسائل التعليم الى العناية بالمتعلم نفسه، وكيفية تعليمه التعامل مع المعلومات وكذلك اتفق معه في اننا نحن نؤثر في سلوك اطفالنا والعكس صحيح نظرا لوجود التفاعل في التربية بين الطرفين.

٦ ــ بالنسبة لما اثاره الدكتور رجاء، اعتقد اولا ان الاساليب المعرفية متداخلة وليست مستقلة، وانما ينصب اهتمام المربين على اسلوبين من الاساليب التسعة، هما

الاستقلال والاعتماد على المجال واسلوب التأملية والاندفاعية، والدراسات الاخرى. وعما اذا كان هناك تناقض بين البعد التأملي والبعد الاندفاعي ونظريات بياجيه، لا ارى أي تناقض ولكنها تفسيرات متعددة.. فبياجيه يهتم بالاسلوب المرحلي في دراسة الطفل، بينما النظريات الاخرى تعتمد على اسلوب التفاعل بين الموقف التعليمي والمتعلم.

وعما اذا كان يمكن القضاء على الاندفاعية عن طريق معالجة القلق، ارى انه يمكن ذلك وتحسين خططه للتعامل مع المعلومات، وقد نجحت هذه التجارب مع بعض الاطفال.. وعن الارتباط بين الاسلوب المعرفي والذكاء أوافق ان هذا الارتباط غير موجود، فالذكي قد يكون اندفاعيا او تأمليا.

٧ ــ اما عن استفسارات الدكتور جواد أولا: بدأ كيجن دراساته في الستينات، وهناك دراسة مطبوعة عن الاطفال في هذا المجال وجد ان الطفل المتأمل الذي تأمل في الصور التي عرضت عليه سابقا قد اصبح تأمليا في المرحلة الابتدائية وذلك بعد مضي ٨ ــ ٩ سنوات. بينما الاطفال الاخرون الذين لم يطيلوا النظر في المثيرات اصبحوا اندفاعيين فيما بعد. وقد اهتم كيجن بهذين الاسلوبين ولم يهتم بالاساليب الاخرى. وبذا يمكن الحكم على الطفل منذ الصغر فيما اذا كان اندفاعيا أم تأمليا بناء على التجارب التي اجريت. اما الوراثة فيمكن ان يكون لها دور في هذا المجال، ووجد ان هناك ارتباطا بين هذه السمات وسمات الاب والام في البيت. ولا شك ان للبيئة مساهمة كبيرة في سلوك الطفل.

فاذا كان الاب اندفاعيا و يعطي اوامر صارمة و يطلب تنفيذها بسرعة فهذا يؤثر ولا شك في اسلوب الطفل، بعكس الاب الذي يقنع ابنه في التوجيه واختيار الاصح في تصرفاته.

وقد جاء اهتمامنا بهذا البعد نظرا لاهتمام الباحثين وهو اكثر شيوعا واستعمالا في المجال التربوي ونظرا لانه شد اهتمامنا في ذلك.

د. حسن الابراهيم:

اشكر الدكتور قاسم الصراف والدكتور احمد عبد الله واشكركم جميعا على اثراء النقاش في هذا الموضوع ونلتقي ان شاء الله في الشهر القادم.

الأطفال المتفوقون وتربيتهم*

*هذا هو موضوع الندوة الثالثة من ندوات الموسم العلمي الثاني للجمعية (١٩٨٤ ــ ١٩٨٥) وقد عقدت مساء ١٩٨٥/١/٢٨.

الأطفال المتفوقون وتربيتهم

رئيس الجلسة : د. سبيكة العبدالرزاق جامعة الكويت
المتحدث الرئيسي: د. رجاء أبو علام جامعة الكويت
المعقب : د. بدر العمر جامعة الكويت

المشاركون :

١ ــ د. اسامة الخولي... معهد الكويت للابحاث العلمية
٢ ــ د. فريدة العلاقي... برنامج الخليج العربي لدعم منظمات الامم المتحدة الانمائية
٣ ــ د. قاسم الصراف... جامعة الكويت
٤ ــ د. محمد عودة... جامعة الكويت
٥ ــ د. معصومة المبارك... جامعة الكويت

الأطفال المتفوقون وتربيتهم

د. رجاء أبو علام

مقدمة:

تقوم مناهج التعليم العام على أساس الاهتمام بالقدرات المتوسطة أو العادية، اذ نجد ان فعالية هذه المناهج وما يتبعها من برامج ومقررات تصل في اقصى غاياتها، وتحقق اهدافها بالنسبة للطفل العادي ولكن هذه البرامج غالبا ما تكون اقل فعالية بالنسبة للفئات الخاصة من متخلفين عقليا او متفوقين، ولقد شعرت دولة الكويت منذ الستينات بأن مناهج التعليم العام لا تناسب المتخلفين عقليا ولذلك اهتمت بانشاء معاهد التربية الخاصة للعناية بهم. الا ان المتفوقين عقليا لم يوجه لهم نفس الاهتمام ربما للاعتقاد بأن المتفوق عقليا لا يحتاج رعاية خاصة لأن تفوقه كفيل بأن يسهل الامر عليه ويجعله يحقق مستويات تحصيلية عالية دون عناء.

الا ان هذه النظرة للتفوق العقلي تغفل حقيقة هامة اكدتها البحوث المختلفة هي ان الطفل المتفوق لا يقل احتياجا للرعاية والاهتمام عن الطفل المتخلف عقليا، لقد أكدت دراسات عديدة الحقائق التالية:

١ ــ المتفوقون عقليا هم فئة فريدة، اذ يختلفون اختلافاً ملحوظاً عن أقران سنهم في القدرات والمواهب والميول والنضج النفسي.

٢ ــ المتفوقون عقليا هم اكثر الفئات التي تخدمها المدرسة نشاطا وتعقيداً، ومع ذلك فهي الفئة المهملة من حيث الاحتياجات التربوية الخاصة.

٣ ــ نظراً للاهمال الذي يلقونه فانهم يكونون ذوي حساسية نحو البيئة المدرسية التي تركز على التلميذ المتوسط، مما يجعلهم سريعي التأثر والاحباط ولقد يترتب على محاولتهم الاندماج في الجماعة المدرسية اخفاء تفوقهم العقلي حتى يمكن تقبلهم.

٤ ــ اظهرت بعض الدراسات ان المتفوقين عقليا الذين توفرت لهم برامج خاصة اظهروا تحسناً ملحوظا في فهم الذات وفي القدرة على الانتماء للآخرين، كما تحسن اداؤهم الاكاديمي او الابداعي، ولم يتخرج من هذه البرامج انانيون او متعجرفون كما هو الاعتقاد السائد لدى البعض بل على العكس فقد اظهرت الدراسات المختلفة ان البرامج الخاصة قد مدتهم بالشعور بالواقعية والانسانية واحترام الذات واحترام الآخرين.

٥ ــ يجب ان تكون رعاية المتفوقين ضمن سياسة واضحة ومحددة نابعة من الايمان بأهمية هذه الفئة لمستقبل دولة الكويت، وذلك ان تقدم الامم وازدهارها العلمي والتقني انما يعتمد على المتفوقين عقليا في العلوم والفنون والآداب.

تعريف المتفوق عقلياً:

يمكن ان نعرف الطفل المتفوق عقليا بأنه الطفل الذي لديه من الاستعدادات العقلية ما يمكنه في مستقبل حياته من الوصول الى مستويات اداء مرتفعة في مجال معين من المجالات التي يقدرها المجتمع. ومن المجالات التي نشعر بأهميتها اليوم المجال الاكاديمي، ومجال الفنون المختلفة ومجال القيادة الاجتماعية، ولذلك فاننا يمكننا التعرف على الاطفال المتفوقين عن طريق استخدام المحكات التالية:ــ

١ ــ مستوى مرتفع من الذكاء العام لا يقل عن ١٣٠ على احدى الاختبارات الفردية اللفظية.

٢ ــ مستوى تحصيلي مرتفع يضع الطفل ضمن افضل ٥٪ من مجموع الاطفال الذين يماثلونه في العمر الزمني.

٣ ــ استعدادات عقلية ذات مستوى مرتفع في التفكير الابتكاري.

٤ ــ استعدادات عقيلة ذات مستوى مرتفع في التفكير التقويمي.

٥ ــ استعدادات ذات مستوى مرتفع في القيادة الاجتماعية.

اهمية البحث:

يحاول هذا البحث ابراز اهمية رعاية المتفوقين حيث ان الرعاية الخاصة للمتفوقين ستكون لها نتائج ايجابية على المجتمع وعلى المتفوقين انفسهم. ناهيك عن ان هذه الرعاية سوف تخلص المتفوقين من مشكلاتهم وهذا بحد ذاته كسب لهم وذلك لكي لا يتحول التفوق الى سمة سلبية يعتبرها المتفوق نقمة عليه. كما ان هذا البحث سيتعرض الى مجموعة من الاساليب والطرق التي يمكن من خلالها ان نكفل رعاية مناسبة لهم.

اهمية رعاية المتفوقين:

ان رعاية المتفوقين ذات اهمية خاصة بالنسبة للمتفوق نفسه والمجتمع الذي يعيش فيه ويمكننا ان نوجز اهمية الرعاية الخاصة للمتفوقين على النحوالتالي:

التفوق كقضية فردية:

١ ــ من الملاحظ في الوقت الحاضر تبعثر المتفوقين في المدارس العادية ومع اقرانهم العاديين، وهذا استلزم بطبيعة الحال ان يدرس التلميذ المتفوق مناهج دراسية اعدت للمستويات العادية والمتوسطة. وهذه المناهج بطبيعة الحال تقف عاجزة عن تلبية مطالب التحصيل عند التلميذ المتفوق والنتيجة الحتمية لهذاالوضع هواهدار جزء كبير من قدرات الطالب المتفوق. ان المناهج الدراسية والانشطة المدرسية بشكلها الحالي لا تتناسب كماً وكيفاً مع امكانات الطالب المتفوق ولا تمثل تحديا كافيا لقدراته.

٢ ــ ان جهد الفرد ونشاطه يقوم اساسا على ميكانزمات الحاجات وقد يكون مركز الفرد وتفوقه هو احد هذه الحاجات وهذا لا يمكن اشباعه الا من خلال تفوقه على افراد يماثلونه في المستوى والقدرات العقلية.

٣ ــ يحتاج الطالب المتفوق الى بيئة تحتوي على المثيرات المختلفة التي تستثير القدرات الكامنة لديه بالاضافة الى المناخ الاجتماعي والاقتصادي والصحي والتربوي المناسب لنمو قدراته وان لا يكون القصور في احداها سبباً في كبت قدرات التفوق لديه.

٤ ــ نظرا للاهمال الذي يلقاه الطلاب المتفوقون فانهم يكونون ذوي حساسية شديدة نحو البيئة المدرسية مما يجعلهم سريعي الاحباط والقلق، وذلك لأنهم لا يستطيعون معرفة كيفية استغلال قدراتهم. وكثيرا ما يشعر الطالب المتفوق بأن هذه القدرة هي نقمة عليه وتفسد علاقاته الاجتماعية بزملائه مما يؤثر على سهولة تكيفه معهم لذلك قد يترتب على محاولتهم الاندماج في الجماعة المدرسية اخفاء تفوقهم العقلي حتى يمكن تقبلهم ومن هنا جاء دور الرعاية المناسبة لهؤلاء حتى نؤمن لهم بيئة مدرسية تتفهم خصائص التفوّق لديهم وتكفل لهم درجة كبيرة من التوافق الاجتماعي.

٥ ــ يجب ان تعرف بأن الطفل المتفوق متميز عن غيره في مجالات عديدة كالقدرات والمواهب والميول والنضج النفسي و بعبارة اخرى ان التفوق يساهم في بناء شخصية المتفوق بصورة تختلف عن الآخرين لذلك يجب ان يكون التعامل معهم بحسب تلك الخصائص. ولقد اظهرت بعض الدراسات ان توفر برامج خاصة بالمتفوقين تساهم في رفع مفهوم الذات لديهم كما تساهم في تعزيز علاقتهم بالآخرين والشعور بالواقعية واحترام الذات والآخرين.

التفوق كقضية اجتماعية:

١ ــ ان ما نعيشه في الوقت الحاضر ما هو الا تفجر تكنولوجي رهيب يعصف بالمجتمعات و ينقلها من حال الى حال. واذا اردنا ان تصل الكويت الى درجة الرقي التي ننشدها يجب ان يصاحب ذلك نهضة بشرية متمثلة في الاعتناء بالعقول

الشابة المتفوقة لأنهم القادرون على القيادة والتطوير والابتكار وحسن استخدام الوسائل المتاحة.

٢ ــ ان رعاية المتفوقين هي عملية استثمار للطاقات البشرية اذ تؤدي الرعاية السليمة إلى تفتح قدراتهم ونضج ميولهم واتجاهاتهم فيكونون عند نهاية تعليمهم قادرين على الاندماج في المجتمع و يبدأون في العطاء له و يصبحون بعد ذلك القدرات الموجهة لكافة شؤون الحياة و يساعدون في دفع عجلة التقدم.

٣ ــ رعاية المتفوقين تطبيق عملي للديمقراطية التي تسعى في مفهومها الصحيح الى توفير الرعاية لجميع الناس بما يساعد على استغلال قدراتهم الى حدها الاقصى.

٤ ــ ان النقص البشري الذي يصيب أي أمة لا يمكن ان يعوض من خلال استيراد عقول من الخارج، ولكن يمكن تعويض ذلك باستخدام الآلات المتقدمة وانظمة الحاسب الآلي المتطورة وهذه امور يستلزم من يستخدمها ان يكون على قدرة عقلية عالية.

الدراسات التي اجريت على المتفوقين في الكويت:

اول المحاولات لابراز اهمية المتفوقين ورعايتهم هو عقد الحلقة الدراسية لرعاية الموهوبين في الكويت ١٩٧٣. ومنذ هذه الحلقة بدأت الانطلاقة في القيام ببحوث علمية في هذا المجال. ويمكن ان نلخص هذه البحوث كالتالي:

اولا: مقارنة بين الطلاب المتفوقين والعاديين من حيث تفضيلهم للانشطة التعليمية التي تستخدم في تدريس العلوم (١) وكان الهدف من هذه الدراسة هو معرفة انواع

١ــ الديب، فتحي عبد المقصود وأبو علام، رجاء محمود: مقارنة بين الطلاب المتفوقين والعاديين من حيث تفضيلهم للأنشطة التعليمية التي تستخدم في تدريس العلوم ــ ادارة الخدمة النفسية ــ وزارة التربية ١٩٧٤.

النشاط التعليمي التي يفضلها الطلاب المتفوقون في دراستهم للعلوم بالصف الاول ثانوي، ومقارنتها بتفضيل الطلاب العاديين. وذلك من اجل اعطاء خبرات تعليمية تتناسب مع كل منهم. ولقد ابرزت الدراسة النتائج التالية:

١ ــ يفضل الطلاب المتفوقون الانشطة التي يستمدون منها خبراتهم بشكل مباشر. و تتيح لهم فرصة للقيام بدور ايجابي وفعال.

٢ ــ يقل تفضيل الطلاب المتفوقين للانشطة التي تعتمد على القراءة والغرض النظري.

ثانياً: «مقارنة بين الطلاب المتفوقين وغير المتفوقين من حيث تحصيلهم في وحدة الحركة والقوة (٢) وكان الغرض من هذه الدراسة هو الحصول على معلومات تزيد من فهم الباحثين لطبيعة الطلاب المتفوقين بالاضافة الى الحصول على الاجابات على بعض التساؤلات التي اثيرت حول مناسبة هذه الوحدة لطلاب الصف الاول الثانوي. ومن اهم النتائج التي توصلت اليها الدراسة ما يأتي:

١ ــ وجود فروق حقيقية بين الطلاب المتفوقين والطلاب غير المتفوقين في الصف الاول الثانوي من حيث تحصيلهم في وحدة «الحركة والقوة».

٢ ــ وجود فروق حقيقية بين الطلاب المتفوقين والطلاب غيرالمتفوقين في الصف الثاني ثانوي من حيث تحصيلهم في وحدة «الحركة والقوة».

ثالثاً: «دراسة تجريبية لأثر وجود الطلاب المتفوقين في فصول خاصة واثرها على زيادة

٢ــ ابو علام ، رجاء محمود وعيسى ، مصباح الحاج : مقارنة بين الطلاب المتفوقين وغير المتفوقين من حيث تحصيلهم في وحدة «الحركة والقوة» ادارة الخدمة الاجتماعية ــ وزارة التربية ١٩٧٥.

تحصيلهم الدراسي، وسهولة توافقهم الشخصي والاجتماعي» (١)، وكان الهدف من هذه الدراسة هو معرفة اثر الفصول الخاصة على تحصيل الطلاب المتفوقين بالاضافة الى سهولة تكيفهم الشخصي والاجتماعي. ويمكن ابراز نتائج الدراسة كما يأتي:

١ ــ كانت هناك زيادة في تحصيل الطلاب المتفوقين في الفصول الخاصة مقارنة بتحصيل الطلاب المتفوقين في الفصول العادية.

٢ ــ ادت الفصول الخاصة الى سهولة في التكيف الشخصي للطلاب المتفوقين مقارنة بنظيرهم من الطلاب المتفوقين في الفصول العادية.

٣ ــ اما رأي الطلاب المتفوقين بالفصول الخاصة فيمكن إيجازه بما يأتي:

ــ يفضل الطلبة المتفوقون الفصول الخاصة لانها تتيح لهم المناقشة ــ الجد في الدراسة ــ المحافظة على المستوى العلمي ــ بذل الجهد ــ اهتمام المدرسين ــ قياس قدرتهم.

ــ يضاعف المتفوقون جهودهم لكي يحافظوا على مراكز الصدارة.

ــ تتيح لهم مناقشة قراءتهم الخارجية داخل الفصل.

ــ يفضل معظمهم مصاحبة زملائهم من المتفوقين وذلك لدرجة التقارب الكبيرة بينهم.

ــ يقيم الطلاب المتفوقون صداقات حميمة مع طلبة من نفس فصولهم الخاصة.

ــ لا يتعرض الطلبة المتفوقون لأي مضايقة من زملائهم لأنهم يحبون القراءة والاطلاع.

١ــ العمر، بدرعمر: دراسة تجريبية لأثر وجود الطلاب المتفوقين في فصول خاصة وأثرها على زيادة تحصيلهم الدراسي، وسهولة توافقهم الشخصي والاجتماعي ــ رسالة ماجستير ــ الكويت ١٩٧٦.

ـــ لا يرغب الطلبة المتفوقون في وجود طالب مشاكس لأنه يضيع وقت الحصة عليهم.

ـــ تتيح الفصول الخاصة فرصة للمناقشة المفيدة وهي حق الطالب.

ـــ كثير من الطلاب المتفوقين كان لهم نشاط قيادي (لكن ليس الطالبات المتفوقات).

ـــ كون الطلاب المتفوقون علاقة جيدة مع مدرسيهم.

ـــ يسود الفصل مناخ اجتماعي جيد.

ـــ تباينت آراء الطلاب المتفوقين في مدى اشباع المواد الدراسية لميولهم وقدراتهم.

رابعاً: «مشروع دراسة المتفوقين» (١):

من الملاحظ ان الدراسات الثلاث السابقة كانت تركز على الجانب التحصيلي للطلاب المتفوقين. لكن اخذت الدراسة ابعاد جديدة فدرست بعض خصائص الطلاب المتفوقين ولقد اخذت على عاتقها مسألة ـــ انتقال الطلاب العينة خلال سنواتهم الدراسية في المرحلة الثانوية. وفيما يلي اهم نتائجها:

١ ـــ تزداد نسبة المتفوقين من ابناء المهنيين (اساتذة الجامعة ـــ مدرسين ـــ اطباء ـــ مهندسين .. الخ) على غيرهم.

٢ ـــ نسبة كبيرة من امهات المتفوقين يعملن في مجال التدريس والطب والتمريض.

١ـــ أبو علام، رجاء محمود. مشروع دراسة المتفوقين ـــ ادارة الخدمة النفسية وزارة التربية ١٩٨٣.

٣ ــ يتمتع اباء المتفوقين بمستوى تعليمي عال مقارنة مع اباء غير المتفوقين.

٤ ــ يأتي المتفوقون من اسر ذات اعداد قليلة.

٥ ــ ارتفاع دخل اسر المتفوقين .

٦ ــ صلة القرابة بين اباء المتفوقين اقل منها لدى اباء غير المتفوقين.

٧ ــ تتمتع اسر المتفوقين بدرجة عالية من الوفاق.

٨ ــ يتمتع المتفوقون بسلامة بدنية عالية.

٩ ــ يبدأ التفوق لدى الطلاب في سن مبكرة.

١٠ ــ يميل المتفوقون الى المدرسة بدرجة تفوق العاديين.

١١ ــ اظهر كثير من المتفوقين رغبة كبيرة في دراسة الطب والهندسة.

١٢ ــ تزيد ساعات الاستذكار عند المتفوقين كما انهم يعتمدون على انفسهم بدرجة كبيرة.

من كل ما تقدم تبرز لنا حقيقة هامة وهي الضرورة الملحة لرعاية الطلاب المتفوقين رعاية خاصة مبنية على اسس علمية وتخطيطية سليمة. ويجب ان لا يغيب عن اذهاننا بأن هذا الامر لا يمكن ان يتحقق ا لا بوجود سياسة صريحة وجادة للعناية بهذه الفئة. وسنسوق بعض النماذج لرعاية المتفوقين وسبل العناية بهم.

مشكلة البحث:

مماتقدم يتبين ان هناك حاجة ماسة الى وجود برنامج تربوي لرعاية المتفوقين عقليا يتمشى مع خصائصهم النفسية والعقلية، و ينبع من ظروف وخصائص المجتمع الكويتي، و يعمل على تكامل نموهم في المظاهر المختلفة بما يساعدهم على استغلال طاقاتهم الى اقصى حد ممكن. و بالتحديد فان هذا البحث يهدف الى وضع برنامج لرعاية المتفوقين عقليا في الكويت ولتحقيق هذا الهدف فان البحث سوف يحاول الاجابة على الاسئلة التالية:

١ ــ ما اهم خصائص المتفوقين عقلياً.

٢ ــ ما الاساليب التي تتبعها بعض الدول في رعاية المتفوقين عقلياً؟

٣ ــ ما هو البرنامج الذي يقترحه الباحثان لرعاية المتفوقين عقليا في دولة الكويت؟ وما اهم خصائص هذا البرنامج؟

طريقة الدراسة:

تعتبر هذه الدراسة دراسة نظرية حيث تقوم على تحليل بعض الدراسات التي اجريت في مجال المتفوقين عقليا وذلك بغرض استخلاص بعض البيانات التي تفيد في الاجابة على الاسئلة السابقة.

وفيما يلي نجيب عن الاسئلة التي أثارها البحث

خصائص المتفوقين عقليا:

يتصف المتفوقون عقليا بأنهم اكثر تمايزا من العاديين من حيث النمو الجسمي والعقلي والاجتماعي والانفعالي، وفيما يلي أهم الخصائص التي يتميز بها المتفوقون عقليا.

الخصائص الجسمية:

يتميز المتفوقون بأنهم اكثر وزنا وطولا من العاديين، ووزنهم اكثر بالنسبة لطولهم، اذا قورنوا بمتوسط الاطفال العاديين في نفس اعمارهم، كما أنهم اقوى جسماً وافضل صحة.

الخصائص العقلية:

يتميز المتفوقون عقليا بأنهم اسرع من العاديين في نموهم العقلي ومعدل النمو العقلي هو ١ر٣ على الاقل مقارنة بالطفل العادي وذلك على اعتبار ان نسبة الذكاء هي ١٣٠ في اختبار فردي لفظي، واهم الخصائص العقلية للاطفال المتفوقين عقلياً هي:

١ ــ ازدياد حصيلتهم اللغوية في سن مبكرة.

٢ ــ ازدياد قدرتهم على استخدام الجملة التامة في سن مبكرة عندما يعبرون عن افكارهم، كما يتميز الصغار منهم بالقدرة على تكوين القصص الطويلة والاستمتاع بسماعها.

٣ ــ يتميزون باليقظة، وقدرتهم الفائقةعلى الملاحظة والاستيعاب وتذكر ما يلاحظونه.

٤ ــ القدره على تركيز الانتباه لمدة اطول مما يستطيعه الاطفال العاديون.

٥ ــ القدرة على ادراك العلاقات السببية في سن مبكرة.

٦ ــ القدرة على تعلم القراءة في سن مبكرة بالنسبة لغيرهم من الاطفال العاديين، وقد يتعلم بعض الاطفال المتفوقين القراءة تلقائياً دون اي توجيه او ارشاد من الكبار.

٧ ــ لديهم قدرة فائقة على القراءة من حيث السرعة وفهم ما يقرأ، وفي استخدامهم للغة والاستدلال الرياضي، والعلوم والآداب والفنون.

٨ ــ لديهم قدرة فائقة في الاستدلال والتعميم والتجريد، وفهم المعاني والتفكير المنطقي وإدراك العلاقات.

٩ ــ تتعدد ميولهم، اذ غالبا لا تنحصر ميولهم في مجال واحد.

الخصائص الانفعالية والاجتماعية:

على الرغم من ان اهم ما يميز المتفوقين عن غيرهم من العاديين يكمن في خصائصهم العقلية، الا انهم يتميزون ايضا على غيرهم في سماتهم الانفعالية وقدرتهم على تكو ين علاقات اجتماعية مع غيرهم ويمكن تلخيص اهم الخصائص الاجتماعية والانفعالية التي يميل الاطفال المتفوقون عقليا الى اظهارها بمقارنتهم بالاطفال العاديين فيما يلي:

١ ــ ذو سمات شخصية مرغوب فيها، اذ يتصفون بالاخلاق الدمثة و بالتعاون والطاعة وتقبل التوجيهات برضا، وهم اكثر قدرة على الانسجام مع غيرهم.

٢ ــ لهم قدرة فائقة على نقد الذات.

٣ ــ لديهم فرص اكثر في تولي قيادة الجماعة، اذ لم تصل نسبة ذكائهم الى ١٥٠، اما اذا زادت نسبة ذكائهم على هذا القدر فانهم يكونون اكثر تقدما في افكارهم وميولهم عن اقرانهم، ولذلك يعملون بمفردهم غالبا اذا كانت نسبة ذكائهم تزيد على ١٦٠ او ١٧٠

اساليب رعاية المتفوقين في بعض الدول:

يلاحظ من تتبع مختلف الدراسات التي تناولت رعاية المتفوقين عقليا في الدول

المختلفة ان معظم الدول قد اتفقت على وجوب توجيه رعاية خاصة للمتفوقين عقليا وتبين من دراسة التجارب العالمية في هذا المضمار ان بعض الدول المتقدمة قد اعطت اهتماما خاصا للمتفوقين عقليا و يتركز هذا الاهتمام على الخصائص الاساسية لكل مجتمع والايدلوجية التي يؤمن بها. وفيما يلي نعرض اهم الاساليب المتبعة في الدول التالية:

١ ــ الولايات المتحدة الاميركية.
٢ ــ المملكة المتحدة
٣ ــ الاتحاد السوفياتي.
٤ ــ مصر.

الولايات المتحدة الاميركية:

تتعدد البرامج التي تقدم لرعاية المتفوقين عقلياً، ولعل ذلك يرجع الى تعدد النظم التعليمية الاميركية من ناحية والى اختلاف الآراء حول تعريف المتفوق واسلوب الرعاية من ناحية اخرى.

ويمكن تصنيف اساليب رعاية المتفوقين عقلياً في الولايات المتحدة الاميركية في ثلاثة انواع هي:

* **التجميع.**
* **الاسراع.**
* **الإثراء.**

وفيما يلي شرح لكل نوع منها:

أولا: التجميع:

ويمكن تصنيفه في ثلاثة انواع هي:

١ ــ التجميع عن طريق انشاء فصول خاصة بالمتفوقين.

٢ ــ التجميع عن طريق انشاء مدارس خاصة.
٣ ــ التجميع عن طريق العزل الجزئي.

ثانيا: الاسراع:

يقصد بالاسراع السماح للمتفوقين عقليا بأن يقطعوا المرحلة الدراسية بسرعة اكبر من السرعة العادية. وهناك عدة اساليب لتحقيق الاسراع في الولايات المتحدة الاميركية من اهمها:

١ ــ القبول المبكر.
٢ ــ تخطي الصفوف
٣ ــ ضغط عدد الصفوف في المرحلة الواحدة.

ثالثاً: الاثراء:

يسمح هذا الاسلوب للمتفوق عقلياً بمتابعة دراسته بعمق اكبر من زملائه العاديين، و يتم اختيار الانشطة التي يمارسها الطالب المتفوق بعناية حتى تساعده على تنمية مهاراته العقلية ومواهبه بكفاءة.

المملكة المتحدة:

تعتبر المملكة المتحدة مثالا للنموذج الاوروبي في رعاية المتفوقين اذ نجد بعض الجهود من الحكومة لانشاء بعض المدارس التي تهتم بالمتفوقين عقليا. هذا بالاضافة الى بعض الهيئات الاهلية. كما انشئت كذلك بعض المدارس لذوي المواهب الخاصة كالموسيقى والرقص.

الاتحاد السوفيتي:

يوجد بالاتحاد السوفيتي اتجاه قديم نسبيا للاهتمام بالمتفوقين عقلياً، وبذوي

المواهب الخاصة في مختلف المجالات. و يقوم التعليم في الاتحاد السوفيتي على اساس نظام الثماني سنوات وهو متوفر لجميع المواطنين.

وهناك اربع مدارس خاصة بالمتفوقين في الاتحاد السوفيتي. وتوجد هذه المدارس في موسكو وكييف ولنجراد ونوفوسيبيك، وتقبل الطلبة المتفوقين من المناطق الريفية، اذا تفوقوا في الرياضيات والفيزياء خلال سنوات دراستهم، اما الاطفال المتفوقون من ابناء المدن فيتم قبولهم عن طريق الاولمبياد الاكاديمي. ويخضع هؤلاء لاختبارات خاصة عند التحاقهم بالاولمبياد لمعرفة مدى ملاءمتهم للدراسة.

وتقبل مدرسة موسكو للمتفوقين ١٥٠ مرشحا كل عام تتراوح اعمارهم بين ١٥ ــ ١٦ سنة وذلك ليقضوا عامين دراسيين بها. و يتابعون خلال هذين العامين البرنامج الدراسي العام المقرر في المدارس العادية مع ساعات اضافية في موضوعات خاصة يحددها المشرفون من الجامعة.

وبعد الانتهاء من الدراسة العامة (تبلغ ثماني سنوات) يبدأ التخصص الا ان هناك بعض المدارس التي تبدأ التخصص في سن مبكر عن ذلك مثل مدارس الموسيقى والباليه. و يتجه العدد الاكبر من مدارس المتفوقين الى دراسة الرياضيات (يوجد ١١٤ مدرسة في موسكو و ٤٤ مدرسة في لينجراد).

وهناك ١٦ مدرسة للباليه تقبل التلاميذ ابتداء من التاسعة من عمرهم و يستمر البرنامج بها عشر سنوات وهناك حوالي ١٠٠ مدرسة للموسيقى ومدارس اخرى عديدة للمسرح والفنون والسيرك.

وتقبل هذه المدارس طلبات التلاميذ في المدينة والضواحي المجاورة ومن اهم شروط القبول بهذه المدارس هو التمتع بصحة جيدة. و يدرس الطالب في هذه المدارس البرنامج العادي بالاضافة الى ساعات اضافية تتراوح بين ٢ ــ ٤ ساعات ابتداء من الصف الثاني.

مصر:

تعتبر مصر من اوائل الدول العربية التي اهتمت برعاية المتفوقين اذ انشىء بها مدرسة للمتفوقين بالمعادي عام ١٩٥٥. وتستقبل هذه المدرسة طلابها من جميع انحاء الجمهورية، حيث يلتحق بها الطلاب الخمسة الاوائل في الشهادة الاعدادية من اية منطقة تعليمية.

وانتقل موقع مدرسة المتفوقين الى عين شمس سنة ١٩٦٦، كما انشىء الى جانب مدرسة المتفوقين فصول خاصة بالمتفوقين، وكان اول انشاء لهذه الفصول هو انشاء فصلين في مدرسة شبرا الثانوية للبنات ومدرسة التوفيقية للبنين. وفي عام ١٩٦٢/٦١ أخذت مدارس اخرى بنظام الفصول الخاصة وازداد عدد الفصول الخاصة حتى انتشرت في ثلاث عشرة مدرسة و بلغ عددها ٢٧ فصلا في الصفوف الثلاثة للمرحلة الثانوية كان عدد طلبتها ١٢٦٠ طالبا وذلك في عام ١٩٦٥/٦٤.

و يشترط للالتحاق بالفصول الخاصة للمتفوقين في محافظة القاهرة ان يكون حاصلا على الشهادة الاعدادية بنسبة نجاح لا تقل عن ٨٠٪ من المجموع الكلي للدرجات.

ولقد سايرت المدارس الاعدادية (المتوسطة) التطور الذي حدث في المدارس الثانوية من حيث انشاء فصول خاصة للمتفوقين فقد كان هناك ١٨ فصلا تضم ١٠٦٣ طالبا في الصفين الاول والثاني الاعدادي زادت الى ٤٤ فصلا عام ١٩٦٥/٦٤ واصبحت تضم ١٦٢٨ طالبا.

برنامج مقترح للاطفال المتفوقين عقليا بدولة الكويت

اهمية البرنامج:

لا شك في ان البدء في الكشف عن المتفوقين والبدء في رعايتهم في سن مبكرة سوف يعمل اولا على حماية المتفوقين من التعرض لأ ية عوامل قد تؤثر على تفوقهم وتخفض من تحصيلهم، كما ان الرعاية المبكرة سوف تساعد على استغلال امكانياتهم الى الحد الاقصى مما يمكنهم من اظهار قدراتهم، و يساعدهم في النهاية على خدمة مجتمعهم الخدمة المرجوة، ويمكن القول ان اهمية تبني برنامج لرعاية الاطفال المتفوقين عقليا هي:

١ ــ رعاية طبقة منسية من المجتمع الكويتي يعول عليها الكثيرون في رفع المستوى العلمي والادبي والثقافي في البلاد.

٢ ــ ملء الفراغ في نظام التعليم لهذا النوع من التربية سواء في الكويت او في منطقة الخليج العربي.

٣ ــ اثبات القدرة العقلية والابداعية للاطفال العرب مما سيؤدي الى رفع الروح المعنوية للمجتمع الكويتي بشكل خاص والعربي بشكل عام.

الاعداد المتوقعة للطلبة المتفوقين:

من المتوقع اذا قمنا بعملية مسح لتلاميذ المرحلة الابتدائية او طلبة المراحل التالية، و بعد تطبيق المعايير التي سبق ذكرها للتفوق العقلي ان يكون بكل مرحلة تعليمية نسبة تبلغ حوالي ٢٪ من مجموع مجتمع طلبة المراحل المختلفة، فانه يمكن القول ان هناك حوالي ٣٠٠٠ طالب متفوق، اي حوالي ١٠٠٠ طالب لكل مرحلة، هذا مع

التحفظ الشديد في تقدير هذه الاعداد، وهذا العدد الكبير بدرجة تستوجب اعداد برنامج خاص للرعاية.

متطلبات البرنامج:

يتطلب تنفيذ برنامج رعاية المتفوقين ما يلي:

١ ــ الكشف المبكر عن المتفوقين عقليا.

٢ ــ اعداد المدرسين اللازمين.

٣ ــ اعداد البرامج والمناهج الدراسية ــ مستلزمات مدرسة المتفوقين.

٤ ــ اعداد ميزانية برنامج المتفوقين عقليا.

٥ ــ تعديل اللوائح المتبعة في التحاق الطلبة بالتعليم العالي بما يتناسب مع قدرات وامكانات الافراد.

٦ ــ الاعداد المستقبلي لتكيف الطفل المتفوق وخدمته لمجتمعه بعد التخرج من التعليم العالي.

أولا: الكشف المبكر عن المتفوقين عقليا :

لا شك في انه كلما بكرنا في اكتشاف الطفل المتفوق عقليا وهو مازال في مرحلة عمرية قابلة للتشكيل ذلك افضل كثيرا من الانتظار الى سن متأخرة قد يصعب فيها توجيه المتفوق الوجهة المرجوة نظرا لما يكون قد اكتسبه من اساليب وعادات تجعل من الصعب عليه التوافق مع نظام تعليمي مكثف. ولكن الكشف المبكر له محاذيره ايضاً، فكلما بكرنا باكتشاف المتفوق زاد احتمال الخطأ في درجة التنبؤ بالتفوق، بمعنى ان عوامل الخطأ تلعب دورها في الوسائل التي يمكن استخدامها للكشف المبكر عن التفوق، فالمعروف مثلا ان اختبارات الذكاء وهي من اهم محكات التفوق لا تعتبر وسيلة صالحة للتنبؤ بالاداء في المستقبل الا بعد سن السابعة، كما ان التحصيل الدراسي وهو محك اخر هام لا يمكن استخدامه الا خلال المرحلة الابتدائية بعد ان

يكون التلميذ قد مضى فترة مناسبة من التعليم يمكن التعرف فيها على مستواه التحصيلي. اما بالنسبة للاستعدادات العقلية الخاصة فهذه لا تظهر او تتبلور الا بعد وصول الطفل الى مرحلة المراهقة أي في اواخر المرحلة المتوسطة واوائل المرحلة الثانوية.

وليس معنى ذلك الانتظار حتى يصل الطفل الى المرحلة الثانوية حتى يمكن اكتشاف المتفوقين، فان لذلك محاذيره ايضاً كما سبق ان ذكرنا فقد يكتسب الطفل خلال المرحلتين الابتدائية والمتوسطة من الوسائل والصفات ما يجعله يفقد بعض صفات التفوق او كلها نظرا لما قد يتعرض له من عوامل الاحباط خلال تلك الفترة.

والمشكلة اذا هي اختيار سن اوصف يبدأ عنده اكتشاف المتفوقين بحيث يكون ذلك في فترة ما بين دخوله المدرسة الابتدائية والتحاقه بالمدرسة الثانوية، ونقترح لذلك الصف الثالث الابتدائي وذلك للأسباب السابق ذكرها.

ويمكن اعتبار الصف الثالث الابتدائي مرحلة فرز تستخدم فيها الوسائل التالية:

١ ــ اجراء اختبار ذكاء جمعي على جميع طلاب الصف الثالث.

٢ ــ اجراء اختبار وكسلر لذكاء الاطفال على التلاميذ الذين تزيد نسبتهم على ١٣٠ وذلك لأن الاختبار الفردي يعتبر محكاً افضل ويمكن عن طريقه التأكد من نتائج الاختبار الجمعي.

٣ ــ تتبع الاطفال الذين تكون نسبة ذكائهم على مقياس وكسلر في حدود التفوق وذلك خلال الصفين الثالث والرابع من المرحلة المتوسطة من ناحية التحصيل والاستعدادات الخاصة والقدرة الابتكارية.

ثانياً: اعداد المدرسين لتدريس المتفوقين عقلياً:

يجب توفير المدرس الكفء القادر على رعاية المتفوقين رعاية سليمة ولا شك في ان هذا الجانب هو من اهم جوانب برنامج المتفوقين ان لم يكن اهمها جميعا، لأن المتفوقين يحتاجون اسلوبا خاصا في تدريسهم ومعاملتهم وهو اسلوب لا يفهمه ولا يقدر على تنفيذه الا المدرس المتفوق عقليا، وكذلك يجب توخي الدقة في اختيار المدرس الذي يعلم المتفوقين و يقترح لهذا الغرض اختيار مجموعة من طلبة كلية التربية المتفوقين ممن يتميزون بقدرات عالية في التخصصات المختلفة، ويجري ايفاد هؤلاء الطلبة بعد تخرجهم في بعثة دراسية (للولايات المتحدة مثلا) حوالي عامين حيث يتخصصون في وسائل تعليم ورعاية المتفوقين، و يعودون بعدها للكويت للقيام بهذه المهمة.

ثالثاً: اعداد البرامج والمناهج الدراسية:

ظهرت في السنوات الاخيرة عدة انواع من البرامج للمتفوقين عقليا ولكن لا يوجد نوع واحد يمكن اعتباره الاصلح او الافضل للمتفوقين ولذلك يجب التخطيط بعناية للبرنامج الذي سوف يوضع للمتفوقين في مختلف المقررات الدراسية والانشطة التربوية، واحتياجاتهم من الموارد البشرية والمالية. ومهما كان نوع البرنامج الذي سوف يتفق عليه، فانه من الواجب ان يسمح للطلبة المتفوقين بمرونة وحرية كافية، وكميات متزايدة من العمل الذي يتطلب الاعتماد على الذات من ناحية وتحمل مسؤوليات اكبر من ناحية اخرى ولذلك يجب ان يسعى برنامج المتفوقين الى تحقيق الاهداف التالية:

١ ــ تزويد المتفوقين بالامكانيات التي تجعلهم يحققون مستويات عالية من التفوق في التحصيل الاكاديمي، وذلك عن طريق منحهم الفرص للتعرف على قدراتهم واهتماماتهم وامكانياتهم الى اكبر حد ممكن.

٢ ــ اكتساب القدرة على التوجيه الذاتي، وذلك من خلال توفير الحرية والاحساس بالمسؤولية وتدريبهم على التكيف مع الوقت، وعلى الحصول على الاشباع من الانجاز والتفوق في العمل.

٣ ــ تنمية صفات القيادة في المتفوقين مما يشعرهم بالمسؤولية نحو الذات والاسرة والمجتمع.

٤ ــ تنمية الموارد والقدرات الذاتية التي تمكنهم من تحقيق مستويات عالية من التفكير الابداعي والابتكار.

٥ ــ تنمية الشعور الايجابي نحو كل ما هو جميل ومفيد، مما يجعلهم يكتسبون الوعي الجمالي.

٦ ــ اكتساب القدرة على تحمل وجهات النظر المتباينة وتحمل الافكار المتشعبة والمتعارضة.

٧ ــ تطوير نماذج التفكير التي تساعد على حل المشكلات عن طريق البحث في الحلول البديلة لها قبل اتخاذ اي اجراء تنفيذي لحلها وبمعنى آخر تنمية امكانيات المتفوقين على الاستدلال والاستقراء واتخاذ قرارات سليمة وفعالة.

٨ ــ تطوير طرق التفكير وزيادة الايمان بالبحث العلمي مما يكون لديهم اتجاهات ايجابية نحو الاستفسار الدائم والتساؤل والبحث والتحري.

٩ ــ الاعداد لنمط من الحياة الاجتماعية والمهنية التي توفر الرضا والاشباع للمتفوقين، وذلك عن طريق استثمار قدراتهم وامكانياتهم وميولهم نحو مجال او اكثر من المجالات الوظيفية.

ويجب عند وضع برامج للمتفوقين عقليا ان يوضع نموهم الانفعالي والاجتماعي في الاعتبار، بحيث يتوافق هذا النمو مع احتياجاتهم العقلية ويجب توفير الفرص التي تمكنهم من اكتساب المهارات الاساسية وتجعلهم قادرين على اكتشاف افكار جديدة في وقت اقصر من الوقت الذي يحتاجه اقران سنهم من العاديين، كما يجب اشباع رغبتهم غير العادية في ارضاء ذواتهم وذلك بايجاد الطرق التي تمكنهم من التعبير عن مواهبهم المتعددة ومهاراتهم الابتكارية، كما يجب توفير خدمات الارشاد النفسي والتربوي بما يساعد على نموهم في شتى المجالات بالسرعة التي تتناسب مع امكانياتهم العقلية والشخصية.

رابعاً: مدرسة المتفوقين:

اذا اتجه الرأي الى انشاء مدرسة خاصة بالمتفوقين فيجب ان تزود بالامكانيات والمرافق التي تساعدها على القيام برسالتها في تربية الطلبة المتفوقين ولذلك يجب ان تتوفر بمدرسة المتفوقين عدة شروط اهمها:

١ ــ تحديد عدد الطلبة في الفصل الواحد بما لا يزيد عن ١٥ ــ ٢٠ طالبا حتى يمكن للمدرسة رعايتهم رعاية فردية وجماعية في نفس الوقت.

٢ ــ تزويد المدرسة بمكتبة متنوعة الكتب والمراجع وان يكون بها اماكن خاصة يستخدمها الطلبة عند الاطلاع، وان يكون كل مكان معزولا بحيث يتوفر للطالب الهدوء والانفراد بنفسه للقراءة أو الكتابة.

٣ ــ تزويد المدرسة بالمختبرات اللازمة سواء مختبرات اللغات أو المختبرات العلمية وتزويدها بأحدث الاجهزة والمعدات.

٤ ــ توفير ساحات اللعب المكشوفة والمغطاة حتى يمكن للطلبة المتفوقين ممارسة الوان النشاط الرياضي صيفا وشتاء.

٥ ــ ان تكون لها لوائحها التي تتفق مع طبيعتها.

٦ ــ ان تعطى ادارة المدرسة الصلاحية في تحديث مكتبة المدرسة وغيرها من الامكانيات.

خامساً: تكاليف برنامج الطفل المتفوق:

لا شك ان تقديم برنامج خاص للاطفال المتفوقين يتطلب تكاليف تزيد على تكاليف تعليم الطفل العادي ولكن اذا نظرنا الى تربية المتفوقين على انها عملية استثمارية يستفيد منها المجتمع والاجيال المقبلة في شتى مجالات الحياة، تصبح زيادة التكاليف امراً ثانويا ويحتاج تمويل برنامج المتفوقين الى موارد مالية للانفاق منها على الجوانب التالية:

* مبنى يصلح لاستخدامه مدرسة للمتفوقين.
* مكتبة كاملة الامكانيات والمواد الاضافية للتعليم.
* رواتب المدرسين والهيئة الادارية وهيئة الاشراف بالمدرسة.
* تكاليف البرامج الخاصة لتعليم المتفوقين بما فيها من انشطة صفية ولا صفية.
* تكاليف متابعة وتقديم البرنامج.

ويمكن الاعتماد في سداد بعض الموارد المالية على الموارد التربوية الحالية المتوفرة لدى وزارة التربية، الا ان معظم التكاليف يجب تمويلها من ميزانية المشروع نفسه.

المراجع

المراجع العربية:

١ ــ اسماعيل، عزت سيد وحسين، عبد الله غلوم: «السلوك المنحرف للابناء» دراسة اجتماعية نفسية لانحراف الصغار. الكويت. ١١٩ ــ ٢٠٧ ــ ٢١٨.

٢ ــ ابو علام، رجاء محمود وعيسى، مصباح الحاج: مقارنة بين الطلاب المتفوقين وغير المتفوقين من حيث تحصيلهم في وحدة «الحركة والقوة» ادارة الخدمة الاجتماعية ــ وزارة التربية ١٩٧٥.

٣ ــ ابو علام، رجاء محمود. مشروع دراسة المتفوقين ــ ادارة الخدمة النفسية ــ وزارة التربية ١٩٨٣.

٤ ــ العمر، بدر عمر: دراسة تجريبية لاثر وجود الطلاب المتفوقين في فصول خاصة واثرها على زيادة تحصيلهم الدراسي، وسهولة توافقهم الشخصي والاجتماعي ــ رسالة ماجستير ــ الكويت ١٩٧٦.

٥ ــ الديب، فتحي عبد المقصود وأبوعلام، رجاء محمود: مقارنة بين الطلاب المتفوقين والعاديين من حيث تفضيلهم للانشطة التعليمية التي تستخدم في تدريس العلوم ادارة الخدمة النفسية ــ وزارة التربية ١٩٧٤.

٦ ــ رأفت، محمد نسيم: بحث الطلبة المتفوقين «الجزء الاول» القاهرة اللجنة الدائمة للبحوث بوزارة التربية والتعليم، ١٩٦١.

المراجع الاجنبية :

1 - Educational policies Commission: The Contemperary Challeng To American Education, National Association. 1958 P. 9

2 - Herrnstien, R. "I. Q." Readings, in Psychology Dushkin Publishing Group Inc. 72. 1973. P. 30

3 - Holy, A & Wilks,J.Gifted Children and Their Education.Bristol: School of Education, Bristol University. 1979.

4 - Povey, R (ed) Educating the Gifted Children. London Harper & Row, 1980.

5 - Sumption, R. M. & Leuking, M .E. Education of the Gifted. The Roncld Press Company — 1960. P. 42.

6 - Terman, M. L. The Importance of Education for the Gifted. The Yearbook of National Society for the Study of Education. The University of Chicago Press, 1985. P. 3.

7 - Tyler, L. Studies on Motivation and identification of the Gifted Pupiles.Review of Educational Research. 4. 1957. P 391.

تعقيب

الدكتور/ بدر العمر

لقد افاض الدكتور ابو علام، وانا شخصياً يسعدني التعقيب على هذا الموضوع لانني عشقت هذا الموضوع كثيرا اثناء الدراسة (للماجستير) وتصورت اننا وجدنا ضالتنا ولكن اصابني الاحباط عندما عاصرت الممارسات التربوية فيما بعد.

تناول البحث تناولا جادا قضية الاطفال المتفوقين او الموهوبين وتعليمهم وهذا تناول لابد منه اذا اردنا استكمال تصوراتنا التربوية ومساهمتها في حياة المجتمع.

واركز هنا على بعض المصطلحات التي تعشقها امتنا مثل التقدم والرقي والازدهار التي استعملناها بمناسبة او دون مناسبة، سواء استحققناها ام لا. ولكن الوقت قد حان لوضعها في الموضوع الاجرائي. واعتقد ان هذا البحث قد غطى علاقة الاهتمام بالتفوق بتقدم المجتمع تغطية مدعمة بالبينة العلمية.

سأركز على قضية التفوق واثرها في المجتمع، اننا مجتمعات اعياها الترف المادي واصبحنا نصف التفوق بعدد طوابق المباني وتلكأنا في بناء الانسان واصبح مضمون النظام التربوي خاليا من التأكيد على بناء الفرد ـــ يدل على ذلك اننا لم نقف لحظة لنزن نتائج نظمنا التعليمية. وكانت الطامة الكبرى في تجاهل النظام التربوي لفئة من الافراد يعتبرون الدعامة الاساسية في بناء اي مجتمع الا وهي فئة الطلبة المتفوقين.

ولكيلا يكون هذا الرأي كلاما اجوف نجد ان التوصيات التي ظهرت عن ندوة عام ١٩٧٣ بالكويت حول المعوقين والمتفوقين بقيت حبرا على ورق ولم تر النور. لقد جاء في ندوة مارس الماضي في بغداد والتي نظمها مكتب التربية العربي لدول الخليج عن نفس الفئات بعض التوصيات الهامة:

ـ وضع برامج اضافية بجانب البرنامج الدراسي المقرر تشتمل على برامج البحث والمشاريع الفردية والجماعية لابراز وتعزيز قدرات وخبرات الطالب المتفوق.

ـ ايماناً منا بضرورة وجود الطالب المتفوق مع اقرانه وعدم عزله في فصول خاصة لما في ذلك من سلبيات وعدم توافق شخصي واجتماعي، نرى تخصيص اوقات خلال الدوام الرسمي او خارجه لاخصاب وتنمية قدراته.

ـ دعوة وزارات التربية والتعليم والمعارف لتوجيه المعلمين والمدرسين الى تحسس ظاهرة التفوق بين الطلبة ومحاولة كشفها ورعايتها في بواكيرها.

ـ انشاء جهاز خاص لمتابعة الطلبة المتفوقين في جميع المراحل التعلمية وما بعدها واستثمار طاقاتهم في مجال تخصصهم وذلك خدمة لوطنهم.

وفي رأيي ان قيمة هذه التوصيات لا تخفى على التربويين ولهذا فان اية ندوة يجب الا تقتصر على التوصيات، لأن التوصيات عمرها طويل، يجب ان يكون دور مثل هذه الندوات ابراز الاطار العملي لكيفية تنفيذ هذه التوصيات، فتكون هناك خطة عمل بدل البحوث والتوصيات، اذن هناك حقيقة لا يمكن تجاهلها وهي ان عنصر التغيير يجب ان يأتي من القيادة التربوية. فنحن في امم لا تصنع قاعدتها القرار بل يأتي من اعلى دائماً، وكل ما يتبع ذلك هو لتنفيذ القرار، ولذا فرعاية المتفوقين لا تأتي الا بقرار ويجب ان يدعم هذا القرار بايمان صريح بأهمية هذه الفئة من قبل صانع القرار نفسه، حينذاك يمكن تذليل الكثير من الصعاب والعقبات.

من تجربتنا الخاصة ارى انه لا يمكن لباحث ان يكون وسيلة ضغط ولا يمكن لمؤسسة تربوية ان تكون قوة ضغط اذا لم تكن القيادة التربوية مؤمنة بهذا الشيء.

ان البحث والندوات والاوراق تعتبر عملا جيدا ولكنها تنفيذيا ينقصها دعم

القيادات. يجب الا نقترب من موضوع المتفوقين الا اذا تأكدنا اننا نريده فعلا، لا نريد ان تكون رعاية المتفوقين جزءاً من الترف التربوي او زيادة الكم التربوي، فالنظام التربوي القائم يكفي، والمعاهد الكثيرة التي لم نستغل خريجيها كما يجب كافية هي الاخرى. وفي هذا المجال بالذات احذر من انه اذا انشئت مدارس خاصة للمتفوقين ولم تعط اهتماما خاصا يميزها من المدارس العادية فان النتائج ستكون سلبية اكثر منها ايجابية.

اننا نحمد الله على اننا في بلد حباه الله بمقومات نجاح المشاريع التربوية الجادة (المادة، الشباب، الحاجة) ولذا لا ارى سببا واحداًيدعو لتأجيل رعاية المتفوقين.. ان هذه الفئة هي اقدر من غيرها بكثير على قيادة المجتمع ورقيه. فالتاريخ الانساني بشكل عام يدل على ان كل التغيرات الاقتصادية والاجتماعية قد جاءت نتاجا لابداعات المتفوقين.

اشار الدكتور رجاء في معرض بحثه الى ان الكشف عن المتفوقين يتم في المرحلة الابتدائية (الصف الثالث الابتدائي)، وانا اريد ان اذهب لابعد من هذا تخوفا من الممارسات التربوية في البيت والمدرسة التي قد تعطل كثيرا من بذور التفوق قبل الوصول الى هذه المرحلة. ذكرت سوزان شوارتز في مجلة علم النفس التربوي، العدد السنوي لسنة ١٩٨٤/٨٣ بعض الخصائص التي تعتبر مؤشرات لعنصر التفوق في رياض الاطفال فقالت ان الطفل المتفوق يتميز من غير المتفوقين بما يلي:

- ذاكرة حادة وسريعة.
- كثير الاسئلة.
- عصبي بعلاقاته مع الاخرين.
- يتعلم بسرعة
- يؤدي الاعمال الصعبة بسهولة.
- يتضايق و يتململ من الانشطة العادية.

ـــ يواجه صعوبة في تكوين الصداقات.
ـــ يبدي مهارة غيرعادية في بعض المجالات مثل الموسيقى.
ـــ له استعدادات واهتمامات في مجالات كثيرة.
ـــ لديه مفردات كثيرة تفوق مفردات اقرانه العاديين.
ـــ يفضل الانشطة الانفرادية.
ـــ لديه القدرة على التعبيرعن افكاره بسهولة.
ـــ حريص على ان تكون اعماله متقنة.
ـــ يتوافق بسهولة مع التغيرات المختلفة .
ـــ شديد الانتباه.

والذهاب الى ما قبل الصف الثالث ليس هولاختبار المتفوقين بل للانتباه اليهم وتوصية المدرسين بهم، والتمييز في علاقاتهم مع البيئة، وعدم توقيع العقوبات عليهم.

ان من الاسباب الرئيسية لعدم قدرتنا على العناية بالمتفوقين عدم مرونة المنهج الدراسي وطريقة تنظيم اليوم الدراسي وهي اسباب قد تذكر لأي تغيير، ويجب تدريب الادارة المدرسية على مواجهة العناية بالمتفوقين.. نحن نريد الكثير في ظل النظام الحالي وهذا شيء صعب.. لذا يجب تغيير النظام نفسه.

ولذا فاقترح كما ذكر د. رجاء ـــ ان اعيش التربية في حياتي اليومية بشكل رسمي او غير رسمي و يهمني عملية التطو ير في التربية ومن ملاحظاتي ان ليس كل ما يقدم ضروريا.. فهناك امور يمكن الاستفادة منها بدرجة كبيرة، واذاتم ذلك تزول الامور غير المفيدة ويخصص وقتها لرعاية المتفوقين، فمثلا يوم الخميس دوامه (ميت) باصطلاحنا.. وانا ارى انه يمكن تخصيص هذا اليوم لمجموعات خاصة من الطلبة حسب قدراتهم ومواهبم وكل ما تم خلال الاسبوع يصنف هكذا ونحاول ان نعطي علاجية لمن يحتاجها، الايمان بعملية التغيير ضروري لاجراء التغيير.

اؤكد هنا ان البحث قد طرح مواضيع هامة ووضع اسلوبا اجرائيا للسير في هذا الموضوع . ويجب ان اشكر الجمعية على طرح هذا الموضوع الهام.

مناقشات

د. حسن الابراهيم:

شكراً اختي الرئيسة، أود أولا ان اشكر الدكتور رجاء والدكتور بدر على هذا البحث القيم وعلى التعقيب العميق.

ان هدف الجمعية الكويتية هو تثقيف المجتمع العربي في الكويت والمجتعمات العربية بأهمية المواضيع التي تتعلق بالطفولة بشكل عام. نتمنى ان نكرس اهتمام المجتمع بهذه المشاكل ومن ثم سيكون المجتمع اداة ضغط على صانعي القرار سواء في المؤسسة التربوية ام المؤسسة السياسية.

الدكتور رجاء طرح سوءالاً غاية في الاهمية ألا وهو هل يعتبر الاعتناء بهذه الفئة الصغيرة من افراد المجتمع تكريسا للطبقية او خلق طبقة جديدة في المجتمع. الواقع ان هذا لم يثر فقط في ندوتنا الصغيرة لهذا اليوم وانما كان موضوع نقاش وجد لفترة طويلة جدا في المانيا بالذات حيث كانت حملة لانشاء جامعات متميزة للمتفوقين وكان هناك من يعتقد ان هذا سيخلق طبقة جديدة في المجتمع، على حين كل حكومة وكل سياسي يريد تذويب الفروقات الطبقية في المجتمع. انا في الواقع من المؤيدين للاهتمام بالمتفوقين، وهذا ليس عملا غير ديمقراطي وليس عملا لانشاء طبقة معينة او مميزة في المجتمع. بالعكس انا اعتقد ان الاهتمام بالمتفوقين هو أداة لتذويب الفروقات في المجتمع الواعي، لذلك اذا كان هناك برنامج خاص في المدارس مثلا او مدرسة خاصة للاعتناء بالمتفوقين ــ فان اختبار هؤلاء المتفوقين لن يرتكز على خلفية اجتماعية او اقتصادية معينة وانما يكون الاختيار مرتكزاً على القدرات العقلية ــ واذا ما تم هذا الشيء في المجتمع فاعتقد اننا قد أذبنا الفروقات وفتحنا المجال لما يسمى بـSocial Mobility أو المرونة الاجتماعية في الانتقال من طبقة الى طبقة اخرى ومن

ثم ساهمنا بعملية تذويب الفروقات الطبقية والاجتماعية والاقتصادية التي تعانيها المجتمعات في دول العالم الثالث، ونكون قد ساهمنا ايضاً في بث العدالة الاجتماعية بين الناس وبين افراد المجتمع. واؤكد على ما تفضل به الدكتور رجاء بالنسبة لديمقراطية الاهتمام بهذه النسبة الضئيلة من ابنائنا الذين هم الآن مهملون سواء في الكويت او في ارجاء هذا الوطن العربي الواسع.

د. محمد عودة:

في الحقيقة ما اتحدث عنه هو استكمال وليس تعليقاً على ما طرح.

انطلاقاً من خلال تعريف التفوق الذي تفضل به الدكتور رجاء ووضع عدة مؤشرات بخصوصه يبدأ بالذكاء العالي ويصل بالتحصيل المرتفع الى القدرة على الابتكار، التفكير التقويمي الى آخره، انطلاقا من هذا سأثير مسألتين:

الاولى: هناك مؤشر على ان التفوق نسبياً لا يتصل بالذكاء، وكثير من الدراسات تسلم بأن الذكاء في اكثره يأتي من الوراثة اذاً بالتالي هل يترتب عليه ان اهتمامنا بهذا الجانب بالذات، (جانب الوراثة) يشكل دعامة لخلق التفوق قبل ان نكشف عنه في المجتمع.

وفيما يتعلق بالقدرة على الابتكار والتفكير التقويمي وبروز القدرات الخاصة تُجمع كثير من الدراسات على ان مثل هذه القدرات لا يمكن ان تبرز بشكل فطري لو تركنا الطفل ينمو بشكل تلقائي، فبالتالي تبرز القدرات في ظل نظام تربوي معين. والنظام التربوي لا اعني به المدرسة وانما في الحقيقة اعني به الاسرة بالذات بدءاً بها ومروراً بالمدرسة. اذن لكي اخلق في المجتمع اناسا متفوقين، اولا علي ان انتبه للجانب الوراثي كعامل مقرر للذكاء.

المسألة الثانية:

تتعلق بالنظام التربوي الذي يبدأ من الاسرة ربما حتى قبل الميلاد الى ان يذهب

الطفل الى المدرسة. ان من اهم النقاط في هذا المجال قضية التحصيل العالي المشروط للدلالة على التفوق والذي يضع الطفل في الـ ٥٪ العليا من مجموعته.

لقد كان في التعليم الكويتي على سبيل المثال النظام المدرسي العام العادي قبل ادخال نظام الفصلين الدراسيين، كنا نرى ان النتائج مذهلة بمعنى انه من الممكن ان يصل في الشهادة الثانوية اعلى معدل وهو ٩٩ر٣ اي اعلى درجة حصل عليها الاول بالنسبة للمدارس الكويتية. ولكن الآن لا توجد دراسات تقويمية لأن النظام جديد. وهناك شكوى عامة من انخفاض النتائج وكأن نظام الفصلين قد كشف عن القدرات الحقيقية لابنائنا. بمعنى ان النظام السابق يبدو انه كان نوعا من التزييف. وهذا يذكرني بالدراسة التي طرحت في العام الماضي في ندوة الارشاد النفسي المتصلة بالجامعة بأن هناك ميلا عاما لاعطاء الدرجات العليا فيصير عندي قضية أن يأخذ الانسان (٨) في مادة معينة هي ليست بالضرورة مؤشراً دالا على التفوق، وحتى في الدراسة الحالية التي نجريها بالنسبة للجامعة نعمل دراسة للمقارنة بين الطلبة المتفوقين والطلبة المتعثرين ومن الاشكالات التي واجهتنا. قضية هل الطالب الذي حصل على معدل فوق سبع نقاط من تسع نقاط هومتفوق بالضرورة؟

اعتقد ان نظام الفصلين قد كشف عن القدرات الحقيقية للتلاميذ بالنسبة للمدرسة اذن اركز مرة ثانية واقول انه لكي نخلق الذكاء لابد ان نهتم بالجانب الوراثي لكي نخلق الذكاء لابد ان نهتم بالجانب الوراثي من جهة وان نهتم بالنظام التربوي، حيث ان المتفوق هو نتاج ذو خصائص معينة ولا يمكن ان يولد هكذا في الفراغ.

النقطة الاخيرة التي اود اثارتها هي اننا اذا اعتبرنا ان كل من يقع في فئة الذكاء ١٣٠ درجة فما فوق يدرج في اطار التفوق، و بالتالي عندما اريد ان اكشف عنه الكشف المبكر يمكن ان ابدأ من العامل الدال وهو الذكاء هنا. اتساءل هل يمكن ان ندعو الى تنمية الابتكار أو هل هناك امكانية لتنمية الفكر الابتكاري او على الاقل هل هناك امكانية على ان نكشف عن صاحب الذكاء ١٢٥ ثم نرفعه الى ١٣٠ وكيف؟

هنـاك كـثير مـن العلماء يذهبون الى ان بالامكان ان نرفع ذكاء الفرد بين خمس نـقـاط الى عشر نقاط فيصبح الاهتمام عندئذ ليس فقط بالفئة التي تنتجها اختبارات الـذكـاء وهـي ١٣٠ ومـا فـوق بـل يمتد الى فئة الحد الفاصل (Bordei Line) ــ التي تستطيع ــ هي الاخرى ان تتقدم الى صفوف المتفوقين لو وجهنا لها نوعا من العناية.

د. قاسم الصراف:

في الحـقـيقة عندي بعض الاستفسارات حول ما جاء في تصور الدكتور رجاءحول رعاية المتفوقين او التفوق بصورة عامة:

الـتساؤل الاول هو ان الدكتور وضع التحصيل الاكاديمي كمعيار للتفوق العقلي. ونحن نعرف ان التحصيل الدراسي ــ على الاقل في وضعنا الراهن ــ في الكويت ــ لا يـتـعـلق بالذكاء بقدر ما يتعلق بما يسمى بالذاكرة الصمية (الحفظ عن ظهر قلب)، نتيجة لمنهج معين، وفي الامتحانات تدور الاسئلة حول بعض المعلومات التي سبق ان درسها الـطـلاب و بـالـتـالي اذا اشـرنـا الى نـظـريـة اكـنـز في الـذكـاء فـانـهـا تـشير الى ان الـذاكـرة الـصـمـيـة لا ــ تمت بصلة الى ما يسمى بالذكاء وانما في الحقيقة الناس الـعـاديـون والاقل من العاديين هم الذين يتصفون بالذاكرة الصمية و بالتالي فان من المعايير المميزة للاذكياء قضية الابتكار في الدرجة الاولى والقدرة على حل المشكلات. هذا تساؤل اول.

الـتـساؤل الآخر يتعلق فيما ذكرته سابقا وذكرته دراسات كثيرة من ان المتفوقين يـشـكـلـون حوالي ٣٣ بالمئة من طلاب المدارس وفي نفس الوقت قلت ان المتفوقين هم الخـمـسـة الاوائل تقريبا في كل فصل دراسي على ما اعتقد، فاذا اخذنا من كل فصل دراسي مـتـوسـط عدد طلابه ٣٠ طالبا خمسة طلاب فيكون لدينا اكثر من ١٧٪ وليس ٣٪، كـذلـك الـنـسـبـة قـد تـتراوح اكثر بين ثلاثة او اقل او اكثر من ٣٪ وهذا طبعا بـالاشـارة الى وضـعـنا الحالي وليس بالاشارة الى اوضاع المتفوقين في الدول الاخرى. وفي الحـقـيـقـة بالنسبة لقياس الذكاء، لا اعتقد ان وضعه عندنا كما هو في اميركا،

مثلا الطلاب يخضعون لاختبارات الذكاء. و بالتالي يعرف لكل طالب مستوى ذكائه من البداية و بالتالي لا اعرف طبعا ا حد العناصر الدالة على الذكاء. كل ما نستطيع قوله هو ان نسبة ذكاء التلميذ مرتفعة. وطالما حصرت التفوق في خمسة الطلاب الاوائل في كل فصل فانا كذلك اتساءل هل للجنس كمتغير في كل فصل علاقة بنسبة التفوق ذلك ان معظم الاوائل عندنا هم من الاناث فبالتالي نسبة التفوق العقلي عندنا بين الاناث هي اكثر ــ على ما يظهر ــ منها بين البنين. اخيرا ألا يوجد عندنا معايير اخرى نقيس بها التفوق العقلي؟

د. اسامة الخولي:

بعد استماعي الى هذا الحديث الممتع من المتخصصين لا تزال بعض القضايا غير واضحة في ذهني وانا لست متخصصاً.

القضية الاولى فيما يبدو لي هي اننا تحدثنا في اطار واحد عن امرين:

عن التفوق والموهبة وعن التعليم والتربية، وهذا يعني مثلما ذكر اننا نتحدث عن معايير مركبة يعني المعيار قد تكون لديه اربع مكونات، وهذه مشكلة حتى في القياس، هذا يعني انه لابد ان نعطي وزنا نسبيا لكل واحد من هذه المعايير.

والسؤال الذي احب طرحه ما هو الوزن النسبي لكل هذا؟ يعني ما هو الوزن النسبي في المعيار المركب من اربع مكونات الذكاء ــ التحصيل ــ والقدرة على الابتكار ــ والقدرة على القيادة الاجتماعية. ان هذا الوزن يمكن ان يغير الصورة بشكل كامل وهذه مشكلة تواجه كل محاولة لاتخاذ معايير تركيبية.

ثانيا: يبدو لي اننا ربما اهتممنا بحكم الضرورة بقضية التعليم اكثر من اهتمامنا بقضية التربية بشكل عام ومن هنا تعرضنا لدور الاسرة ودور المنزل ودور المجتمع بشكل عام. هذه اول مسألة لازالت غير واضحة في ذهني وتحتاج الى توضيح.

السؤال الثاني الذي يتردد في ذهني تمثل بشكل واضح فيما قاله الدكتور بدر ولماذا لا تنفذ التوصيات؟ واعتقد ان هذه ظاهرة تحتاج الى اكثر من نقد وتحتاج لتفسير والمشكلة التي نتحدث عنها في مجتمعاتنا العربية هي ان الاطار الاجتماعي القادر على الاستفادة من المتفوق او الموهوب او اياً كانت التسمية غير موجود اي انا لا ادري ماذا افعل بالمتفوق ولا املك القدرة على الاستفادة من قدراته و بالتالي فانا محكوم علي ان اخسره وهذه مسألة كلنا نعيشها، ففي النهاية سيجد من يستفيد منه خيرا مما نستفيد منه نحن. وقد يكون احد مكونات المعيار المركب هذا غير واضح في ذهني مثل مسألة القدرة على القيادة اذ يبدو لي ان التنظيمات الاجتماعية في دول كثيرة متقدمة تقوم ليس على قدرتها القيادية بل على قدرتها على الابتكار وترك قيادات اخرى ربما كانت اقل منها ذكاء واقل منها قدرة على الابتكار. ولكنها اقدر على ان تجر المجتمع وراءها بشكل منظم في تنفيذ ما يخرج. وتقودنا القضية الثانية التي طرحت بصيغ متعارضة حول الطفل المتفوق هل هو متوافق أو غير متوافق ونحن سمعنا الرأيين و يبدو لي انهما متناقضان تماماً. اذا قلنا ان المتفوق عصبي وملول و يعزف عن الصداقات وفي نفس الوقت قلنا انه اجتماعي ويختلط بين الناس يبدو لي انه بحكم الضرورة اذا كان فيه صفات ومواهب ليست موجودة في الآخرين ربما يكون من المتوقع ان يكون اقل قدرة على الاختلاط بسهولة و بيسر وربما يكون حتى ضجراً بمثل هذا التفوق وهذا لا يعني انه لا يمكن الاستفادة منه بل بالعكس هو يحتاج لتنظيم اجتماعي يهيء هذه الاستفادة دون ان يكون بالضرورة متوافقا او غير متوافق، والتوافق يأتي من طريق المجتمع. المشكلة في تصوري تكمن في مجتمعاتنا بتركيبتها الحضارية والثقافية والفكرية، وأن لا يكون الاهتمام الزائد بالمتفوقين او الموهوبين او اياً كان الاسم وسيلة لعزلهم عن مجتمعهم بمعنى انخفاض احساسهم ومسؤوليتهم الاجتماعية، وانهم لا يبقون اسياد هذا المجتمع. وعلى الرغم من كل ما قيل، وهو وارد تماما، فان الفرص مفتوحة للجميع. اننا لا نستطيع ان نذيب الفوارق الطبقية وفي الوقت ذاته نخلق طبقة من الناس ذات قدرات عقلية وذهنية متميزة وذات مواهب، أفرادها ينظرون للمجتمع نظرة متعالية وكأنهم سادته واكثر كافية منه.

السؤال كيف نحافظ على احساسهم بالانتماء وبمسؤوليتهم تجاه المجتمع وفي هذا الاطار وفيما ذكر الاخ الدكتور رجاء عن الاتحاد السوفيتي، احد الاشياء الغريبة التي لاحظتها هناك انه في فرع (سبيرسك) وهو احد فروع اكاديمية العلوم في قلب سبيريا انشئت هناك ــ لاسباب لا مجال للدخول فيها ــ جامعة صغيرة جدا لها صفات غريبة جدا.

اولا: انها تأخذ كل المتفوقين وهي طبعا مهتمة بالعلوم ولا تتحدث عن الفنون واعتقد ان الموهبة هنا ليست عنصرا اساسيا. عدد طلابها لا يزيد عن ٣٠٠ طالب هؤلاء هم الذين ينجحون في الاولمبياد الذي يقيمونه للرياضيات، هذه هي الجامعة الوحيدة في الاتحاد السوفياتي المستثناة من بين البرامج المقررة بمعرفة وزارة التعليم العالي حيث توضع مناهج ومقررات تسير عليها جميع الجامعات، وهذه الجامعة هي الوحيدة المستثناة من ذلك. ليست لها هيئة تدريس وبها فقط الذين يدرسون اللغات، والمقررات العقائدية لابد منها وهم اناس يعتبرون مواطنين من الدرجة المختلفة جدا. وليست لها معامل وليست لها هيئة تدريس، مدرسوهم واساتذتهم هم العلماء الذين يعملون في معامل الابحاث الموجودة في المدينة، في العلوم معاملهم هي معامل الابحاث نفسها وهم نخبة النخبة وحتى المجتمع (سبيريك) الذي يعيشون فيه يحس ان هؤلاء الشباب هم سادة هذا المجتمع الى حد ما، فالغريب انهم يخدمونه فالتركيبة غريبة جدا فنحن نبحث عن الطريقة التي نقدر بها ان نسخر هذا الشخص المتفوق الانعزالي غير المتوافق في رأيي لخدمة المجتمع دون ان نخسره.

ان هذه مسألة لابد ان نقول فيها ملاحظة اخيرة ما دُمنا قد تحدثنا عن التكنولوجيات. اعتقد ان بعض تقنيات التربية الحديثة وفي اطار التركيز الحالي على اهمية التعلم للتعليم الذاتي تتيح الفرصة لفتح المجال للاسراع دون الارتباط التقليدي بالفصل والمنهج والمقرر والانتقال من صف الى صف وربما يكون النظر في شيء من هذا،إذا قبلنا مفهوم التعلم كمدخل رئيسي في تطوير الشخصية وليس التعليم بشكل تقليدي وبالذات في البرامج التعليمية التفاعلية باستخدام الحاسبات،أن يكون مدخلا لعملية الاسراع على نحو مفيدٍ.

د. فريدة العلاقي:

اود اولا ان اعترف انني لست تربوية ولست متخصصة في هذا المجال ولكن لدي بعض الملاحظات التي اثيرت في هذه الندوة التي اعتقد انها مهمة جدا بالنسبة لي.

اولا: اشار الدكتور رجاء حينما استعرض بعض الدراسات النظرية الى ان من بين المؤشرات الرئيسية التي تشير الى تواجد الاطفال المتفوقين او الاسر التي ينشأ فيها الاطفال المتفوقون خصائص قليلة العدد نسبيا، ان افرادها مهنيون وهنا اطلب منه توضيحا عن كلمة المهنيين، هل يعني ان الاب والام لديهم مهنة معينة ام انهم في مجال مهني علمي. بالذات انها اسرة متعلمة انها اسرة متوافقة وان الحالة الصحية البدنية في الاسرة جيدة. اود هنا ان اترجم هذه الخصائص الى الواقع الحقيقي للاسر العربية لكي ندرك او نربط ما قاله لماذا نجد قلة من المتفوقين في العالم العربي. وانا هنا ايضا اريد ان ارجع الى الاحصائيات، فاذا نظرنا بوجه عام نجد ان التركيب الديمغرافي او السكاني في معظم الدول العربية، بما فيها الكويت يظهر ان الاسر العادية التي يبرز فيها اطفال متفوقون ليست قليلة العدد بالنسبة للاسر المهنية. اقول ان معظم الامهات على الاقل لسن نساء عاملات والمهن تختلف بالنسبة للاباء في مجالات اقتصادية مختلفة. بالطبع انا لا اريد ان اركز فقط على الكويت ولكن حينما ننظر الى بعض الدول العربية التي يغلب عليها الطابع الزراعي والبدوي نجد ان معظم الاباء يشتغلون في هذا المجال. ولا اريد ان اركز على ناحية التعليم لاننا كلنا نعلم ان نسبة الامية مرتفعة جدا وخاصة بين الامهات وايضا بين الرجال ومن النواحي الصحية ليس لدي تعليق ولكن تشير معظم المؤشرات الى ان الاوضاع الصحية لفئات سكانية كثيرة في العالم العربي ليست بالاوضاع الجيدة التي نريد ان نراها، وهذا من بين المسببات الرئيسية لقلة التفوق الدراسي.

اذن هذه المؤشرات كافة عندما نربطها بما قاله الدكتور حسن الابراهيم تقودنا الى القول ان المؤشرات السابقة تنطبق عادة على الافراد الذين هم في وضع اقتصادي

متميز طبقيا ان وجدت اسرة قليلة العدد وان وجد اب وام يعملون وان وجدت اسرة متعلمة وان وجدت حالة صحية جيدة اذن هم اوتوماتيكيا من وضع اقتصادي متميز. وبالطبع لا اريد ان اغوص كثيرا في هذا الموضوع لاننا نعرف جيدا ان الكثير من العلماء والكثير من النابغين والكثير من المفكرين على مر العصور خرجوا من اسر فقيرة ومن اباء اميين ومن اوضاع اقتصادية سيئة، ولكن بالنسبة الى ما اشار اليه الدكتور عن رعاية المتفوقين، بودي ان ينزل الدكتور الى الواقع العلمي والى الخطط العملية التي تحدث عنها الدكتور بدر العمر لانني سأكون متشائمة اذا ركزنا على النقاط الثلاث التي اشار اليها الدكتور في حديثه وهو اكتشاف المتفوقين في سن معينة وربط ذلك بتواجد المدرس المختص وتواجد ميزانية خاصة ونحن نعرف جيدا انه ربما مر عقد كامل او عقدان حتى نجد المدرس المختص والمتفوق اصلا. وربما كان من الخير ان نتذكر الطلبة المتخلفين بقدر ما نذكر المتفوقين فهم ــ اي المتخلفون ــ خسارة محققة للمجتمع.

نقطة اخرى هي ان الدكتور بدر اشار في معرض حديثه الى ان الاهتمام بالاطفال المتفوقين يبدأ من رياض الاطفال وهنا تأتي الكارثة الكبرى حينما ننظر لواقع رياض الاطفال في العالم العربي باستثناء الكويت وهي حسب معلوماتي الدولة الخليجية الوحيدة التي تصل فيها نسبة الاطفال الملتحقين برياض الاطفال ٤٥٪ من مجموع الاطفال في سن الرياض ولكن كافة الدول الخليجية الاخرى والعربية ايضا لا تتعدى نسبة الملتحقين برياض الاطفال ٥ ــ ٧٪ من اطفال هذه المرحلة العمرية هذا مع التحفظ على قائمة المشاكل العريضة الاخرى التي لا اود الخوض فيها.

د. معصومة المبارك:

نشكر المحاضرين على المحاضرة ونشكر الجمعية التي اتاحت الفرصة لهذا النوع من البحوث التي تتدرج وإن شاء الله تطبق. في رأيي يوجد نوع من التفاعل النظري والاحباط الواقعي بين المحاضرين الاثنين انعكس بدوره على مناقشات المشاركين.

في الكويت يوجد برنامج لمعرفة المتفوقين يطبق ولكن لا يطبق في المدارس الحكومية او حتى يمكن ان يكون مثل مشروع خيري. مثلا هناك في المدارس الانجليزية يطبق نظام تقسيم الفصل الدراسي الى . ب . ج . فالطفل العادي المستوى يبدأ في (ب) أو في (ج) و يتدرج الى الاعلى و بهذا يكون لدينا مرحلة انتقاء الطفل المتميز تتم ليس في مراحل مبكرة ولا في مرحلة الروضة وانما من خلال فترات الدراسة المختلفة.

والذي احب ان ابينه هنا هو اننا قد نزيد درجة الاحباط عندنا اذا طبقنا نظام انتقاء الطفل المتفوق في الكويت. طبعا بالخلفية الاجتماعية الموجودة بالعلاقات الاجتماعية ومجتمع ضيق فكل منا يعرف الاخر و بالتالي يشوب عملية انتقاء الطفل المتميز او الطفل المتفوق بعض المحاباة او بعض العلاقات الاجتماعية بحيث انها تسيء الى هذه المؤشرات . بالفعل احس انها مؤشرات علمية لكن بالفعل تطبيقها سيسبقه الواقع الاجتماعي. و بالتالي قد يضيف درجة من عدم الدقة في اختيار الطفل المتفوق و بالتالي يفسد البرنامج. وهذا سؤال مطروح للباحثين عن مجال او طريقة اختبار، نأخذ الواقع الاجتماعي في الكويت مثلا فقد يكون متميزا عن بقية الدول العربية، وربما الدول المتقدمة التي تطبق هذا ويجب ان نرى الى أي مدى يمكن ان تخفي هذا او ان نتلافى هذا العامل الاجتماعي في الكويت.

د. سبيكة العبد الرزاق:

اشكر المشاركين في هذه الندوة على ملاحظاتهم وعلى اثرائهم للموضوع . طبعا هناك كثير من الاسئلة التي طرحت وكثير من النقاط التي اثارها الاخوة والاخوات المشاركون، ولا اعتقد ان لدينا الوقت الكافي ليجيب عليها المحاضر كلها وهناك فرصة للدكتور رجاء والدكتور بدر للتعقيب بصورة موجزة.

د. رجاء ابو علام:

بالنسبة للدكتور محمد عودة تكلم عن عملية التحكم في الوراثة ولا اعرف اذا لم

يقدنا هذا الى عمليات عنصرية ونبدأ من الجنس الاسمى. الافضل اذن ان نركز على التربية وعلى الثقافة وهما الشيء الموجود في ايدينا في الحقيقة. وهو الافضل وهو الاكبر هنا. الوراثة نتركها في دورها الطبيعي على الاقل اذا كانت تعني عدم وجود امراض وعاهات بين الازواج ولكن هذا ليس عملية انتقاء لمن ذكاؤه افضل، اعتقد ان ضررها اكثر من نفعها، بالنسبة للدكتور قاسم الصراف اعتقد انا لم اقل الخمسة الاوائل في كل فصل وانما قلت اعلى خمسة بالمئة بين الطلبة يعني لو عندنا ١٠٠ الف نأخذ اعلى ٥٪ من ١٠٠ الف والخمسة العليا في كل صف تعتبر عملية كبيرة جدا.
بالنسبة للدكتور اسامة لا اعتقد ان تعدد المعايير يوجب اعطاء وزن نسبي لكل معيار على انفراد نحن نبدأ بالذكاء وبعد ذلك نأخذ معيارا اخر للتحصيل. العملية لو عندنا دال اثنين مثلا مجموعتان، التقاء المجموعتين او تقاطع المجموعتين يعطينا المجموعة الصغرى التي يوجد فيها الاذكياء ذوو التحصيل العالي. نتكلم عن الابتكار ايضا سيعطينا تقاطعاً اخر هي عملية ليست تطبيق أوارساء للمعايير ولكن استبعاد من لا تنطبق عليهم كل معايير المجتمع. بالنسبة للقضية الاجتماعية هي في الحقيقة اقل المعايير انما الاربعة الاولى هي المعايير الاساسية ولو رجعنا للنقطة الاولى التي تكلمت عنها والتشتت الكبير في الذكاء من ١٣٠ الى ١٨٠ هنا يعطينا المجموعات التي يمكن ان تأخذ القيادة الاجتماعية من المجموعات الاقل ذكاء من المتفوقين. وهذا يبين أنّ الابتكار اكثر في النسب العالية للذكاء.

بالنسبة للدكتورة فريدة العلاقي الذي اقصده بالنسبة للمهنيين هم المدرسون ــ اساتذة الجامعة الاطباء ــ المهندسون والواقع انا لا اقصد ان المتفوقين يقتصرون على هؤلاء ولكن نلاحظ لو قارنا المجموعتين ان نسبة المتفوقين بين ابناء هؤلاء هي اعلى منها بين ابناء غيرهم ولكنها غير محصورة بأي طبقة من طبقات المجتمع ولا بأي فئة من الفئات.

وبالنسبة لايجاد برنامج للرعاية لا ارى حقيقة بأننا نكتشف التفوق على اساس معايير موضوعية.

اخر تعليق لي يدور حول انتقاء المتفوقين اذا طبقنا المعايير بصدق و بنوع من الدقة وعدم التجاوز فاذن لا يوجد تخوف من ان اختار فردا واضعه بين فئة ثم ينظر الى نفسه ويجد نفسه ضائعاً. اذا اخترنا شخصا لابد ان يكون قادرا على القيام بما يطلب منه في مجال المعاينة.

د. بدر العمر:

بالنسبة للدكتور قاسم الصراف في الواقع كان متخوفا من قضية التحصيل، في الواقع ان ما يبنى على خطأ فهو خطأ. يجب اولا ان نضمن طريقة تقديم المعلومات بشكل جيد وايضا طريقة اختبارنا للمعلومات يجب ان تكون جيدة.

تساؤل الدكتور اسامة كيف نسخر هذا الطالب المتفوق ليخدم المجتمع؟ في الواقع بمجرد ان يشعر الطالب المتفوق انه يعيش في مجتمع يتفهم قدراته فلن تكون هناك مشكلة. ولكن الخوف ــ ومثل ما اشار الدكتور رجاء ــ هو ــ في كون عدم توافق المتفوق ناتجا من عدم تفهم المجتمع لمشكلاته فهذا هو العنصر الذي يدعو الى الانسحاب والاضجار. ذكرت الدكتورة فريدة اننا عقدنا المسألة ونزلنا الى الرعاية في مرحلة الروضة.

في الواقع انا لم اقل رعاية وانما قلت هناك مؤشرات تدل على ان الطالب المتفوق قد تبدو بذوره في بعض الملامح في الرياض. و يجب ان نلاحظها على الاقل بأن نضع اعيننا عليه حتى يدخل المدرسة الابتدائية. رجوعا الى الدكتور اسامة حول هل الطالب متوافق او غير متوافق يبدو ان هناك نوعا من التعارض في الواقع، كلامي هذا عن مرحلة الروضة وكلام الدكتور رجاء عن المرحلة الابتدائية. وفي الواقع لكل مرحلة من المراحل خصائص نمائية من نوع معين. الطالب في مرحلة الرياض لم يصبح اجتماعيا بشكل عام لكن لديه صداقات. لذلك نجد الطالب يبدو عليه التفوق في نوع من العزلة لكن المرحلة الابتدائية هي المرحلة التي تبدأ فيها الرعاية الاجتماعية.

د. سبيكة العبد الرزاق:

اشكر الجميع على اثرائهم للموضوع وارجو ان تقود هذه البادرة التي تنطلق منها الجمعية الكويتية لتقدم الطفولة العربية الى الخروج من موضوع دراسة وضع الطفل المتفوق في العالم العربي الى اعداد البرامج التي سترعى الطفل العربي والطفل المتفوق العربي في عالمنا وشكرا.

لعب الأطفال ..

بين التعليم ومضيعة الوقت*

*هذا هو موضوع الندوة الخامسة من ندوات الموسم العلمي الثاني للجمعية (١٩٨٤ ــ ١٩٨٥) وقد عقدت بتاريخ ٢٦ آذار (مارس) ١٩٨٥.

لعب الأطفال ..

بين التعليم ومضيعة الوقت

رئيس الندوة : الدكتور عدنان شهاب الدين
مدير عام معهد الكويت للأبحاث العلمية

المتحدث الرئيسي : السيد كمال خير الله

المعقب : الدكتورة فيولا البلاوي
كلية التربية - جامعة الكويت

المشاركون في الندوة : ـ الاستاذ انور النوري

رئيس مجلس ادارة بنك الكويت الصناعي

الدكتور احمد بستان	جامعة الكويت
الدكتور احمد عبد الله	جامعة الكويت
الدكتور بدر العمر	جامعة الكويت
الدكتور قاسم الصراف	جامعة الكويت
الدكتورة معصومة المبارك	جامعة الكويت
الدكتور وليد الشريف	منظمة الدول العربية المنتجة للنفط (اوابيك)
السيدة فاطمة نذر	معهد التربية للمعلمات
السيدة فوزية الهادي	معهد التربية للمعلمات

لعب الأطفال ..

بين التعليم ومضيعة الوقت

بقلم : السيد كمال خير الله

موضوع هذه الندوة يربط بين ثلاثة عناصر هي:

ـ الاطفال و وسائل الترفيه.
ـ اللعب و وسائل الترفيه.
ـ مضيعة الوقت والتعلم.

سوف نفصل مفهومنا لهذه العناصر ليكون توطئه لنقاشها والوصول الى التوازن المطلوب في ربطها ببعضها البعض.

بالنسبة لعنصر الاطفال، فاننا نأخذه بالمعنى الواسع والشامل سواء من ناحية العمر (من سنة الى عشر سنوات) او التواجد (البيت، المدرسة، الحدائق والملاهي العامة) او من ناحية تفاعله مع اهله ومدرسيه واترابه.

بالنسبة لعنصر الالعاب و وسائل الترفيه فنحن نفهمها بالمعنى التام لتتضمن:
الالعاب التقليدية (سيارات، اشخاص، اسلحة).
الالعاب الرياضية.
الالعاب الموسيقية.
الالعاب العلمية (كرة ارضية، مجهر، تجارب كيميائية).
الالعاب الالكترونية (كمبيوتر شخصي والعاب الكترونية).
كتب.

ادوات مدرسية ووسائل تعليمية.
غيرها.
كما نفهم تواجد هذه الالعاب والوسائل في البيت المدرسة الملعب والاماكن العامة.

العنصر الثالث هو عبارة (مضيعة الوقت) والتعلم. وهنا لا يسعنا الا ان نوضح مدى النسبية في تفسير هذه الكلمات. اذ ما قد يعتبره البعض مضيعة وقت وعبثاً، قد يعتبره آخرون تعلماً.

لا بل يمكننا ان نذهب الى ابعد من ذلك فنوضح كيف ان ما قد يعتبره الكل تعلماً قد يختلفون في تقييم ايجابيته او سلبيته.

من خلال تحديدنا اعلاه لعناصر موضوعنا تبرز مباشرة اسئلة عامة تتطلب جوابا عليها.

ـ ما هي الحدود بين ما يمكن ان نسميه لعباً او تعلماً.

ـ ايجب تعريض الطفل للالعاب الجادة فقط ؟ اي هل يجب ان تكون جميع لعبه هادفة وجدية؟

ـ اذا طالبنا بجدية اللعبة، فمن هو المسؤول؟ الطفل، المدرسة، الوالدان، الدولة؟ ام المنتج.

ـ ما هو وضعنا في الكويت والعالم العربي بالنسبة لهذه المطالبة؟

لا شك ان التقدم التقني في علم التصنيع ووسائل الاتصال الحديثة والفهم العالمي للسعي وراء الافكار الجدية التجارية، كل هذه العوامل قد ظهرت في صناعة اللعبة التوازى في تقدمها وفذلكتها مع كافة الصناعات الاخرى.

النتيجة المباشرة لهذه الظاهرة هي ان اللعبة اصبحت متطورة الى حد اضمحلت معه، أو كادت، الحدود بين ما يمكن ان نسميه لعبة او اداة تعليمية حقيقية. الامثلة على ذلك عديدة نورد بعضها:

- العاب الادوات الرياضية والموسيقية.
- الادوات الالكترونية (راديوات وساعات وسيارات موجهة لاسلكياً).
- كتب التعليم التقليدية والكتب الجديدة التي تسمح بتلوينها وتمزيقها واللصق عليها وثنيها وسماع الموسيقى من خلالها او قراءتها بالتوافق مع اشرطة تسجيل.
- الكمبيوتر كجهاز جاد وكجهاز شخصي في البيت للعب الفيديو او البرمجة البسيطة او وسيلة تعلم او كحلقة وصل لتعويد الطفل على الآلة.
- الالعاب والادوات العلمية كالمجهر والكرة الارضية وادوات التجارب الكيميائية.
- النماذج (محرك سيارة يعمل فعليا او محرك للإعلانات الضوئية).

ما نهدف اليه في عرضنا هذا هو اظهار الاوجه العديدة التي يمكننا ان نراها في الالعاب. بمعنى اخر يمكن للأب ان يعطي طفله ساعة يد على انها لعبة ارقامها كبيرة وملونة وعقاربها على شكل يد انسان ولكن فيها الدافع الكافي للطفل ليتقبل و يتعلم منها فكرة الوقت وقياسه، او قد يقدم المعلم للتلميذ المجهر على انه لعبة و يثير اهتمامه به الى حد كاف يدفعه الى فهم فكرة العدسة والتكبير والبحث عن اكثر مما هو ظاهر في الاشياء.

السؤال الذي لم نجب عليه للآن .. هل هذه الالعاب وسائل للترفيه وتضييع الوقت ام للتعلم؟

برأيي، كلاهما معاً. لان احدهما لا ينفي، بالضرورة، الآخر.

لا شك بأن بعض الالعاب متفق على انها اكثر جدية من غيرها ولكن كل لعبة واية لعبة ابتداء من اشكالها البسيطة (مثلا البيلة) وانتهاء بالمذلك منها (مثل الكمبيوتر) يمكن ان تكون هادفة او عابثة. هذه الصفات ليست من خاصية اللعبة فقط هي ايضا من خاصية مستعملها وموجهها اي الطفل والاهل او المدرسة.

لتوضيح هذا الرأي نورد مثلين:
مثل الطفل الذي يأتي له اهله بكمبيوتر منزلي و يترك لوحده معه فيفهمه على انه علبة لا غير فيفككها و يكسرها و يفرح باجزائها الغريبة وتنتهي التجربة عند هذا الحد.

والمثل الثاني مثل المدرس الذي يعطي تلميذه قلم تلوين و يوضح له كيفية استعماله سواء من حيث تمكن اصابع اليد من القلم او من حيث تنوع الالوان واستغلال هذا التنوع او من جهة الكتابة او الرسم او غيرهما. تجربة غنية من خلال واسطة بسيطة شبه بدائية وغير مكلفة.

المقارنة بين هذين المثلين توضح ان تصنيف اللعب ما بين جاد ومضيعة للوقت ليس مسؤولية اللعبة وحدها بل يشترك في تحملها الطفل والموجه والمصنع. الا اننا نرى ان المسؤولية الاساسية تقع على الموجه (الاهل، المدرسة) اذ اننا نفترض انهم في وضع افضل لتفهم هذه الناحية وتوجيهها الوجهة الصحيحة اكثر من الطفل او من المصنع.

قبل ان نبتعد كثيرا في تعميمنا هذا ربما وجب علينا ان نسأل انفسنا اولا اذا كانت الجدية ضرورية في اللعبة؟ برأينا نعم ولكن ليس بشكل مطلق.

فالعاب الاطفال كوسيلة جدية وفعالة للتعلم هي ضرورة وامر لا يجوز التغاضي عنه. اذ ان اهم عائق عند المدرس في اي مادة كانت هو التعبير او التوضيح او ايجاد الوسائل السمعية البصرية لتبيان مقصده ولتوصيل رسالته الى الطالب (طفلا كان ام

بالغا)، ان الذين تعاطوا منا مهنة التعليم، خاصة تعليم الاطفال، يدركون مدى الحاجة الى مثل هذه الواسطة. العاب الاطفال (بالمعنى الشمولي) على تنوعها وسهولة الحصول عليها تمثل منبعا لا ينضب لمثل هذه الواسطة التي لها مفعول مضاعف عند الصغار اكثر من الكبار. الامثلة على ما نقول كثيرة منها:

— الخارطة او الكرة الارضية في دروس الجغرافيا.
— اجزاء جسم الانسان من جمجمة وهيكل عظمي في علم الحياة (البيولوجيا).
— الكمبيوتر الشخصي لتعليم اللفظ ، التهجئة، ارتباط المعنى بالصورة، وكذلك في تعليم الحساب.
— الادوات العلمية البسيطة من مغناطيس الى الاجهزة الكيمائية.
— الاشكال الهندسية من خشبية الى حديدية الى بلاستيكية.

ولكن، بقدر ما نود ان تكون جميع تجارب وخبرات وتعليم الطفل موجهة لما يتفق عليه بانه جدي، الا اننا لا يمكن ان ننسى قيمة اللهو والترفيه من اجل اللهو والترفيه بحد ذاته فكلنا، اطفالا و بالغين، نحتاج الى نوع من الهرب او الانقلاب الفكري اوالنفسي الذي هو غاية في ذاته وليست له اهداف ملزمة.

هنالك توازن بين هذه النزعة الى العبثية وتلك النزعة الى الجدية، توازن اذا توصلنا اليه يكون هو الخميرة الصحيحة لنشوء طبيعي وصحي عند الطفل. لا ادعي بأني اعرف حدود هذا التوازن كما لا يوجد اي اتفاق عالمي على مقاييسه،جل ما نستطيع قوله هو اننا لا نرى اطفالا ينشأون على ان لا يفعلوا شيئاً الا اذا كان جديا او هادفا كما لا نرى اطفالا لا ينشأون دون حد ادنى من التوجيه والتشذيب.

ومن اجل وضع الامور في حجمها الحقيقي يجب ان نعيد الى الاذهان ان لعب الاطفال ليست العنصر الوحيد المؤثر في كلتا الحالتين ولكنها من العناصر التي اخذت تلعب دورا اكبر في عصرنا هذا بسبب ما تقدمنا به من شيوع انواعها وتنوعها وسهولة

الحصول عليها. فهي وسيلة هائلة وفعالة لتدعيم التعلم الكلاسيكي الذي يتلقاه الطفل في المدرسة والتوجيه الذي يتلقاه عادة في البيت ومحيطه.

نحن اذن ندعو الى توعية المدرسة والبيت بمفهوم اللعبة كعنصر مساعد فعال في تنمية الطفل لا يمكننا ولا يجوز ان نتغاضى عنه، بالاضافة الى فهمنا لها كوسيلة للعب واللهو.

ما هو وضعنا في الكويت بالنسبة لهذه المطالبة؟

الالعاب ووسائل الترفيه تتوفر في الكويت بجميع اشكالها والوانها ومصادرها والفضل بذلك يعود الى نظام التجارة والاستيراد الحر والى البحبوحة المادية النسبية لدى المستهلك مما خلق طلبا عليها. كما ان اللعبة شائعة في البيت والمدرسة والحديقة العامة وغيرها. ومما يزيد من شيوعها ان معظم التسلية يقع داخل البيت لا خارجه لذا فإن اللعبة تصبح نوعا من المكافأة او التعويض عن الوضع، وهذا الوضع ينطبق الى حد كبير على المدارس. على انه لا يسعنا الا ان نلفت النظر الى تطورات ايجابية كثيرة في هذا الشأن مثل الوعي والقناعة، عند المدارس عامة ورياض الاطفال خاصة بقيمة اللعبة الموجهة او اللعبة التربوية فقلما تخلو روضة من رياض الاطفال من حد ادنى من الالعاب وان كانت اكثريتها الساحقة رياضية.

كذلك ترعى الدولة منذ فترة، معرضا سنويا لكتب والعاب الاطفال يحاول القائمون بامره ان يعطوه مسحة من الجدية والمهنية بعيدا عن المنحى التجاري ولقد نجحوا في ذلك الى حد بعيد خاصة في محاولتهم القيمة انتقاء قدر معين من الالعاب التربوية والجدية ومن ثم ابرازها في المعرض في مكان واضح وخاص بحيث تكون دعوة الى المواطن لاقتنائها والاستفادة منها بعيدا عن المنحى الدعائي الذي قد يطغى على تقييم مورّد اوتاجر العاب معين. وهذا عمل ايجابي بناء.

كذلك اخذت الدولة تلتفت مؤخراً الى لعبة الطفل من ناحية اخرى وهي كونها آمنة صناعة وفكرة ونوعية. فلقد كونت لجنة في العام الماضي هدفها وضع اسس للتقييم الصحيح للالعاب تصبح فيما بعد ضوابط وموجهاً لاستيراد اللعبة الى الكويت.

تعقيب
الدكتورة فيولا الببلاوي

تتناول الورقة التي بين ايدينا موضوع لعب الاطفال ووسائل الترفيه وقد حددت الورقة دور (اللعبة) كوسيلة للترفيه وكوسيلة للتعليم ايضا من جانب آخر.. ونشكر الباحث لاثارة هذه النقاط التي تحتاج الى القاء مزيد من الضوء عليها لاهميتها بالنسبة للطفل والمهتمين بعالم الطفولة.

اللعب من طبيعة الطفولة ذاتها، فيه طفولة الطفل وفيه ايضا عالمها وركائز نموها فاللعب هو نشاط غايته اللذة والسرور فيه يستشعر الطفل بهجة طفولته.

فاللعب قد نربطه بأي نشاط يمارسه الفرد لكي يبعث في نفسه البهجة والسرور، ووفقا لذلك فقد نفهم اللعب على انه نشاط هدفه اللهو واستهلاك الوقت والجهد.. وكذلك قد نفهم اللعب على انه يختلف عن العمل الحقيقي الذي هو نشاط موجه نحو غاية محددة يقوم به الفرد.

بل ان اطفالنا كثيرا ما يفرقون بين العمل واللعب على اساس الشروط الخارجية فالعمل بالنسبة للطفل هو العمل المدرسي اساساً، او قد يعني احيانا ما يكلف به من اعمال منزلية ـــ بينما يعني اللعب اي شيء آخر يبعث على اللهو. وغالباً ما يفهم الاطفال ـــ ونشجعهم نحن الكبار بأن العمل نشاط جاد بينما اللعب مضيعة للوقت.

اللعب وقضاء وقت الفراغ:

هذه النقطة تحتاج الى نقاش.. اذا انطلقنا من ان اللعب هو من طبيعة الطفولة وهو حاجة من الحاجات التي تتطلب اشباعاً فهو يشكل النشاط المسيطر والاساسي للطفل والذي يحتل معظم وقت الطفل وخاصة في مراحل الطفولة المبكرة .. ونفهم

ايضا من النشاط المسيطر أنه النشاط الذي تنمو من خلاله شخصية الطفل في جوانبها المختلفة و بالتالي لا ينطبق على لعب الاطفال القول انه نشاط لقضاء وقت الفراغ او للراحة من العناء او اللهو وانما هو النشاط الطبيعي التلقائي الذي يجب ان يمارسه الطفل و ينمو من خلاله و يتكيف مع البيئة المحيطة به .

ومع نمو الطفل والتحاقه بالمدرسة يتناقص نسبياً الوقت الذي يقضيه في اللعب بسبب انخراطه في الاعباء المدرسية الجديدة وما يتبعها من التزامات حتى يصبح اللعب بالتدريج النشاط الثانوي او يجب ان يكون هكذا و يصبح نشاطاً لقضاء وقت الفراغ بعد أداء الواجبات المدرسية التي بدورها تشكل النشاط الاساسي في مراحل الدراسة.

وعلى هذا فاللعب في حياة الطفل يحمل نفس الاهمية التي ينطوي عليها العمل في حياة الكبار، وتؤكد البحوث النفسية والتربوية على التأثير البالغ للعب في تشكيل شخصية الطفل.

علموهم ان يفهموا اللعب على معناه وانتم في غنى بعد ذلك عن تعليمهم معنى الجد وتعليمهم معنى الحياة (العقاد).

فاللعب اذن هو نمو الطفل.. لانه يتضمن تلك المثيرات الباعثة على تكوين قدراته وخصائص شخصيته .

فمن الناحية الجسمية الفسيولوجية يؤدي اللعب دورا اساسيا في تنمية عضلات الطفل على نحو سليم، وكذلك يستخدم نشاط اللعب كمتنفس للطاقة الزائدة التي اذا احتسبت تجعل الطفل متوتراً عصبيا.. ومن خلال اللعب ايضا تتكون لدى الطفل اتجاهات معينة نحو كيانه الجسمي النامي و يستعد لمهارات حركية مختلفة.. الخ مما يعرف بمفهوم الذات الجسمية.

وفيما يتعلق بالنواحي الانفعالية والاجتماعية يؤدي اللعب دوراً بناءً في نضج

الطفل الاجتماعي واتزانه الانفعالي. فاذا كان الطفل في بداية حياته متمركزا حول ذاته فان انخراطه في انشطة اللعب الجماعي يجعله يتخفف من هذه النزعة فيرتبط بالجماعة و يتقاسم معها الادوار، علاوة على هذا يتعلم الطفل من خلال اللعب الحر خارج حدود المدرسة مع الجماعة معايير السلوك الاجتماعي فهو يكتسب بالتدريج القدرة على التنظيم الواعي لسلوكه وفقا للمعايير المرغوبة اجتماعيا.

اللعب قيمة تعليمية عقلية

اللعب شكل رئيسي من نشاط الطفل تنمو من خلاله الجوانب العقلية المختلفة ولكن هذه الخصائص لا تنمو تلقائيا لمجرد ان الطفل يلعب فهو في الحقيقة يستوعب الكثير من الخبرات من خلال المحاكاة المباشرة. وهذه الخبرات التي يكتسبها الفرد بطريقة تلقائية ذات قيمة تربوية عظيمة فهي تنمي حب الاستطلاع والشغف والفاعلية، والتزود بانطباعات عديدة عن العالم المحيط به، والثراء الحسي.

ولكن لا يجب ان نبالغ في تقدير قيمة هذه الخبرات القائمة في معظمها على اساس المحاولة والخطأ.. فاللعب في حد ذاته لا ينطوي على قيمة تربوية عقلية الا اذا امكن تنظيمه وتوجيهه وفقا لاهداف تربوية، تضع في الاعتبار خصائص نمو الطفل ومقومات تشكيل شخصيته، و يتضح ذلك من نتائج سلسلة من الدراسات التجريبية اجريت على اطفال من سن ٥ ــ ٨ سنوات في انجلترا شملت ١٨ مدرسة ابتدائية وروضة منها ست مدارس تجريبية تقوم على اساس استخدام نشاط اللعب كأساس وطريقة للتعليم و ١٢ مدرسة (مجموعة ضابطة)، وقد كشفت نتائج مجموعة المدارس التجريبية عن مستويات متقدمة للنمو مقارنة بالمستويات الاولى في مجموعة المدارس الضابطة.. ومن هذه الجوانب النمائية:ــ

ــ نمو مهارة جمع الاشياء بحرص لكي يجعل الطفل منها شيئاً تعبيريا مثيرا للاهتمام.
ــ الرسم والتعبير الحر عما يراود الطفل من افكار.
ــ نمو مهارة الاجابة المنظمة على الاسئلة.
ــ القدرة على توجيه وتركيز الانتباه في المشكلات التي تواجه الفرد.

ـ الانتظام في انجاز الاعمال والواجبات المطلوبة.
ـ زيادة الحصيلة اللغوية والقدرة على التعبير عن موضوعات معينة.

علاوة على هذا تؤكد الكثير من الدراسات والبحوث على اهمية تنظيم انشطة اللعب على اساس مبادئ التعلم القائم على حل المشكلات في تنمية الابتكار عند الاطفال كما ان هناك الاطفال الذين يتجلى في كثير من اشكال لعبهم ما يعرف باللعب الايهامي الذي يمكن توظيفه في تعليم الاطفال السلوك الابتكاري.

اللعب كعلاج:

من جانب اخر اللعب علاج للطفل فهو بحاجة الى التخفيف من المخاوف والتوترات التي تخلقها الضغوط المفروضة عليه في بيئته والاساليب غير الرشيدة في تربية الاطفال ومن الطرق الفعالة للعلاج النفسي في هذا المجال العلاج باللعب.. وكذلك يستخدم اللعب كمدخل للتشخيص الاكلينيكي وطريقة لدراسة شخصية الطفل ففي اللعب يكون الطفل على سجيته وتتكشف تلقائياً رغباته المكبوتة واتجاهاته.. وهنا يمكن تبين مصدر العلة.

وفي النهاية للعب الصغار قيمة بالنسبة للكبار.. فالطفل السوي في مقابل الطفل المشكل دالة بدرجة كبيرة لحياة الكبار مع الصغار ولاسلوبهم في تنشئتهم وتوجيه نموهم ومن هنا يستطيع الاباء ان يعيدوا النظر في فهمهم لاطفالهم من خلال تبصرهم باتجاهاتهم نحو ابنائهم.

ومن ناحية اخرى من خلال اللعب يمكن تكشف مواهب الطفل ورعايتها في سن مبكرة.

انواع اللعب ووسائل الترفيه:ـ

اشار الباحث الى انواع اللعب ووسائل الترفيه وارجو ان اوضح ان انشطة اللعب

تتنوع، وتتنوع ايضا الادوات المستخدمة كلعب Toys بل ان نفس اللعب تستخدم باشكال مختلفة ارتباطا بالمرحلة العمرية التي يمر فيها الطفل و يتنوع النشاط الذي يقوم به الطفل فالمكعبات مثلا يستخدمها الطفل كأدوات لعب ايهامي كما تستخدم كذلك كأدوات في الالعاب التركيبية البنائية.

١ ــ الالعاب التلقائية:

وهي تتمثل في الاشكال الاولية البسيطة من اللعب و يوضح هذا النموذج الالعاب ذات القواعد المنظمة .. و يتميز هذا النوع من الالعاب بأنه انفرادي استقصائي فيه يجد الطفل مهمة عارمة من استثارة الحس و يأخذ في اكتشاف الاشياء المختلفة في مجاله الحسي، وهنا تستخدم انواع اللعب البسيطة جدا المثيرة لاعضاء الحس كالمكعبات والدمى البلاستيكية... الخ.

٢ ــ الالعاب الايهامية:

وهي شكل شائع من اللعب في الطفولة المبكرة من ٣ ــ ٥ سنوات فيه يتعامل الطفل من خلال اللغة مع المواد او الوقت، كما لو انها تحمل خصائص اكثر مما تتصف به في الواقع.. وهذا اللعب يحقق وظائف كثيرة في حياة الطفل منها تنمية قدرة الطفل على تجاوز حدود الواقع وكذلك تنمية قدرته على تحقيق رغباته بطريقة تعويضية.

و يستخدم الطفل في هذا اللعب انواعاً مختلفة من ادوات اللعب حسب المواقف الايهامية وما تتطلبه من لعب وادوات. و ينمو هذا النوع من اللعب مع تطور نمو الطفل ليصبح تمثيلا واقعيا و يتضح هذا في النشاط المنظم للتمثيل المدرسي، وهناك دعوة تربوية تنادي بمسرحة المناهج المدرسية من اجل الافادة من المضمون النفسي للعب بالادوار وتوظيفه في استيعاب افضل، يرجى منه نمو الطفل ككل. وقد تأكد دور هذا النوع من اللعب في تنمية الحصيلة الكلامية والقدرة على التعبير.

٣ ــ الالعاب التركيبية البنائية:

وهو يأخذ اشكالا مختلفة منها تشكيل الطين والبناء بالمكعبات وفي مراحله الاولى يكون هذا اللعب منسقاً مع اللعب الايهامي، ولكنه يأخذ اشكالا اكثر تطوراً وهذا النوع من اللعب يمكن ان ينمي مهارات الفرز والتصنيف ومعرفة خصائص الاشياء اذا ما وجه من قبل الوالدين والمربين.

٤ ــ الالعاب الفنية:

وهي الانشطة التعبيرية المختلفة كالرسم والزخرفة والتصوير والرقص والغناء والموسيقى، فهي انشطة تعبيرية فنية جمالية تنبع من الوجدان وتنمي التذوق الفني والاحساس بالجمال.

٥ ــ الالعاب الحركية الرياضية:

ومنها ما يشكل بعض الالعاب الشعبية التي تشيع في مرحلة ما قبل المدرسة في معظم الثقافات مثل (الليبدة) و (الثعلب فات) الى غير ذلك، وتنمو هذه الالعاب مع نمو الطفل وتستخدم فيها ادوات اللعب المختلفة ثم تطور الى الالعاب الرياضية المنظمة.. وغني عن التوضيح اهمية هذه الالعاب في الترويح وفي تنمية جوانب الشخصية المختلفة.

هذا من جانب ومن جانب آخر هناك وسائل الترفيه الأخرى كقضاء وقت الفراغ في مشاهدة التلفزيون والسينما والمسرح والقراءة الى غير ذلك مما لا يتسع المجال هنا لشرحه ولتوضيح خصائصه في مراحل النمو المختلفة.

اشار الباحث ايضاً الى الادوات المدرسية والوسائل التعليمية والكتب ورأينا في هذه الادوات انها تفيد التحصيل المدرسي اكثر من فائدتها في اللعب فهي تقصر الى

حد كبير عن المقصود باللعب على انه نشاط يهدف الى المتعة والبهجة وفك الارتباط بالاهداف والمساعدة القائمة على الاجتهاد والحيوية.

نوع اخر من العاب الاطفال لا نستطيع ان نتغاضى عنه هو العاب الفيديو فهي العاب من نتاج التكنولوجيا المعاصرة فمساحة اللعب هنا هي الشاشة الصغيرة بحدودها وما لها من تأثير على الاطفال.

وقد توصف هذه الالعاب باللعب العميق وفيه المراهنات والنزعة العالية الى احراز النصر .. ومازالت معلوماتنا عن تأثير هذه الالعاب على الاطفال لا تتعدى نتائج عدد قليل من البحوث التي اجريت في هذا المجال.

وقد اظهرت هذه البحوث ان هذه الالعاب على الرغم من قيمتها التعليمية وتنميتها للتفكير والانتباه والقدرة على حل المشكلات وكذلك اسهامها في التعلم الذاتي من خلال طبيعتها المبرمجه واسلوب التغذية الراجعة، الا انها وكما اظهرت نتائج البحوث لها مردود سلبي على الجانب الانفعالي فهي تزيد من توتر الطفل وما يصاحبه من مشكلات، علاوة على هذا فهي تؤدي الى التقيد الاجتماعي وتقليل التفاعل والاخذ والعطاء بين الاطفال.

بقي جانب اخير يتعلق بمعايير اختيار لعب الاطفال او بمعنى اخر كيف نوجه الطفل لكي يختار لعبه بما يعود عليه بأكبر متعة وفائدة فيها .. هذه المعايير ترتبط بسن الطفل فاللعب التي تناسب مرحلة عمرية، لا تستثير مرحلة عمرية اعلى، وكذلك اللعب التي تجذب الاناث من الاطفال تختلف عن اللعب التي يميل اليها الاولاد.

هذا الى جانب معيار الامن والسلامة في اختيار اللعبة فيجب ان نبتعد عن الاصباغ الضارة والالياف التي تؤدي الى الحساسية واللعب الصغيرة سهلة الابتلاع بالنسبة لصغار الاطفال، وكذلك اللعب ذات الحروف المعدنية التي تؤدي الى الاصابة.

أين يلعب الاطفال

وفي النهاية ما هي اتجاهاتنا نحو لعب الاطفال ككل ونحو شراء اللعب وكذلك نحو تنظيم البيت بما يسمح باستمتاع الطفل وانطلاقه في اللعب؟

والذي نريد ان نؤكده هنا هو ضرورة تخصيص اماكن للعب الطفل بما يتناسب ومرحلته العمرية.. و يرتبط هذا الجانب باتجاهات الكبار نحو لعب الاطفال فهل تخصص للاطفال في المنزل اماكن للعبهم حيث يشعرون بالحرية في استخدام لعبهم المختلفة.

من ناحية اخرى يحتاج الاطفال الى اماكن خارج المنزل للانطلاق واذا كانت موجودة فإلى أيّ حد يرتادها الوالدان مع أبنائهما حتى يشارِكاهم في لعبهم.

مناقشات

د. عدنان شهاب الدين:

نشكر د. فيولا البيلاوي على هذا التعقيب واضافاتها التي أثرت موضوع النقاش في هذه الندوة وكما تبين ان الحديث والتعقيب تناولا موضوعي اللعب والتعلم واحتياجات الاطفال وما يقترن بهما ودورهما في توجيه شخصية الطفل وتوجهاته المستقبلية. وغرس القيم الاجتماعية التي يتبناها نتيجة اللعب ووسائله. ونفتح الآن الباب للمداخلات والحوار:

الاستاذ/ انور النوري:

انطلاقاً من اهتمام الجمعية بالطفولة بشكل عام، نود التعرف على المجهودات التي بذلت او التي يجب ان تبذل في العالم العربي لكي تجعل لعبة الطفل ميسرة للجمهرة من الاطفال العرب في مختلف الاماكن وخاصة المحرومين منها. والسؤال الثاني ما هو تأثير كثرة الالعاب على الطفل؟ هل هناك تأثير عكسي غير تربوي مثلا؟

د. قاسم الصراف:

البحث والتعقيب يثيران مجموعة من التساؤلات حول المواضيع التي اثيرت في النقاش، ولدي مجموعة من التساؤلات. اول سؤالين للسيد كمال خير الله:

١ ــ ما هي الشروط الواجب توفرها في اللعبة حتى تكون تربوية؟

٢ ــ ما هو المدى الذي يجب ان نضعه لامداد الطفل باللعب كما وكيفاً؟

٣ ــ وهذا السؤال موجه للدكتورة فيولا، هل للنشاط المسيطر في كل مرحلة نمائية كدافع من دوافع النمو علاقة بالثقافة الاجتماعية، واذا كان ذلك فهل اللعبة اداة للاغتراب الثقافي، خاصة في الكويت حيث الالعاب مستوردة، واذا ذكرنا المرحلة الايهامية فهل الشخصيات تعبر عن معطيات ثقافية معينة في مخيلة الطفل؟

كمال خير الله:

برأيي ان كل الالعاب تربوية مهما كانت، ولو ان هناك بعض الالعاب تفرز دورها تربوياً اكثر من غيرها.. اما عن اعداد الطفل فان توجيهه لكي يستخلص شيئاً من اللعبة هو بحد ذاته اعداد ولا دخل لكبر او صغر اللعبة في هذا المجال ولكن العبء الاساسي يقع على الاهل.

اما من حيث كثرة الالعاب فهي ليست متوافرة بالتأكيد لجميع الاطفال في العالم العربي شأنها شأن كثير من الاشياء غير المتاحة للجميع. اما عن كثرة الالعاب فقد اصبحت ظاهرة طبيعية في كثير من البيوت وارى انه يمكن مقايضة الالعاب ومبادلتها والمبادرة الى توزيع الفائض من الالعاب غير المرغوب فيها لدى البعض الى بعض الجهات العربية التي ليس لديها أساساً اية فكرة عن اللعب والالعاب.

د. عدنان شهاب الدين:

اعتقد ان هذه فكرة يمكن تطويرها بدراسة متعمقة اكثر.

د. فيولا البلاوي:

اشكر د. قاسم على هذا السؤال عن علاقة نشاط اللعب بالثقافة الاجتماعية. في فترة من الفترات وضع عالم نفسي مطالب نمو لكل مرحلة نمائية وذكر ان هذه المطالب لها مصادر اساسية هي:

الفرد او الطفل والضغوط الاجتماعية وبمعنى اخر توقعات الراشدين من الطفل. فمثلا اقول ان النشاط الذي يجب ان يحل محل اللعب في سن السادسة هو نشاط المدرسة بتبعاتها الاجتماعية.

ولكن في الجهات التي لا تعتبر التعليم الزامياً فهذا لا يعتبر نشاطاً مسيطرا حيث يخرج الابناء مع آبائهم الى الحقل في هذه السن. اذن

فالنظرة الثقافية لحاجة الاطفال للعب والنشاط المسيطر تختلف قطعا من بيئة اجتماعية لاخرى.

اما بالنسبة للسؤال الثاني عما اذا كانت الالعاب المستوردة اداة للاغتراب الثقافي والى اي مدى يصدق ذلك. فالواقع ان البيئة نفسها تساعد اما ان يكون هناك اغتراب ثقافي او لا يكون وهنا لابد من الاستفسار عن حدود الاغتراب الثقافي.. صحيح اننا نستورد الالعاب من الخارج، ولكنها اصبحت جزءا من الحياة التي نعيشها. بالنسبة لتأثير كثرة شراء اللعب على الاطفال فهو يرتبط بموضوع عام هو اتجاهات الاباء في تربية الاطفال.. ومدى شراء اللعب للاطفال؟ وهل اللعب وسيلة للمباهاة بين الاطفال او هي شكل من اشكال التدليل ؟ اعتقد ان الوفرة المالية تؤدي كثيرا الى تسكين الاطفال بالالعاب ولكنها قد لا تؤدي هذا الدور، واحيانا يغرس شراء اللعب قيماً معينة في الاطفال و يرتبط عموما بموضوع التربية عامة.

د. عدنان شهات الدين:

اعتقد ان الكم مسألة نسبية وهو يختلف من مجتمع لآخر حسب امكانات المجتمع الاقتصادية.. ولكن اعتقد ان الكيفية هي المهمة هنا.

د. ليلى حبيب:

الاستاذ كمال خير الله بحكم وظيفتك، ما هو دورك في انتقاء لعب الاطفال التي ترد للكويت، وهل هناك لجنة لديكم للانتقاء، وسؤالي ينبع من ان هناك العابا لها سلبيات اكثر من الايجابيات وليس كل ام لديها الوقت لاصطحاب اطفالها لشراء الالعاب؟

د. بدر العمر:

اشكر الباحث والمعقبة، واقول انه قد لفت نظري مجموعة من الثنائيات مثل

القول بأن التعلم سلبي وايجابي، العبثية والجدية، اللعب الحر او الموجه، فمن الذي وضع هذه المصطلحات؟ اعتقد انها وضعت لتفسير سلوك معين يقوم به الطفل من خلال ممارسة اللعب، وعندما نتحدث عن اللعبة نفترض ان هناك شيئاً اسمه (لا لعبة) وهذه مفارقة يجب ان نأخذ حذرنا منها، وهنا يجب ان نأخذ في الاعتبار المراحل العمرية، حيث لكل مرحلة خصائص معينة ونوع من التفاعل مع اللعب.. واللعب حياة الطفل. واعتقد ان المحاضر كان يقصد بموضوعه ممارسة اللعب في حد ذاته وليس اللعبة.. اؤكد هنا على اخذ الحذر من الجدية والعبثية التي قد لا تنطبق تماما على كل مرحلة.

الموضوع الآخر الذي اشارت له الدكتورة ليلى هو موضوع الاب وانا ابدي رأيي هنا بصراحة.. عندما اصطحب اطفالي الى معرض للالعاب اشعر انني دخلت غابة تفتقر للتنظيم وهي عبارة عن عامل رئيسي في تشتيت انتباه الطفل الى اللعبة التي يريد. نحن نعتقد ان الطفل لا يحسن انتقاء اللعبة، ولكنني اقول ان اللعبة هي ارتباط عاطفي بين الطفل و بينها،وارى ان كثرة الالعاب تطيح بهذه العلاقة، واعود للقضية الاساسية وهي ان لعب الاطفال ومحلات الالعاب لا تقوم بدور تربوي اينما كانت. فكل ما هو موجود يعتبر تكرارا للموجود تبعا للمحلات المختلفة.

من ناحية اخرى ليس لدى المورد نفسه ادراك تربوي للالعاب ولا يوجد في المحلات موجه تربوي لانتقاء اللعب. هناك اشياء تربوية كثيرة يجب ان نحتاط لها.

كمال خير الله:

في رأيي و بكل صراحة ان كل شركة تجارية هدفها هو الربح، و بنفس الوقت لا يجب ان يكون هذا هو الهدف الرئيسي.. فقليلا ما تجد او نادرا تجد ارتباط الناحية التربوية بمحلات الالعاب واذا سلمنا بهذا الهدف فان المورد سوف ينتقي الالعاب

الدارجة او التي لها سوق اكثر من غيرها.. وهناك بعض المؤسسات تعتبر مؤهلة اكثر من غيرها لاعطاء جانب تربوي للالعاب او لتقدم تشكيلة اكبر منها. ولكن المسؤولية الاولى تقع على الاهل فأنا ارى ان المستورد ليس من مسؤليته ان يوجه او يقوم بدور الاهل في انتقاء الالعاب.. وشخصيا حاولت ان اتخطى هذا الدور الا ان الظروف التجارية تحتم عكس ذلك.

د. عدنان شهاب الدين:

في اعتقادي انه بقدر ما يكون هناك ضغط من جانب الافراد يكون هناك استجابة من طرف الشركات المختلفة نتيجة الاحساس بأهمية الموضوع، فقد حصل ضغط من الاهالي في اميركا على بعض الشركات لسحب انواع معينة من الالعاب من السوق وحصل هذا فعلا. فالعملية مشتركة بين الشركات والافراد.

د. احمد بستان:

تحدث الاستاذ كمال عن تشكيل لجنة ونود ان يوضح لنا الهدف منها وهل هي على اساس تجاري: اما الموضوع التربوي فاعتقد ان رياض الاطفال تشتري كميات كبيرة من الالعاب فهل هناك مواصفات معينة لها وهل الشركات تلبي الطلبات؟

د. معصومة المبارك:

المشكلة التي تواجهها كل ام هي انتقاء اللعبة الجيدة للطفل خاصة اذا ما حددت بعمر معين.. وحدث ان اخترت لعبة لطفل في الخامسة هي لـ Magic Box المعروف عنه انه يحرك قدرات الطفل العقلية وعندما وصلت اللعبة الى البيت حدث ان عرفت انها عبارة عن سباق بين الطفل ونفسه و يريد ان يكسرها من كثرة التوتر لديه .. فهذه بعض الالعاب المتوقع ان تزيد قدرة الطفل العقلية وغيرها تؤدي الى توتر ونتيجة معاكسة.

النقطة الاخرى فيما يتعلق بالالعاب التكنولوجية التي اكدت الدراسات المختلفة انها تزيد من انعزال الطفل وتقوقعه وتوتراته، فالى اي مدى وضعت الدراسات حول هذا الموضوع في العالم العربي؟

النقطة الثالثة وقد حاول الاستاذ كمال التخلص منها دبلوماسياً.. المعروف انه لكل مؤسسة هدف تجاري ولكن يجب عدم اهمال الناحية التربوية، لانها كمؤسسة كبيرة تقدر على اخذ استشارات تربوية مختلفة في مجال الالعاب.

د. وليد الشريف:

اود الاستفسار عن نسبة الالعاب المصنعة في الوطن العربي والتي تباع في البلاد العربية، وهل هناك اتجاهات لخلق صناعة لالعاب الاطفال بالنظر الى خطورة واهمية الموضوع. واستيراد الالعاب من دول تختلف في حضارتها وفي نظرتها للانسان ونموه. ونحن استثمارنا الاول والاخير هو استثمار الاجيال القادمة، لابد من التعرف على المشاكل الموجودة في الصناعة ذاتها.

السؤال الاخر لدكتورة فيولا عن موضوع تكنولوجيا الالعاب فهل هناك سن معينة يمكن ان تبدأ فيها هذه الالعاب؟

د. عدنان شهاب الدين:

اعتقد انه مهما قلنا فطبيعة الطفل والبيئة تملي اللعبة التي يجب اختيارها.. اي ان هذا الاختيار يختلف من بيئة لاخرى.

كمال خير الله:

اللجنة هي حكومية وقد صدر بها قرار ولكن لم يحدد دورها بالتفصيل، ولكن

اعتقد ان دورها بحث مدى ملاءمة اللعبة لبيئة البلد وما اذا كان فيها امان او سلامة. اما بالنسبة لرياض الاطفال فالكل يستعملون كلمة الالعاب التربوية ولكن الحقيقة اعود الى رأيي انه لا يجوز تعريف اللعبة اذا كانت تربوية او غيرتربوية فكل لعبة ينطبق عليها انها تربوية وغيرتربوية وهذا يعتمد على الاستعمال. اما ترشيد اختيار اللعب هذه قضية مهمة ويجب طرحها على الرأي العام بشكل جاد. اما التصنيع فهو في الدول العربية في مستوى الصفر.

د. فيولا البلاوي:

بالنسبة لالعاب الفيديو او الالعاب التكنولوجية واثرها على الطفل فان السلبية والايجابية تتوقف على تنظيم وقته لممارسة هذه الالعاب. وسن الطفل ومناسبتها للالعاب مهمة ايضا، فحالة التوتر تظهر في السن الاكبر بشكل اكثر منها في السن الاصغر وكذلك درجة الاستفادة من اللعبة. ولكن كل هذا يرتبط بتنظيم وقت الطفل للعب لتحقيق الاستفادة ولا يترك حتى ينهك. والالعاب هذه كلها فردية تقريبا، ومهم هنا ترجيه الوالدين لادراك قيمة اللعب في تنشئة الاطفال.
وأمّا اللّعب الحرفيكون الغرض منه تربويا مثل تعليمهم ان يركزوا على التفكير أكثر، او ان نوجه اللعب لزيادة الحصيلة اللغوية، او حل المشكلات.

د. ليلى حبيب:

اود التعقيب على فكرة النزعة التجارية البحتة في لعب الاطفال اقول ان النزعة التجارية تظهر في اميركا اكثر من غيرها ولكن في المحلات المتخصصة في لعب الاطفال في الولايات المتحدة هناك شخص متخصص لكل نوع من اللعب لارشاد الناس، والرواد ينصحون بشراء او عدم شراء لعبة معينة.

د. عدنان شهات الدين:

لقد اثير هذا الموضوع بعدة ابعاد واهم شيء هو ابراز دور الاسرة والمؤسسات التربوية والدولة لمعالجة الموضع في كل جهاته. وفي ختام الندوة اشكر المتحدث والمعقبة وكل الذين شاركوا بالآراء والحضور.

سُـوء معـامَلة الأطفال*

*هـذا هـو موضوع النـدوة الاولى من ندوات الموسم العلمي الثاني للجمعية (١٩٨٤ ــ ١٩٨٥) وقد عقدت مساء ١٩٨٤/١١/٢٦.

سوء معاملة الأطفال

رئيس الجلسة	: د. حسن الإبراهيم	رئيس الجمعية
المتحدث	: د. عبدالله الرشيد	مدير قسم الأطفال بمستشفى الصباح
المعقب	: د. خلدون النقيب	جامعة الكويت

المشاركون :

١ ــ د. احمد عبد الله	جامعة الكويت
٢ ــ د. بدر العمر	جامعة الكويت
٣ ــ د. جورج طعمة	جامعة الكويت
٤ ــ د. عبد الله الدنان	جامعة الكويت
٥ ــ د. محمد جواد رضا	جامعة الكويت
٦ ــ د. محمد عودة	جامعة الكويت
٧ ــ د. معصومة المبارك	جامعة الكويت

سوء معاملة الأطفال

بقلم د. عبدالله الرشيد

حديثنا اليوم يتناول موضوعا هاما وحساسا الا وهو ما يتعلق بفلذات أكبادنا، هبة الله، وزينة الحياة الدنيا، أمل كل والدين، ذخيرة المستقبل والثروة الحقيقية لبناء الامم والاوطان. هذا الواقع الذي تربينا ونشأنا عليه، الواقع الذي بدا يتغير شيئاً فشيئاً مع تطور الحياة وتقدم البشرية، بدلا من أن يدعم هذا التقدم ذلك الواقع.

الاطفال نور الحياة ما فتئنا كل يوم نسمع بمسميات تتعلق بمستقبلهم.. يوم الطفل، «سنة الطفل»، «ومن أجل طفولة سعيدة».. الخ هذه العناوين البراقة التي غالبا لا نرى منها الا مسمياتها. أما ما هو مردودها فبنظرة واحدة الى ما يعانيه اطفال العالم الثالث من الامراض والموت جوعاً، وما نراه من بعض ولاة امور هذه الشعوب التي تحول الاطفال فيها بقصد او بدون قصد من «ذخيرة وأمل للمستقبل» الى طعم لاشباع الشهوات، وأصبح الاطفال جنودا يمثلون خط الدفاع الاول في الحروب، يلقى بهم في احضان الموت بدلا من أن يكونوا في احضان امهاتهم يترعرعون على الحب والحنان، يرون ما تقشعر له أبدان الرجال وهم الزهور التي لا يجب ان ترى الا طراوة الندى وجمال الدنيا.

يساقون والرعب في عيونهم وقلوبهم لانهم لا يعرفون الى اين ولماذا بدلا من ان يكونوا في اماكن لهوهم البريئة، وأصبح الاطفال يعولون أو يساعدون في اعالة العائلة بسبب ظروفهم المعيشية التي تدفع بأولياء امورهم ان يدفعوا أغلى ما عندهم الى الطرقات للبحث عن لقمة العيش رغم معرفتهم بما يمكن أن يتعرضوا له من أذى وخوف، وتقلبات الطقس، وأحيانا الاهانة من هذا او ذاك، وبرغم انني لا استطيع ان الومهم لكنها قسوة الحياة دفعتهم الى ذلك..

اما لب موضوعنا فهوابشع مما نرى على مستوى عالمي وأقسى من ان نرى طفلا يجري على لقمة عيشه.. سوف نلقي الضوء على الاضطهاد او قسوة المعاملة. تلك الكلمة التي تحمل في طياتها معاني كثيرة تجسد لنا خدشا في علاقة الانسان مع اخيه الانسان في انسانيته ــ القسوة بشتى صورها تحمل صفة البشاعة والقبح، خاصة اذا مست بيدها براءة الطفولة.. وأين قسوة العالم والظروف على الطفل من قسوة من هم من المفروض ان يتلقى على ايديهم الحنان والحب والعطف اذا جار عليه الزمان، الا وهم الوالدان.. ذلك الطفل الذي يتلقى العذاب على ايدي من وضعه الله امانة بين ايديهم، من من الله عليهم بنعمة حرم كثيرا من الناس منها، هؤلاء الجناة الذين لم يرعوا أمانة الله..

ستعجبون يا سادة ولكنها الحقيقة.. فعنوان حديثنا اليوم «سوء معاملة الطفل» عنوان لظاهرة بدأت تشيع في الدول المتحضرة اوروبا وامريكا فقد لوحظ منذ سنة ١٩٤٦ ان بعض الاطفال الرضع يدخلون المستشفيات بكسور متعددة لايمكن ان تكون بسبب حادث عرضي. ومع تعدد وكثرة هذه الظاهرة بدأ رصد هذه الحالات وارتفع العدد في الولايات المتحدة من ١٢٢ حالة في سنة ١٩٦٧ الى ١٥٫٨٠٠ حالة في سنة ١٩٧٩

وهناك مركز آخر احصائياته تقول ان هذه الحالات تبلغ حوالي ٦٠٫٠٠٠ حالة في السنة ــ .
(Paed Nonth Amenicx May 1975)

والاسباب لهذه الظاهرة كثيرة، ولقد وضع بعض الباحثين معادلة لذلك بعد ان اعتبرَ الطفل المنبوذ والمهمل مرضاً أو نقصاً في الكبار وتظهر آثاره على الصغار.

فالمعادلة تقول : والدان من نوعية خاصة + طفل من نوعية خاصة + البيئة = النتيجة (طفلنا) الذي نتحدث عنه.

فالوالدان يمكن ان يكونا منبوذين في الصغر او مدمنين على تعاطي المشروبات الروحية او المواد المخدرة..

اما الطفل المسكين فاما ان يكون الوالدان غير متوقعين قدومه أو غير متقبلين وجوده او ان يكون يعاني من مرض مزمن، معوق، واما ان يكون شديد الحركة كثير البكاء، و يزداد تعرض الاطفال للاذى في بعض الحالات الاجتماعية كوفاة احد الوالدين او الطلاق او ان أحدهما فقد وظيفته فقل دخله.

اما انواع الاذى التي تحدق بالطفل فهي الضرب المبرح ـــ احداث كسور في الجمجمة كسور بالاطراف ـــ جروح متعمدة ـــ كي بالنار، حتى العدوان الجنسي.. ورغم كثرة المراكز الطبية والاجتماعية المتخصصة فقط لمثل هذه الحالات، ومحاولات منع حدوثها او تكرارها بالعقاب، وحرمان الآباء من اولادهم لفترة دون نتيجة.. فالتفكك الاسرى، والفساد الاجتماعي، وانعدام الرادع الديني كل هذه عوامل تزيد من القسوة وتكرار الفعلة الشنعاء.

وقد يتساءل البعض اين نحن من هذه الظاهرة وهل يمكن ان نلصق هذه التهمة بمجتمعنا سواء التعذيب او الاهمال.. فنحن دول عربية مسلمة اهم ما يميز اهلها الحنان والحب والارتباط العائلي كركائز لبناء المجتمع. وللاسف اقول لكم ان اوطاننا العربية بدأت تعاني من هذه الظاهرة السلبية سواء في المجالات الصحية ام الاجتماعية النفسية ام الثقافية، واسبابها متفاوتة تعاني منها جميع فئات المجتمع الغني والفقير الجاهل والمتعلم.

وتحت هذا الاطار العام سوف نتكلم عن ام الطفل المهمل او المضطهد في وطننا الخليجي والكويتي بصورة خاصة..

وأجد هذا مناسبا ليس للكثرة فقط ولكن لان جهل الامهات هو اكثر الاسباب اضرارا بالاطفال ولانه من اكبر مصادر سوء معاملة الاطفال في مجتمعنا، لان من يفعله لا يستشعر بخطورة ولا أبعاد ما يقوم به، والشاعر يقول:

الام مدرسة اذا اعددتها　　اعددت شعبا طيب الاعراق

فهذه الام الأمية التي لا تعلم ابسط امور التربية، يبدأ اهمالها لطفلها قبل ولادته، فهي لا تعرف اصول التغذية الصحية في فترة الحمل، وتهمل مراجعة طبيبها فتحرم جنينها الرعاية من قبل ان يرى النور، وهي لا تعرف ما وهبها الله من نعمة الامومة، تحرم طفلها من اجمل لحظات عمره وأكثرها حنانا والتصاقا بها، لحظات الرضاعة من حليبها. دقائق محدودة لو عرفت هي قيمتها لما حرمته منها. وتكون بها اولا واخيرا تتبع شريعة الله في قوله تعالى والوالدات يرضعن اولادهن حولين كاملين لمن اراد ان يتم الرضاعة (سورة البقرة ٢٣٢)..

ان اكثر صور اساءة معاملة الاطفال في مجتمعنا تبدأ مبكرا حين ترفض الامهات ارضاع اطفالهن رضاعة طبيعية و يلجأن الى الرضاعة الصناعية، إنهن يتوهمن ان اللجوء الى الحليب المعلب هو حضارة وهن يجهلن ما يحمله حليب الام من فوائد لرضيعها والتي اهمها المواد المحصنة للطفل من الامراض وخاصة النزلات المعوية التي نجدها متكررة وشديدة في الاطفال الذين يترعرعون على الحليب المعلب. واسباب ذلك عديدة : اضافة الى حرمانه من المناعة الطبيعية، فالنظافة تتفاوت بتفاوت تقدير الامهات لأهم صفة من صفات التعامل بالحليب المعلب كنظافة الزجاجات، والرضاعة، والاواني المعد بها الحليب، واليدين التي تعد الحليب — كل ذلك مع الجهل بطريقة التحضير نفسها، فتجدها اما ان تكثر من الحليب المجفف كي تغذي ابنها واخرى تخفف الكمية لتوفر قليلا. وفي الحالتين الطفل المسكين يعاني من تغير التركيز مما يؤدي ايضا الى تكرار نوبات الاسهال وادخاله المستشفى، و بعده المتكرر عن والدته و بيئته كل ذلك يؤدى الى الضعف العام والهزال.

عدد حالات الاسهال المسجلة عام ١٩٨٣
في قسم الاطفال بمستشفى الصباح

الشهر	العدد	درجات الاسهال
يناير	٦١	
فبراير	٥٧	
مارس	٥٧	
ابريل	١٠٥	حالات الاسهال الحاد : ٥٢٣
مايو	١٣٥	حالات الاسهال المزمن : ٤٩٣
يونية	٧٥	
يوليو	١٢٣	المجموع : ١٠١٦
اغسطس	١٣٤	
سبتمبر	١٤٣	
اكتوبر	١٦٢	
نوفمبر	١٤٩	
ديسمبر	٩٥	هذا اضافة الى حالات الاسهال التي توضع في غرفة الملاحظة عند رفض الدخول وهي بمعدل ١٠ ــ ١٥ حالة يوميا.
المجموع	١٢٩٦	

و يـاليـت هـذه المعضلة ــ معضلة الرضاعة الصناعية تقتصر على الاميات، فالمتعلمات المثقفات يعتبرن الغاء الرضاعة الطبيعية زيادة في الحضارة و يرفضن حتى فكـرة مـنـاقـشـة الموضوع لاسباب غيروجيهة. ان ما هو اسوأ ان هؤلاء النسوة يتركن مـهـمـة تحضير الرضعة والرضاعة الى المربية دون مراقبة للنظافة ولا الكمية ولا طريقة الارضاع.

واعذروني ان عدت مرة اخرى للحديث عن الامهات الاميات.. فهذه الطبقة من الناس معاناة اطفالها كثيرة ــ فالتطعيم، هذه المهمة التي تحمل الدولة كل تكاليفها على عاتقها ــ نجد الام او الاب متثاقلين لحمل اولادهم لاقرب مركز تطعيم.. عدة نقاط من دواء او حقنة ــ تكفي لدرء الامراض المعدية عن اطفالهم والتي اخطرها الشلل الذي عانى وما يزال يعاني منه اطفال كثيرون، وان سألت الام تقول لك نسيت او العذر الاقبح ترد عليك انهم لم يحضروا الينا تقصد بذلك الصحة الوقائية، اقول لها هل هو ولدك او ولدهم..

و ياليتها تكتفي بمظاهر الاهمال التي ذكرناها، فهي تسعى للعلاج بطريقتها الخاصة. عند من؟ احد الدجالين او المشعوذين الذين يدعون التطبيب بالطب العربي، فتجدها تعودهم في اي مرض يصيب اولادها ــ ولو تعرفون ما هو العلاج؟ الكي، تقف الام ماسكة ولدها، وتقوم الاخرى بحرقه في مناطق متعددة حسب الشكوى. اذا كانت الشكوى من الاسهال فالكي على البطن، أو على الظهر او مناطق متعددة حسب شدة المرض.. و يأتي المريض الى المستشفى بين الحياة والموت.. وأحيانا تأخذ الام ولدها من المستشفى على مسئوليتها تكويه وتعيده مرة اخرى في أسوأ حال..

ومع ذلك اقول لكم ان ما ذكرته هو ابسط انواع الكي. فأحيانا تكون الحروق من الدرجة الثالثة.. والكي جزء من كل ــ فأنواع العلاج عند هؤلاء الدجالين متعددة منها الرصاص. بشتى صوره بخارا يستنشقه الطفل او مواد مغلية يسقى ماءها.. والرصاص ان خفى على بعضكم يسبب تسمما بالجسم وأكثر المناطق تأثرا به الجهاز العصبي حيث يصيب الطفل بتشنجات يصعب على الطبيب السيطرة عليها.. وأحيانا كثيرة تكون النتيجة تخلفا عقليا وشللا دماغيا.. ولكن يا سادة اين اهمال الامية من اهمال المتعلمة المثقفة التي يجب ان تستثمر تعليمها وثقافتها في تربية ورفعة مستوى ابنائها والاخذ بيدهم لتعلوبهم الى أرقى المستويات علما وخلقا.

ولكن للاسف بعد ان اعددناها فهي غير مستعدة ان تعد ابناءها.. فهي

تعتمد في ذلك على المربية لان امورا كثيرة اخرى تشغلها، وان سألتها عن احوال ابنها ــ تدور لتسأل المربية.. وكلنا يعرف ان لقب المربية يطلق على من لها الحق في تربية الطفل بمعرفة لغته وعاداته ودينه وقيم مجتمعه.. اما والكل يعلم ان هذه المربية قدمت من بلاد مختلفة عنا في الدين والعادات والتقاليد واللغة.. اتت اولا واخيرا طلبا للرزق وهي تؤدي خدماتها مقابل ما تأخذ.. اما العاطفة ولو انها متوفرة في احيان كثيرة ولكن اين بها من حب وحنان الام.. صدقوني تأتي امهات في احيان كثيرة بطفل مريض، اولا تحمله الخادمة ــ ثانيا تغير له ملابسه ايضا والام واقفة.. اين لهفة الامومة على طفل مريض؟ وتسأل الام منذ متى هو مريض فتستدير هي بدورها لتسأل علاّمتها (المربية) الجواب. هل هذا يعقل؟

ونتيجة هذه التربية تجدونها بالطفل. اولا هو لا يعرف لمن يتجه بعواطفه؟ من هي امه الحقيقية؟ هل يطيع هذه ام تلك ونجده في النهاية لا يطيع احداً، يتكلم مع الجميع بصفة الامر والنهي كما تعود، فهذه خادمة يجب ان تطيعه وتلبي كل طلباته، وهي لا تستطيع ان ترفض و تخشى العقاب.. وهكذا تظهر لنا ثمرة هذه التربية طفلا او طفلة لا يعرف اصول التعامل مع الناس، لا يحترم احدا، يصرخ في وجه من يكلمه كلاما لا يتفق مع مزاجه.

والطفل الذي بلا حسيب او رقيب، بلا معين او رفيق، تجد مظاهر اهماله جليه، فكثرة حوادث التسمم الغذائي مثلا سواء الغذاء من البيت او من الخارج نجدها كثيرة وهذه والحق يقال في جميع طبقات المجتمع، (حالات دخول مستشفى الصباح من فبراير الى اكتوبر (٦٧ حالة).).

وكذلك حالات التسمم الدوائي، فالدواء يوضع في اي مكان في متناول يد الجميع رغم التحذيرات المكتوبة على كل ظرف وعلى كل علبة دواء «يحفظ بعيدا عن متناول الاطفال» ولكن دون فائدة، فحالات الدخول الى المستشفيات بالتسمم الدوائي ايضا بنفس الفترة هي (٥٩ حالة.)

تسممات اخرى ــ فالمواد المنظفة مثل الكلوروكس والجاز والشامبو وحبوب منع الحمل، كل هذه يتعاطاها الاطفال المساكين لانها قريبة منهم، او تكون موضوعة في زجاجات والطفل يتوهم ما في هذه الزجاجة مما يؤكل او يشرب، كالمشروبات الغازية، هذه الحالات بنفس الفترة (٤٧ حالة).

حوادث السيارات وتعرض الاولاد لها بسبب لعبهم وعبثهم بالشوارع وتركهم دون حسيب او رقيب، دون ان نزرع فيهم ابسط قواعد الذوق والاحساس بالمسئولية، مما يؤدي الى تسكعهم بين السيارات سواء على الاقدام او العجلات او الدراجات النارية او استعمال اجهزة التزلج. و يصل الاستهتار في البعض الى قيادة السيارات وهم في سن لا يسمح لهم بالقيادة. فالاب يريد ان يعوض اولاده عن الحرمان العاطفي فيغدق عليهم المال والعطاء ــ ونتيجة ذلك اللامبالاة واللامسئولية وعدم الاحساس بقيمة الاشياء. وتتفاوت الاصابات بين رضوض وجروح وكسور بسيطة وكسور مركبة في أي مكان من جسم هذا الطفل الغض.

واليكم جدولا يعدد حالات دخول الاطفال تحت سن ١٤ سنة في مستشفى العظام من يناير الى سبتمبر ١٩٨٤.

ضحايا حوادث المرور من الاطفال (تحت ١٤ سنة) في الفترة يناير ــ سبتمبر ١٩٨٤.

الشهر	الذكور	الاناث
كانون الثاني (يناير)	٩	٦
شباط (فبراير)	١٢	٨
آذار (مارس)	١٠	٥
نيسان (ابريل)	١٣	٩
ايار (مايو)	١٥	١٢
حزيران (يونية)	١٧	١١
تموز (يوليو)	١٩	١٦
آب (اغسطس)	٢٠	١٥
ايلول (سبتمبر)	١٧	١٢

وما نلاحظة جليا ان هذه الحالات تزيد في اشهر اجازات المدارس. وهذه الملحوظة ليست الام وحدها الملومة عليها بل الدولة التي تترك اولادنا بدون اماكن لهو بريئة ورخيصة التكلفة، بحيث يستطيع اي طفل الدخول اليها.

قد يخطر ببال بعضكم ان كل هذه الحوادث ما هي الا شقاوة اطفال. فما رأيكم في الحروق — فعندما نجد طفلا عمره ٢٥ يوما قد ادخل قسم الحروق في مستشفى وان حروقه من قمة الرأس الى اخمص قدميه، اعتقد ان هذا ليس شقاوة بل اهمالاً بأبشع صوره.. وسوف اذكر لكم احصائية عن عدد الاطفال واعمارهم ونسبة الحروق في اجسادهم الغصة الجميلة التي بعد هذه الحروق تصبح اجسادا مشوهة.

الاحصائية...

عدد حالات الحروق التي ادخلت مستشفى ابن سيناء

سنة ١٩٨١

العمر	نسبة الحروق ٠ — ٣٠٪		٣٠ — ٦٠٪		فوق ٦٠٪		المجموع	
	العدد	الوفيات	العدد	الوفيات	العدد	الوفيات	العدد	الوفيات
من صفر — ١١شهر	٤	—	—	١	—	—	٤	١
من ١ — ٤سنوات	٤٨	—	٢٠	٣	—	١	٦٨	٤
من ٤ — ١٢سنة	١٩	—	١٣	٢	—	١	٣٢	٣

سنة ١٩٨٢

من صفر — ١١شهر	٨	—	—	٢	—	—	٨	٢
من ١ — ٤ سنوات	٦٥	—	٧	٤	—	٢	٧٢	٦
من ٥ ١٢ سنة	٥٣	—	٦	١	—	—	٥٩	—

سنة ١٩٨٣

من صفر — ١١شهر	١٦	—	٤	—	—	—	٢٠	صفر
من ١ — ٤ سنوات	٦٦	—	٢٤	—	١	١	٩١	١
من ٥ — ١٢ سنة	٣١	—	١٠	١	٥	٢	٤٦	٣

بعد كل هذا السرد لمظاهر الاهمال، اود ان اعطيكم فكرة عن ظاهرة اضطهاد الاطفال التي من المفروض ان لا يكون لها وجود بيننا بحكم عاداتنا العربية المسلمة التي اهمها العاطفة والحنان.. ولكن ياسادة وللاسف بسبب مهنتنا نصادف حالات وحوادث يتمثل فيها الاضطهاد ابشع تمثيل ولو انها قليلة أو بالاحرى لا توجد احصائيات عن تلك الحالات لانه من مكان عملنا لا يحق لنا الابلاغ عن تلك الحالات، لان عقاب الاولاد من حق الآباء والامهات، ولايوجد قانون يعاقب ابا أو أما ضرب ابنا أو بنتا ايا كان نوع هذا العقاب وقسوته.

وهذه الحوادث تكون على ايدي ام مستهترة، فقد صادفنا اما تكوي قدمي ابنها بالنار لانه لم يطع اوامرها، هل تتصورون كم كان عمره؟ سنتان. وام تكوي ولدها بسياخ محماة على النار لانه يتبول لا اراديا.

اما الاب الذي يتزوج من امرأة اخرى بعد طلاق أو وفاة زوجته ام اولاده فانه لايفكر بهم ولا أي تربية سيلاقون، إنه لايفكر كثيرا في الاختيار، المهم ان يتزوج ثانية. و بعد ذلك لايهم ماذا تفعل تلك الزوجة باولاده ولا يسأل اولاده عن تلك المعاملة التي يتلقونها على ايدي زوجة الاب ونحن نسمع كثيرا عن اولاد يعانون من التشرد والمبيت خارج المنزل بسبب طردهم من منزل والدهم والبحث عن الطعام خارج المنزل وفي اي مكان، بسبب الحرمان الذي يلاقونه على يد زوجة الاب، اضافة الى ما يلاقونه من ضرب واهانة وتعذيب وحروق، وجروح في أي مكان من اجسادهم الرقيقة. واعتقد أن معظمكم قرأ في احدى الصحف عن الاطفال الثلاثة الذين حققت معهم الصحيفة، وعند سؤال والدهم اجاب ان زوجته لا تريدهم فماذا يفعل؟

هذه حالة من حالات ــ الله وحده يعلم ما يجري لهم.

واما زوج الام التي آوت اليه تلك الام المسكينة التي تربي اطفالها ظنا منها انه سوف يعوضهم حنان الابوة بعد ان فقدت زوجها إمّا بالطلاق او الوفاة نجده ليس في قلبه ذرة شفقة لا على الام ولا على اولادها.. اذكر لكم حادثة وجدناها في احد مستشفياتنا، طفل عمره ٢ سنة، فيه كسر شرخي في الجمجمة وخدوش ورضوض في جميع انحاء جسمه، ادعت امه انه وقع، ولكن بتكرار الاسئلة علمنا أنّ

زوج امه كان قد ضربه ضربا مبرحا أوقع فيه تلك الجراح الشديدة.. حاولنا اقناع الام بتقديم شكوى لكنها رفضت بشدة، أتعرفون لماذا، لانها تخشى ان يعيد الكرة وتخشى ان يطلقها.. وهي تتوقع ان لاتمسه يد العقاب لفعلته لانه للاسف يعمل محققا في الشرطة. تصوروا يعني المفروض انه هو الذي يعاقب الناس الذين يفعلون ذلك.

وآخر المضطهدين هؤلاء هم المربيات اللواتي نجلبهن من آخر الدنيا ليرعين أولادنـــــا، هنّ ايضا يتمادين بالضرب والعض والحرق، وللأسف شيئا فشيئا اعتقد ان الجميع يغمض عينيه عن الاعتداءات الجنسية التي لا نستطيع مناقشتها علنا اقولها وانا متأكد من عدة حوادث رهيبة.

كلمة اخيرة لكم ايها الاخوة والاخوات،،

ان الطفولة المهملة او الطفل المهمل والمعذب اصبح مسألة اجتماعية صحية اخلاقية علمية، تحتاج الى مزيد من الدراسة ومزيد من البحث.. تحتاج الى مفكرين وباحثين اجتماعيين لدق ناقوس الخطر القادم.. انه خطر لا يرحم وضحيته أطفالنا الابرياء، الثروة الحقيقية لهذا.. الوطن والامة.

تعقيب

الدكتور خلدون النقيب

أبدأ برصد بعض الصعوبات التي تواجه الباحث في قضية سوء معاملة الاطفال مثل :ـ

ـ صعوبة تعريف اساءة معاملة الاطفال، اي صعوبة التعريف بين ما هو حادثة ـ حدث غير مقصود ـ و بين ما هو متعمد مقصود.

ـ واساءة معاملة الاطفال تشمل عادة (أ) أعراض الطفل المهشم Child Syndrome Battered (ب)والطفل المعتدى عليه جنسيا، وتشمل كذلك (ج) الاهمال الجسدي للطفل (سوء التغذية مثلا) (د) الاهمال العاطفي المبطن Subtle للطفل، (هـ) الرفض العلني للطفل، (و) وفي النهاية قتل الطفل، أي أساءة المعاملة التي تؤدي الى الموت.

صعوبة الحصول على معلومات خاصة بسبب رفض الاطفال الاعتراف أو الكلام بحرية ـ الاهتمام بالظاهرة حديث نسبيا (الستينات). لماذا؟

من باب الشيء بالشيء يذكر، فان اول حالة دخلت فيها مؤسسات المجتمع لصالح طفل (أسيئت معاملته كانت في سنة ١٨٧٤ ميلادية) في حالة فتاة صغيرة تدعى ماري الن Mary Ellen، قامت بها الجمعية الامريكية لمنع القسوة في معاملة الاطفال American Socity for the prevention Of cruelty to children وهكذا يتضح ان حماية الحيوانات كانت لها الاسبقية على حماية البشر تاريخيا.

ثم ان اساءة معاملة الاطفال لها تاريخ طويل (في بعض الحالات يمكن ان يقال منذ بدء الخليقة) في المجتمع البشري. فحالات الاعتداء على الاطفال (الضرب واحداث العاهات والقتل) كثيرة معروفة من اهمال الاطفال المشوهين خلقيا الى وأد البنات الذي نعرفه جيدا في تاريخ المجتمع العربي.

ـ ولذلك فحالات وأد البنات (Infanticide) وقتل الاطفال (Filicide) كانت تقبل في كثير من المجتمعات بدون أن يترتب عليها عقوبة للوالدين.

ومع ان الدين الاسلامي قد حرم وأد البنات الا ان حق الوالدين في معاملة

اولادهم بالطريقة التي تناسبهم لم يكن موضع نقاش. وهنا تقوم احدى الاشكاليات الاساسية في بحث ظاهرة اساءة معاملة الاطفال: اذا كان مسئولية الوالدين تنشئة ابنائهم فان حق معاقبتهم هو جزء اساسي في هذه العملية. ولكن القسوة الزائدة والعنف في العقاب واستمرار هذه القسوة والعنف بشكل منتظم هنا ينشأ عنه عاهات جسدية أو كسور عادية ومركبة وتورمات ونزف داخلي وحروق..... الخ، هوما يطلق عليه الان اساءة معاملة الاطفال ويمكن اثباته نسبيا عن طريق الاشعة والفحوص الطبية والتحقيقات والتدقيق في الاسئلة.

وطالما بقيت هذه الظاهرة محدودة محصورة في المجتمعات الريفية والمدن الصغيرة فهي ليست مشكلة اجتماعية. ولكن عندما تتخذ الشكل (الوبائي)* في المجتمعات الحضرية الكبيرة وتعمم بين طبقات المجتمع وفئات العمر (للوالدين) كما اثبتت بعض المسوح الاجتماعية (انظر المراجع) فانها عندئذ تتحول الى مشكلة اجتماعية تحتاج الى علاج واساليب وقاية لمنع انتشارها وعندها تتركز طرق العلاج واساليب الوقاية على العائلة لانها فعلا مشكلة اجتماعية يعاني منها الوالدان كما يعاني منها الاطفال. وهذا الجانب يجب ان لا يغيب عنا في دراستنا لهذه المشكلة.

ومؤخرا اصدرت التشريعات الاجتماعية لحماية الاطفال بشكل منظم وأنشئت المؤسسات والجمعيات الخيرية للمساهمة في حل هذه المشكلة، وطرح لاول مرة مفهوم الحقوق المدنية للطفل.

تتركز اهم التفسيرات لهذه الظاهرة على واحد أو أكثر من نظريات مسببات المرض Etiologies

١ ــ اساءة معاملة الاطفال هونتيجة للميراث الحضاري (تراث وعادات وتقاليد عنيفة في عقاب وانضباط الاطفال).

٢ ــ اساءة معاملة الاطفال هو نتيجة لباثولوجيا الافراد البالغين في الاسرة (ادمان الكحول أو المخدرات).

٣ــ اساءة معاملة الاطفال هو مجموعة من التصرفات المتعلمة والاسقاطية

*يقدر جوليان عدد الاطفال ضحايا الاهمال واساءة المعاملة بمليون طفل في اواسط السبعينات في الولايات المتحدة.

A set of learned Behaviors and projections (خبرات الوالدين الذين أسيئت معاملتهم).

٤ ــ اساءة معاملة الاطفال هي نتيجة للتوترات الاجتماعية والبيئية Stresses وطريقة المعيشة العصابية Neurosis.

٥ ــ اساءة معاملة الاطفال هي نتيجة لباثولوجيا الاسرة. (اسرة مهشمة، ام مطلقة، زوج ام.. الخ.

٦ ــ اساءة معاملة الاطفال هي نتيجة غير مباشرة لاعراض مرضية في دماغ احد الوالدين Brain dysfunction

٧ ــ اساءة معاملة الاطفال تتسبب فيه تركيبة من الضغوط Stressors في تصوري ان اهم اسباب اساءة معاملة الاطفال هي الاسباب الاجتماعية الحضارية والبيئية مثل:ــ

أ ــ ضغوط الحياة الحضرية والاحباطات المستمرة كالبطالة، الفقر، الحراك (كبش الفداء).

ب ــ الاطفال كمعوقات لتقدم الاسرة (اسقاط الوالدين على ابنائهم، يرى الوالدان ما يكرهونه في انفسهم في اطفالهم).

ج ــ نقص في تنشئة الوالدين مما يسبب حالة عصبية في معاملة الاطفال.

د ــ التراث الحضاري في القسوة في عقاب الاطفال.

هـ ــ اساءة معاملة الاطفال هو تروما Trauma (تجربة قاسية) للوالدين والاطفال في نفس الوقت.

المصادر: الدراسات المتصلة بموضوع اساءة معاملة الاطفال.

4 - R. Helfer and C. Henry Kempe (eds.) The Battered Child. 2nd. ed., The University of Chicago Press, 1974.

1 - Norman Polansky, "The current Status on child abuse and child neglect in this (U.S.A.) country. "Report to the joint Commission on mental Health for Children, February 1968.

2 - David Gil- Violence Against Children.
Cambridge: Harvard University Press. 1970

3 - "Physical abuse of children:
Findings and implications of a nation - wide survey." Pediatrics Supplement, 44 (Nov. 1969)-

7 - Frederick Mears and Robert J. Catchel, Fundamentals of Abnormal Psychology.
Chicago: Rand McNally, 1979, P.P. 442-452

مناقشات

د. حسن الابراهيم:

نشكر الزميلين الفاضلين الدكتور عبد الله الرشيد والدكتور خلدون النقيب على هذا العرض العلمي التاريخي لمشكلة سوء معاملة الاطفال. والمجال الان مفتوح لاي تعقيب.

د. احمد عبد الله:

بالنسبة لارقام سوء معاملة الاطفال في الولايات المتحدة، لقد اعلن رسميا، على الاقل في سنة من السنوات ان الظاهرة وصلت الى ما يمكن ان يسمى بمرحلة الوباء وهي مليون و ٦٠٠ الف حالة من سوء المعاملة. وان ٦٠٪ — ٨٠٪ من هذه الحالات تم التحقق منها. والقضية الاخرى هي قضية تعريف سوء معاملة الاطفال، وفي رأي ان سوء المعاملة يعني ايقاع الاذى البدني على الطفل بطريقة غير طريق الصدفة. والملاحظات التي قدمت جديرة بالانتباه لكل حالات سوء معاملة الاطفال. خاصة ان التعريف المقدم هو مأخوذ من التعريفات الغربية.

كذلك هناك صعوبة التمييز بين التهذيب وسوء المعاملة، فما نعتبره تهذيباً، قد يعتبر. سوء معاملة من وجهة نظر اخرى، فقد نعتبر الضرب نوعا من التهذيب بينما هو في مجتمع آخر نوع من سوء معاملة الاطفال. فهنا تتبين صعوبة التعريف وصعوبة الظاهرة. الان هناك مشكلة اسمها سوء معاملة الاطفال ولمعالجة ذلك هناك معلومات كثيرة، فحجم المشكلة في المجتمع الكويتي من خلال الاحصائيات والمعلومات المختلفة، وبالنسبة لخبراتكم في مجال مستشفيات الاطفال، هل هناك نوع من التقدير لحجم المشكلة، ومن هو الاكثر ايقاعا للاذى الاب او الام وهل هناك فرق في الجنسيات بالنسبة لهذه المشكلة، مع كل الظروف التي تؤدي الى ذلك. هل هناك فئات عمرية محددة تزداد فيها هذه الظاهرة.

د. عبد الله الدنان:

انني مغتبط بهذه المحاضرة القيمة وبالاسئلة المطروحة. تعليقي ينبع من تجربة،

اعتقد ان الاسر القديمة والمجتمعات العربية القديمة كانت اسرا كبيرة، فالاب كان ما يزال مع ابنائه وابناء ابنائه، فكان الطفل يحظى باهتمام اجتماعي جيد جدا عن طريق وجود الجد والجدة، اللذين كانا يحكيان القصص للاطفال مثلا.. فقد كان عمري (٢٨ سنة) عندما تزوجت و بعد مرحلة ابوتي بعد (٥٢ سنة) الاحظ ان هناك فرقا في درجة تحملي لمهمة الابوة في اول سني زواجي و بعد ذلك بمرحلة طويلة، فلم يكن لدي الصبر على حكاية القصص للاطفال. بينما الان افرح كثيرا عندما احكي القصص للاطفال الصغار.

من هنا فالجد والجدة كان وجودهما مخلصا للاطفال من بعض الاهمال الذي يلاقونه من آبائهم الشباب.

النقطة الاخرى، كل شخص يعاقب، العقاب لا يكون مفرطا واريد ان الفت النظر الى عدم المغالاة في العقاب من اجل التربية فالاب كان يأتي للمدرس و يقول له: لك اللحم ولي العظم. وقبل فترة وجدت صعوبة في اقناع طلابي بعدم اللجوء لاستخدام الضرب لا في المدرسة الابتدائية وكان معظمهم مجمعا على استخدامه. عندي قناعة مطلقة بأن الضرب لا يفيد تربويا بأي حال، وهو يؤدي لنتائج اسوأ. والضرب من اجل الضرب ليس هو سوء المعاملة الوحيد فهناك مثلا حبس امكانيات الطفل عن التفتح، وهذا يتعرض له كل الاطفال، وارجو ان يتم التركيز عليه مستقبلا.

د. حسن الابراهيم:

شكرا د. عبد الله على هذه المداخلة اللطيفة، وانا اعتقد ان التحسر على شيء مضى لا يفيد، فعصر الأسرة الكبيرة قد انتهى ونحن الان في عصر الاسرة الصغيرة، ولابد من وجود تعويض للمحبة التي كان الطفل يلقاها من الجد أو الجدة بوسائل اخرى يقوم بها المجتمع أو الحكومة أو برامج التوعية المختلفة.

د. محمد عودة:

عندي بعض نقاط اريد الاشارة اليها:

١ ــ هناك قضية التطرف في المعاملة ــ يبدو لي ان هذه القضية مرفوضة بأي شكل. فمن يرجع الى التاريخ (قبل ٢٠٠ سنة) نلاحظ ان الصيحة التي اطلقها جان جاك

روسو ودعى فيها المجتمع بشكل عام للعناية بالطفل جاءت نتيجة احساسه بالمعاملة السيئة التي مر بها الاطفال آنذاك. الا ان هذه الدعوة لم تدع للاعتدال وانما جاءت نتيجة اتركوا الاطفال ينمون على سجيتهم فقط.. وهذا يكاد يكون الاهمال النهائي للاطفال، ثم نجد بعد ذلك اريكسون يثير قضية المثيرات التي يتلقاها الطفل من العالم الخارجي، وهي نوعان: سلبية وايجابية، وبناء عليه ينبني توجيه تربوي يقول بانه لا مانع من ان يتلقى الطفل بعض المثيرات السلبية، من ذلك الضرب الخفيف. واتفق مع د. خلدون في ان الشدة هي المرفوضة وكذلك التفريط مرفوض.

٢ ــ معاملة الام والاب في العالم العربي للابناء قد بنيت على النموذج المرجو للطفل في المستقبل، فعندما الجأ لثقافة قريتنا الصغيرة، كانوا عندما يرون شابا مدللا او مائعا لحد ما، يبحثون عمن رباه، فان كان يتيما فلا بأس (لانه تربية امرأة). فعلينا اعداد الطفل منذ البداية، فهل ياترى قضية العودة الى سوء المعاملة ترتبط بالنموذج القديم، وانا لست ميالا لهذا الاعتقاد في ضوء كلامنا.

٣ ــ اعتقد ان الطبيعة الانسانية للام والاب ان يعنيا بأبنائهما، ولكن ان أجد أما وأبا يخرجان عن ذلك فهذا يعتبر مرضا نفسيا لا بد له من علاج.

د. حسن الابراهيم:

شكرا للدكتور عودة ــ اذا اردنا العودة للامثال الشعبية السائدة في المجتمعات العربية.. فالشباب المائع الذي يعتبر تربية امرأة، ولكن عند البدو يقال ان هذا الشخص قد ربته امه وليس تربية (الدايات) بمعنى ان الام قد يكون لها دور كبير في تربية الابناء.

مما تقدم هناك مشكلة لا بد من التصدي لها وحلها، واعتقد ان دور طبيب الطفل في غاية الاهمية، خاصة اذا ما وجدت حالات يكتشف الطبيب انها ليست امراضا جسدية، فلا بد من التحقيق عند ذلك.

في ختام الندوة اقدم الشكر للدكتور عبد الله الرشيد والدكتور خلدون النقيب وعلى تعقيباتكم ومشاركة الجميع وشكراً.

استدراك

بعد اكتمال عملية طبع هذا الكتاب اتضح ان به مجموعه من الأخطاء المطبعية غير المقصودة، نثبتها هنا استدراكا للخطأ..

صفحة	سطر	خطأ	صواب
١٧	٣ (من أسفل)	اما	إنما
٣٥	٢ (من اسفل)	—	ينقل شطر البيت الثاني تحت الشطر الأول
٥٤	١ (من الاسفل)	مجالا	مجالات
٦٥	الجدول سيكون في ص ٦٤		
١٦٩	٤ (من أسفل)	شهات	شهاب